الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
قسنطينة

كليـــة: الآداب والحضارة الإسلامية
قســـــم: اللغة العربية
تخصص: إعجاز القرآن والدراسات البيانية

رقم التسجـــيل: .....

الرقم التسلسلي: .....

الإيجاز بالقصر في السور المكية وأثره في بيان إعجاز القرآن الكريم

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في إعجاز القرآن والدراسات البيانية

إعداد الطالب:
محمد الحافظ بالأعور

إشراف الدكتورة:
سكينة قدور

لجنة المناقشـــــــة

الاسم واللقب	الرتبة العلميّة	الجامعة الأصليّة	الصّفة
د.موسى شروانة	أستاذ محاضر	جامعة منتوري	رئيسا
د. سكينة قدور	أستاذة محاضرة	جامعة الأمير عبد القادر-قسنطينة	مشرفا ومقررا
د.آمال لواتي	أستاذة محاضرة	جامعة الأمير عبد القادر-قسنطينة	عضوا
د.امحمد بن نبري	أستاذ محاضر	جامعة الحاج لخضر - باتنة	عضوا

السنـــــة الـــجامعية: 1432-1433هـ/2011-2012م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
قسنطينة

كليـــة: الآداب والحضارة الإسلامية
قســـــم: اللغة العربية
تخصص: إعجاز القرآن والدراسات البيانية

رقم التسجـــيل: .....
الرقم التسلسلي: .....

الإيجاز بالقصر في السور المكية وأثره في بيان إعجاز القرآن الكريم

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في إعجاز القرآن والدراسات البيانية

إعداد الطالب:
محمد الحافظ بالأعور

إشراف الدكتورة:
سكينة قدور

لجنة المناقشـــــــة

الاسم واللقب	الرتبة العلميّة	الجامعة الأصليّة	الصّفة
د.موسى شروانة	أستاذ محاضر	جامعة منتوري	رئيسا
د. سكينة قدور	أستاذة محاضرة	جامعة الأمير عبد القادر–قسنطينة	مشرفا ومقررا
د.آمال لواتي	أستاذة محاضرة	جامعة الأمير عبد القادر–قسنطينة	عضوا
د.امحمد بن نبري	أستاذ محاضر	جامعة الحاج لخضر – باتنة	عضوا

السنـــــة الـــجامعية: 1432–1433هـ/2011–2012م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الكريم المنان، خالق الإنسان و معلمه البيان، منزل القرآن معجزا للإنس والجان فهو الحجة الخالدة مدى الزمان، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على أفضل الرسل والأنام سيدنا محمد المؤيد بأعظم برهان وعلى آله وصحبه أولي الفضل والإحسان .

أما بعد :

فإن قضية الإعجاز البياني في القرآن الكريم رافقت البدايات الأولى للدرس البلاغي الذي عني بإظهار جوانب الفصاحة والبيان في النص القرآني واستنباط القواعد التي تجمع ذلك فتعددت الجهود وتسابق الأقران ونهل الكل من المعين و لم ينضب، فكان أسلوب القرآن ونظمه وما فيه من النكت البيانية محل اهتمام الدارسين من المفسرين و البلاغيين ومبعث ذلك أن القرآن نزل بلسان العرب حروفه وكلماته من جنس ما ألفوه من الحروف والكلمات إلا أنه جاء متحديا لهم في جنس ما برعوا فيه من فنون القول وأساليب البيان .

والدارس لأساليب القرآن الكريم يلحظ ظاهرة بارزة فيه تتمثل في الإيجاز بنوعيه الحذف والقصر وهذا جريا على سنن العرب في كلامها، فلقد عرفت العربية الإيجاز وهو مكمن بلاغتها وسّر فصاحتها، ميدان تباريها وهو أسلوبها في التعبير، وطريقتها في العيش، والعرب آنذاك أمة أمية يندر فيهم من يعرف القراءة والكتابة، كل اعتمادهم في تناقل أشعارهم وأخبارهم على الحفظ و الرواية، فكان الإيجاز ضرورة أملتها ظروف البيئة العربية انعكست على أساليبهم الخطابية وفنونهم البيانية.

ومن خلال دراستي لأسلوب القرآن الكريم استوقفني أسلوب الإيجاز وبهرني بما رأيته فيه من ثراء المعنى وعمق الدلالة، وظهوره في مختلف الأساليب البلاغية، والصور البيانية، وبعد طول بحث و تدبر تبين لي كثرة ورود هذه الظاهرة في السور المكية على وجه الخصوص بمظاهر مختلفة، وفي شتى ألوان البيان، فرحت أتتبع الحديث عنها في كتب البلاغة والإعجاز، فسرني في البداية ما وجدته من إشارات

ذكرها الجاحظ في كتابيه الحيوان والبيان والتبيين، ثم اهتديت إلى الرسائل الثلاث في إعجاز القرآن فوجدت فيها بعض ما كنت أصبو إليه، واستزدت فهما بما ذكره أبو هلال العسكري في كتابه كتاب الصناعتين، وكذا كتاب الإيجاز والإعجاز لأبي منصور الثعالبي، وما قاله الزركشي في البرهان والسيوطي في كتابيه الإتقان في علوم القرآن ومعترك الأقران في إعجاز القرآن، وما تناثر من نتف وإشارات أتت على ذكرها كتب البلاغة، فلا ينكر فضل هذه المصادر الأولى بحال من الأحوال ؛فقد كانت القناديل التي أضاءت الدرب وكشفت الطريق رغم ما يمكن أن توصف به من قلة الشواهد والبعد عن الدراسة الممنهجة والمفصلة، إلى أن وجدت دراسة حديثة للدكتور مختار عطية حيث تناول الظاهرة بالتطبيق والتفصيل وفي أشكالها المختلفة التي شملت علمي المعاني والبيان فاستفدت منها بشكل كبير وتفتقت من خلالها أمامي جوانب مختلفة هي ذات صلة وطيدة بموضوع الإيجاز .

وعلى الرغم من هذه الدراسات رأيت أن الموضوع ما يزال يحتاج الكثير من البحث والتمحيص و النظر من أجل كشف درره ومعرفة أسراره، والظفر بكنوزه وعجائبه التي لا تنقضي في ظل ما تشهده الدراسات اللغوية والأدبية الحديثة من تطور و اتساع، وهذا ما دفعني إلى البحث في هذا الموضوع الذي يلامس جانبا مهما من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم فاخترت له العنوان الآتي :

الإيجاز بالقصر في السور المكية وأثره في بيان إعجاز القرآن الكريم

وانطلقت في معالجته من طرح الإشكاليات الآتية :

- ما هي الدواعي وراء كثرة ورود الإيجاز بالقصر في السور المكية ؟

- هل تعود كثرة الإيجاز بالقصر في السور المكية إلى تأثر القرآن بالبيئة والوسط على حدّ زعمهم أن القرآن لما كان في مكة بين الأميين جاءت آياته وسوره قصيرة، و لما وجد في المدينة بين مثقفين مستنيرين جاءت سور المدني و آياته طويلة فالإيجاز أثر للانحطاط ومنه الطعن في أسلوب القرآن ومصدره بوجود تفاوت في بيانه وبلاغته بين مكيّه ومدنيّه.

- هل الإيجاز في القرآن الكريم دليل بلاغة وإعجاز أم دليل عيّ وعجز ؟

- ما هي مكامن وجوانب الإعجاز البياني في أسلوب الإيجاز بالقصر ؟

- ما هي أهم الفنون البلاغية والبيانية التي تجلى فيها الإيجاز بالقصر بشكل أكبر ؟

ومن خلال ما سبق عرضه من إشكاليات يعتبر خصوم القرآن البعض منها شبها ت تقدح في أسلوب القرآن وبيانه يظهر جليا ضرورة القيام بهذا البحث المتواضع دفاعا عن القرآن وخدمة له، ورغبة في المساهمة في دراسته وإبراز أحد أهم جوانب الإعجاز فيه، ومن جهة أخرى إثراء مجال البحث في الدرس البلاغي ولو بالترر القليل، ورسمت لذلك أهدافا أرجو أن أوفق في تحقيقها ولعل أهمها :

1- تحديد ضوابط مميزة لإيجاز القصر .

2- عرض أقوال دارسي الظاهرة قديما و حديثا .

3- التعرف على شواهد أخرى للظاهرة تضمنتها السور المكية .

4- التعرف على الأنماط البلاغية والصور البيانية التي ظهر فيها إيجاز القصر.

والدوافع وراء تجسيد هذه الأهداف هي :

- قلة الدراسات الأكاديمية التي تناولت الإيجاز بالقصر بالشكل المطروح في هذا البحث .

- التشرف بدراسة القرآن الكريم والمساهمة في إبراز جانب من جوانب إعجازه.

- علاقة البحث بمختلف علوم اللغة من نحو وبلاغة وأسلوبية وهي تتداخل فيما بينها لتحقيق الإيجاز.

ولإنجاز هذا البحث والإجابة عن الإشكاليات المطروحة فيه ولتحقيق الأهداف المحددة له رأيت أن أقرب مناهج البحث التي تناسب هذا الموضوع هو المنهج الاستقصائي التحليلي الذي كان وفق الخطوات الآتية:

-تحديد مظاهرالإيجاز في مختلف جوانب الحياة الأدبية والاقتصادية والحضارية وهذا في المدخل، يليه عرض أقوال العلماء وتعريفاتهم وتقسيماتهم للإيجاز ثم دراسة الظاهرة في البيان النبوي وكذا في كلام

العرب شعره ونثره وذلك في الفصل الأول لأصل إلى الدراسة التطبيقية في الفصلين الثاني والثالث بالكشف عن صور حضور الظاهرة في السور المكية ,و قد توزعت هذه الدراسة على النحو الآتي : مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة .

المقدمة : طرحت فيها إشكالية الموضوع، والأهداف المراد تحقيقها ، ودوافع الاختيار، والخطة، و أهم المصادر والمراجع، والمصاعب التي واجهتني .

أما الفصل الأول فقد افتتحته بمدخل يليه ثلاثة مباحث :

-.ففي المدخل تطرقت إلى مظاهر الإيجاز باعتباره ظاهرة فكرية و حضارية,و في المبحث الأول تعريف الإيجاز لغة و اصطلاحا عند المتقدمين و المتأخرين من البلاغيين والأسلوبيين , وفي المبحث الثاني أقسام الإيجاز و تطرقت فيه لنوعي الإيجاز إيجاز القصر وأهم الفنون والأغراض التي برز فيها , والنوع الثاني وهو إيجاز الحذف وأهم الشواهد عليه من القرآن و الحديث النبوي الشريف وكذا الشعر العربي الفصيح ,و في المبحث الثالث تحدثت عن إيجاز القصر في كلام العرب والبلاغة النبوية ؛جعلت الجزء الأول منه للإيجاز في كلام العرب شعره ونثره فدرست نماذج من الشعر العربي وبيّنت مواطن الإيجاز فيها إلى جانب نماذج من النثر شملت الخطب والأمثال والحكم و التوقيعات, وخصصت الجزء الثاني منه للبلاغة النبوية تحدثت فيه عن الإيجاز وجوامع الكلم وقمت بتطبيقات على جملة من الأحاديث النبوية في أغراض بلاغية مختلفة كالتشبيه والكناية والاستعارة والمجاز ثم تحدثت عن دلالة الإشارة في الحديث النبوي الشريف .

وأما الفصل الثاني وفيه مدخل حول خصوصية الخطاب القرآني وهو في ثلاثة مباحث أولها تناولت فيه ظاهرة الإجمال وفي المبحث الثاني دلالات التنكير وفي المبحث الثالث ظلال المعاني.

-و جاء الفصل الثالث هو الآخر في ثلاثة مباحث خصصت المبحث الأول لدراسة الإيجاز بالصورة البيانية و المبحث الثاني لدلالات الإشارة وفي المبحث الثالث دلالات الإيحاء.

ثم ختمت البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة.

وقد اعتمدت طيلة هذا البحث على جملة من المصادر أغلبها كتب التفسير؛ كتفسير الكشاف ,و تفسير ابن كثير والتفسير الكبير و التحرير والتنوير وروح المعاني والتفسير البياني للدكتورة عائشة عبد الرحمن، ومن كتب اللغة والأدب كتابي الجاحظ البيان والتبيين والحيوان والعقد الفريد لابن عبد ربه،بالإضافة إلى ما سبق ذكره من كتب البلاغة وعلوم القرآن قديمها وحديثها وبعض الدراسات الحديثة و أهمهاكتاب الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز للدكتور مختار عطية، وخصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية للدكتور عبد العظيم المطعني وغيرها من المصادر والمراجع .

ومن بين الصعوبات التي اعترضتني خلال البحث قلة أو انعدام الدراسات الأكاديمية الموسعة في هذا الموضوع عدا بعض الإشارات الخفيفة على صفحات الانترنت والتي تميزت بالسطحية والبعد عن التحليل العميق وفقدان المنهجية الواضحة.

وفي الأخير أرجوا أن أكون قد وفقت في دراسة الموضوع وتغطيته على الشكل الذي رسم له أملا في أن يكون إلى جانب البحوث التي تثري المكتبة العربية وتساهم ولو بالقدر القليل في تبيين وإظهار الإعجاز القرآني.

كما لا أنسى أن أتقدم بالشكر الخاص لأستاذتي الفاضلة الدكتورة سكينة قدّور على تفضّلها بالإشراف على هذا البحث و ما قدمته لي من دعم وتوجيه وما وفّرت لي من مراجع كانت لي المرشد والمعين، وأصل شكري لها بشكري وتقديري لكل من علّمنا ودرّسنا في رحاب هذه الجامعة الموقرة . فالله أسأل أن يوفقنا و إياهم إلى ما فيه الخير والصلاح فهو ولي ذلك والقادر عليه.

الفصل الأول

الإيجاز في كلام العرب والبلاغة النبوية

مدخل: الإيجاز ظاهرة حضارية و فكرية.

المبحث الأول: تعريف الإيجاز.

المبحث الثاني: الإيجاز في كلام العرب

المبحث الثالث: الإيجاز في البلاغة النبوية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مدخل: الإيجاز ظاهرة حضارية و فكرية

البلاغة عملية لغوية و خاصيّة إنسانية اختص الله تعالى بها بني البشر جميعاً، وهي وليدة تفاعل الإنسان مع العالم الخارجي، والتواصل معه في مختلف الأحوال والمقامات لما يناسب كل مقام من أساليب الخطاب التي تحقق غاية البلاغة من تواصل وتأثير، فليست البلاغة سوى المطابقة لمقتضى الحال مع الفصاحة، وهي بذلك تراعي أحوال المتلقين ومستوياتهم الاجتماعيّة، والمعرفيّة، والاقتصادية، والنفسيّة إن أمكن إذ لكل مقام مقال يناسبه؛ وتتحقق صفة البلاغة في أنواع التراكيب وأساليب الخطاب كما تتحقق أيضا بدلالة الإشارة ؛لأن البلاغة متصلة بالغرض الإنساني، وهي تحت سيطرته ولخدمته تساير أحواله، وتواكب متغيراته، فلكل موقف البلاغة التي تناسبه، فللحرب بلاغتها وللسلم بلاغته، وللصغير بلاغته، وللكبير بلاغته، والبلاغة لا تعني الكلمات فقط بمقدار ما تعني الموقف لذا كان اجتماع هذه الأمور كلها من فصاحة ومراعاة لأحوال المخاطبين وما يناسبهم ضرورياً لتحقيق الإبلاغية المنشودة من كل خطاب .وبالرجوع إلى موضوع الإيجاز في البلاغة العربية فإن ارتباطه الوثيق بها جعل صحار بن عياش العبدي يعدّه حداً وتعريفاً لها لمّا سأله معاوية–رضي الله عنه–: " ما تعدّون البلاغة فيكم؟قال: الإيجاز"[1]. ولهذه الإجابة ما يبرّرها بالنظر في معالم الحياة والبيئة العربية آنذاك، فالإيجاز لم يكن قضيّة بلاغية فقط، ولكن قضية فكرية وحضارية واجتماعية واقتصادية، في مظاهر مختلفة:

1- الإيجاز كنمط للعيش أملته الطبيعة الصحراوية[2]:

إن حياة الحلّ والترحال وعدم الاستقرار التي تميّزت بها البادية العربية وما رافقها من شظف وقلّة، وبعد عن الزخارف ومختلف مظاهر التوسع في المأكل والمشرب والملبس جعلت نفس الأعرابي ميّالة إلى الاختصار والإيجاز في كل شيء، و في أعز ما تشتهيه النفس، فقد نقل الجاحظ (ت255هـ) أخباراً عن العرب تدعو إلى الاستغراب، فقد طلّق أبو الخندق امرأته أم الخندق

---

[1] – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين.تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط 7 .1998م. ج 1 ص96.

[2] – للتوسع ينظر محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، 1983م، ص247 ، 263(بتصرف).

فقالت له: "أتطلّقني بعد طول الصحبة، فقال:ما دهاك عندي غيره" [1]، فتطليق الرجل زوجته أم الخندق كان بداع الاختصار لهذه الحياة، وما نراه إلا مولعاً بحياة الحلّ و الترحال والرغبة في التجديد، كما كان للصمت المطبق الذي تميزت به الصحراء العربية انعكاسه على منطق أصحابها فولّد لديهم رغبة في تقليل الكلام و التزام الصمت واجتناب الفضول، وقد نقل الجاحظ أشعارا توصي بذلك كقول بعضهم[2]:

خلّ جنبيــك لــرام وامض عنه بســلام

مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام

إنما المسلــم من ألــ جم فاه بلجام .

وقول ابن أحمر:[3] **تضع الحديث على مواضعه وكلامها من بعده نزر.**

ومنها أيضا قول عبد الله بن عمر عندما سئل أن يدعو الله فدعا بقوله:" اللهم أرحمنا وعافنا وارزقنا. فقال له رجل:لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن، فقال:"نعوذ بالله من الإسهاب " [4] فاكتفى بالإيجاز في مقام الدعاء وهو مقام الإكثار والتوسع في طلب الحاجات المختلفة، وما ذلك إلا تأثّراً بنمط العيش وطبيعة الحياة، " فقد أورثت البدوي مواجهة الطبيعة في كل آن –وهي سريعة التبدل، والتلوّن، ولا يؤمن جانبها– حضور البديهة والذكاء اللّماح كما أورثته الإحساس الدقيق، والشعور المرهف، ولهذا كان أدبه أدب البديهة يترع نزعة الإيجاز بعيداً عن التركيب العلمي والترتيب المنطقي"[5].

2– الإيجاز وسيلة تعليمية بديلة عن الكتابة والتدوين:

إن اعتماد العرب في تناقل آدابها من أشعار، وخطب، وأمثال وغيرها على المشافهة في غياب الكتابة والتدوين يعطي تفضيل الإيجاز على الإطالة ما يبرّره، فالأشعار والخطب القصار هي

---

[1] – الجاحظ، المصدر نفسه، ج3.ص15.

[2] –المصدر نفسه، ج1.ص269.والبيت منسوب لابن هانيء الأندلسي، ينظر العقد الفريد أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت 328 هـ)، تح:عبد المجيد الترحيني ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983 م، ج2 ص 303

[3] –المصدر نفسه، ج1، ص276

[4] –المصدر نفسه، ص 97

[5] – حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجيل بيروت، ط 1، 1986 م، ص94.

الأعلق في الأذهان، والأنسب للحفظ، والمشافهة كما جاء في جواب الحطيئة عن سؤال ابنته ":ما بال قصارك أكثر من طوالك، فقال: لأنها في الآذان أولج، وبالأفواه أعلق"[1].

فالإيجاز يسهلّ حفظ و تثبيت المعارف والعلوم، والقدرة على إيصالها إلى مختلف الأوساط، فهو منهج تربوي وعلمي ناجع، وما وجود هذه التهذيبات و التلخيصات التي شملت أضخم الكتب والمدّونات إلا دليل قاطع على ذلك.

3- الإيجاز مظهر من مظاهر الاقتصاد:

يعتمد الإيجاز على التقليل في عدد الكلمات والحروف لتحقيق أكبر عدد من المعاني، فهو اقتصاد في اللفظ مقابل فيض كبير في المعنى، وهذا مبدأ اقتصادي بحت، وقد كانت طلائع الإشارة إلى هذا المعنى عند الجاحظ في معرض حديثه عن خصائص كلام الرسول صلى الله عليه وسلم الذي "لم يسمع الناس بكلام قط أعمّ نفعاً، ولا أقصد لفظاً" [2]، وقد أشار الجاحظ لمصطلح الاقتصاد في موضع آخر بقوله:"وفي الاقتصاد بلاغ" [3]. ويقصد الإيجاز وقلة الحروف والألفاظ مع الوفاء بالمعنى فالإيجاز في نظره"هو حسن الإفهام وقلة عدد الكلام" [4]، ويستلهم هذا المعنى الاقتصادي ابن رشيق بقوله:"الإيجاز إجاعة اللفظ وإشباع المعنى"[5].

4-الإيجاز أسلوب الهجاء والرثاء والاستعطاف:

إن ارتباط الإيجاز بهذه الأغراض يعود إلى طبيعة المقام الذي يقال فيه، فهو مقام حزن وقلق وانفعال وغضب، نقل الجاحظ" أنه قيل لأعرابي: ما بال المراثي أجود أشعاركم؟قال:لأنّا نقول وأكبادنا تحترق"[6]. ثم إن الغرض من الهجاء والرثاء هو انتشار هذه الأشعار للتذكير بالخصال الحميدة للرجل والبكاء عليه، أو التشهير بذميم صفاته، ونشر هناته ولا سبيل لانتقال هذه

---

[1]- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت395هـ).كتاب الصناعتين الكتابة والشعر. تح: د.مفيد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت، ط 2، 1984م، ص194.

[2] - الجاحظ. البيان والتبيين.ج2.ص17.

[3] - المصدر نفسه.ج1.ص255.

[4] - المصدر نفسه.ج2.ص17.

[5] - أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت 456 هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح الدكتور محمد قرقزان، دار المعرفة بيروت، ط1، 1988 م، ج2.ص241.

[6] - الجاحظ، البيان والتبيين.ج2.ص320.

الأشعار غير الإيجاز، فهي في غالبها لا تتعدى بضعة أبيات، فقد قيل لعقيل بن علقمة لم لا تطيل الهجاء؟ قال: يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق".[1]، وقيل لأبي المهوش: لم لا تطيل الهجاء ؟ قال:"لم أجد المثل النادر إلا بيتاً واحداً و لم أجد الشعر السائر إلا بيتاً واحداً"[2].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه-:" من خير صناعات العرب الأبيات يقدّمها الرجل بين يدي حاجته يسترزل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم"[3].

وفي هذه الأغراض يتم التركيز على أهم الأمور وأظهرها وأولاها في نظر المتكلم.

5 – الإيجاز مظهر من مظاهر التديّن:

جاءت دعوة الإسلام بالنهي عن الإسراف والفضول، والاشتغال بما زاد عن الحاجة وذلك للتفرّغ للمهم من أمور الحياة، والاشتغال بالعبادة، فقد روي عن النبي صلى لله عليه وسلم أنه قال: (ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى)[4]، وهذا منهج عام يشمل جوانب الحياة كلها فقد نهى نهى صلى الله عليه وسلم عن الإسراف في المأكل والمشرب و الحديث و العبادة ؛كالنهي عن الوصال في الصوم، والإسراف في الماء عند الوضوء وغيرها، ودعا إلى الاقتصاد والتوسّط في البذل والإنفاق بما لا يجاوز الحاجة، وقد جاءت الأحاديث الكثيرة تبيّن هذا المنهج القويم الذي جعل من الإيجاز أسلوبا حياتيا ومقصدا شرعيا، من ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة قال: "كنت أصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا "[5]، كما نهى صلى لله عليه وسلم عن كثرة الكلام في قوله: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)[6]، وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يقول لآخر"كفاك الله ما أهمك" فقال النبي صلى الله عليه وسلم:"...هذه بلاغة"[7].

---

[1] -المصدر نفسه، ج1.ص207.

[2] – المصدر نفسه ، والصفحة نفسها..

[3] – المصدر نفسه.ج2.ص320.

[4] صحيح ابن حبّان بترتيب ابن بلبان، مراجعة الشيخ: شعيب الأرناؤوط، بيروت، (د ط)، 1993 م، ج 8، ص 121

[5] – مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261 هـ) صحيح مسلم، مراجعة محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت، (د ط)، 1954م، ج 2، ص 591 باب" تخفيف الصلاة والخطبة "

[6] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت256 هـ) صحيح البخاري، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط3، 1987م ، ج5، ص 2376 .

[7] – أبوهلال العسكري. الصناعتين.ص180.

فالإيجاز من منظور شرعي هو ضدّ الإسراف والتبذير وتجاوز الحدّ في القول والعمل وسائر التكاليف الشرعية، وهو السبيل إلى توخي الصدق وتحري الحقيقة والنجاة من السقط.

6 – المحافظة على نشاط المتلقي:

إن قدرة الاستيعاب محدودة، والمحافظة على انشداد وتركيز السامع هي غاية كل مخاطب، لذا فإن الكلام الموجز أقرب إلى النفس، وأبلغ تأثيراً فيها " فهو يندغم فيها ويعلق على جوانبها بحيث يعود من الصعب إزالته من الذاكرة"[1]. وهذا ما أشار إليه أبو هلال العسكري في قوله:" إن للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية وما فضل عن مقدار الاحتمال دعا إلى الاستثقال وصار سبباً للملال فذلك هو الهذر والإسهاب والخطل"[2]، والمتلقي لا يزال قادراً على الاستيعاب والاستماع والتركيز ما لم يصر الكلام إلى إطناب وتكرار ممجوجين.

[1] – سمير أبو حمدان. الإبلاغية في البلاغة العربية، منشورات عويدات الدولية. بيروت.ط1، 1991م..ص129.

[2] – أبو هلال العسكري.المصدرنفسه .ص180-181.

المبحث الأول: تعريف الإيجاز:

أ- لغة:

يأتي الإيجاز في اللغة بمعنى: " وجز الكلام وجازة ووجزاً وأوجز: قلّ في بلاغة، وأوجزه اختصره، وكلام وجز: خفيف، وأمر وجز و واجز ووجيز وموجز وموجزٌ، و الوجزُ: الوحي؛يقال أوجز فلان إيجازاً في كل أمر، وأمرٌ وجيزٌ، وكلام وجيزٌ، أي خفيف مقتصر، قال رؤبة:

لولا عطاء من كريم وجز

أبو عمرو: الوجزُ السريع العطاء، يقال: وجز في كلامه وأوجز؛ قال رؤبة:

على حَزَابيّ جُلالٍ وَجْز

يعني بعيراً سريعاً.

وأوجزت الكلام قصرته، وفي حديث جرير: قال له عليه السلام: (إذا قلت فأوجز)، أي أسرع واقتصر. وتوجّزت الشيء: مثل تنجَّزته، ورجل ميجازٌ: يوجز في الكلام والجواب، وأوجز القول والعطاء: قلّله وهو الوجز؛ قال: ما وجز معروفك بالرماق، ورجل وجز: سريع الحركة فيما أخذ فيه والأنثى بالهاء"[1].

-كما ورد في القاموس المحيط: "الوجز: السريع الحركة والسريع العطاء، والخفيف من الكلام والأمر. وأوجز الكلام: قلَّ، وأوجز كلامه: قلّله وهو ميجازٌ، وأوجز العطية: قلّلها . وتوجَّز الشيء تنجَّزه والتمسه"[2]

فالمصطلح يدل إجمالاً على التخفيف والتقليل، والسرعة والاقتصاد ، وكلها من جنس

---

[1] – ينظر:أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار المعارف، ط1، (د، ت).مادة " وجز" ، وعلي بن اسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة تح: عبد الستار أحمد فراح، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ط1 1958 م، مادة "وجز" .

[2] – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت817هـ).القاموس المحيط، تح: أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي ، دار الكتب العلمية بيروت، ط 2، 2007 م، مادة "وجز".

الإيجاز والإيحاء وهذه الأمور تشمل القول والفعل.

ب اصطلاحا:

يدرس البلاغيون مصطلح الإيجاز ضمن مباحث علم المعاني الذي هو أحد علوم البلاغة الثلاثة، وللموضوع ارتباط وثيق بالدراسات البيانية والبحوث البلاغية الرامية إلى إظهار مواطن الإعجاز البياني للنص القرآني وإبراز إبداعه وتفوقه في فنون القول وأساليب الخطاب، والذي يعنينا في هذا المبحث هو تتبع تطور المصطلح عند القدماء والمحدثين، وذكر التعاريف المتعددة التي رآها أصحابها كفيلة بتبيين حقيقة الإيجاز، وأنواعه، وإظهار مكامن الحسن فيه .

1 – عند القدماء:

فقد كانت الإشارات الأولى للموضوع مبثوثة في نصوص نقلها الجاحظ تثبت اهتمام الأوائل بالإيجاز وهي في كثير من الأحيان تعبّر عن رأيه وقناعته، ومن أشهر الأخبار التي نقلها حوار جرى بين صحار العبدي، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه– لما سأله معاوية عن الإيجاز فقال:"أن تجيب فلا تبطئ، وتقول فلا تخطئ"[1]. والجاحظ لا يكتفي بنقل المحاورة فحسب بل يستدرك على صحار برفضه أن يكون الإيجاز هو التقليل في عدد الحروف، والألفاظ، فالإيجاز في نظره "هو الجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة" [2]. ويواصل توضيح مراده بقوله:" والإيجاز ليس يعنى به قلة عدد الحروف واللفظ، وقد يكون الباب من الكلام من أتى عليه فيما يسع بطن طومار فقد أوجز"[3] ويوضح الدكتور شوقي ضيف مراد الجاحظ من ذلك بقوله:"على أن أبا عثمان لم يعن بالإيجاز مجرد قصر الألفاظ وقلة كميتها، وإنما أراد مساواتها الدقيقة للمعاني دون زيادة وقد يمتد الكلام صفحات ويسمى موجزاً"[4] "ما لم يجاوز مقدار الحاجة ووقف عند منتهى البغية" [5]، والجاحظ من أكثر الناس التزاماً بقانون المناسبة في الخطاب فهو القائل لكل مقام مقال "فللإطالة

---

[1] – الجاحظ.، كتاب الحيوان، تح: عبد السلام هارون. مطبعة الحلبي، ط2، 1965 م. ج1، ص91.

[2] –المصدر نفسه.ج3.ص86.

[3] – المصدر نفسه، ج 1، ص 91.

[4] – الدكتورشوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دارالمعارف، القاهرة، ط9، 1995 م، ص 4.

[5] – الجاحظ، كتاب الحيوان، ج6.ص7.

موضع وليس ذلك بخطل، وللإقلال موضع وليس ذلك من عجز"[1]. فالكلام وإن طال في بعض المواطن لا يخرج عند الجاحظ عن دائرة الإيجاز مادام الهدف هو الإيضاح والإبانة في حين لا يعدّ كل ما يحجب المعنى، أو يتسبب في إغلاقه وغموضه إيجازاً، فالمتكلم" ينبغي له أن يحذف بقدر ما لا يكون سبباً لإغلاقه"[2]. وقد ربط الجاحظ الإطالة بأجناس القول كما ربط الإيجاز بأجناس أخرى.

وقد جمع الجاحظ في كتاب له يسمى" نظم القرآن "شواهد متعلقة بالإيجاز في القرآن الكريم، وجاءت الإشارة إليه بقوله": ولي كتاب جمعت فيه آياً من القرآن لتعرف فضل مابين الإيجاز والحذف، وبين الزوائد والفضول، والاستعارات، فمنها قوله تعالى حين وصف خمر أهل الجنة قال تعالى :(لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ)[3]، وهاتان الكلمتان قد جمعتا جميع عيوب خمر أهل الدنيا..."[4]، وظلت شواهد الجاحظ هي الأكثر تداولاً بين البلاغيين والدارسين لا يجاوزونها إلا في القليل النادر .

وإذا تقدمنا إلى المرحلة الثانية فرسالة الرماني(ت 386هـ) النكت في إعجاز القرآن تعتبر النص المؤسس لظاهرة الإيجاز، فبعد حديثه عن بلاغة القرآن واصفاً إياها بأعلى طبقة في الحسن تحدث عن أقسام البلاغة بقوله" والبلاغة عشرة أقسام:الإيجاز والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان" [5] فانظر كيف جعل الرماني الإيجاز في صدارة أقسام البلاغة وباباً من أبواب إثبات الإعجاز البياني للقرآن" ومعنى هذا أن الإيجاز سيكون المقياس الذي يستطرد منه إلى بقية المظاهر المكونة لهذا الباب كالإطناب والتطويل"[6].

---

[1] –المصدر نفسه .ج1.ص93.

[2] – المصدر نفسه ج 1، ص 91

[3] سورة الواقعة الآية 19

[4] – المصدر نفسه.ج3.ص86.

[5] – الرماني. النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.تح:محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام. دار المعارف مصر، ط3، 1976م، ص76.

[6] – نور الهدى باديس .بلاغة الوفرة وبلاغة الندرة .ط1. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1 . 2008 م .ص28.

وقد حدّه الرماني بقوله:" الإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى، وإذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة، ويمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة فالألفاظ القليلة إيجازٌ"[1]، ويتوسع الرماني في تحديد مفهوم الإيجاز، ودلالاته ولا يقف عند حد اللفظ. "فالإيجاز تهذيب الكلام بما يحسن به البيان، والإيجاز تصفية الألفاظ من الكدر وتخليصها من الدرن، والإيجاز البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ، والإيجاز إظهار المعنى الكثير باللفظ اليسير"[2].

فيظهر من الوهلة الأولى أن الرماني اعتمد في تعريفه على الناحية الكميّة من خلال قوله"تقليل الكلام" لكنه أردفه بشرطين مهمين هما:

-أداء المعنى: فلا يمكن أن يقبل الكلام مهما كانت صورته إذا أخل بالمعنى هذا فضلاً على أن يوصف بالإيجاز.

-تصفية الكلام وتهذيبه وتخليصه من الزيادات التي لا تحقق وظيفة بلاغية أو بيانية فلا عبرة للطول والقصر. ويذهب الرماني إلى ما ذهب إليه الجاحظ بقوله: " وقد يطول الكلام في البيان عن المعاني المختلفة وهو مع ذلك في نهاية الإيجاز، وإذا كان الإطناب لا مترلة إلا ويحسن أكثر منها فالإطناب حينئذٍ إيجاز"[3]. فالعبرة بأداء المعنى وتبيانه وإن بدا في ظاهر الكلام طول فالمقامات مختلفة ويمثّل لذلك بقوله:"كصفة ما يستحقه الله تعالى من الشكر على نعمه فإطناب فيه إيجاز" [4]؛ لأن العبد مهما عدّد نعم الله وأفضاله عليه وأطال فيها الكلام فهو موجز ولا يمكن أن يؤدي شكرها وحمدها وإحصاءها.

وبعد حديثه عن حدّ الإيجاز والشروط التي تضبطه شرع في الحديث عن وجهي الإيجاز بقوله:" والإيجاز على وجهين:حذف وقصر، فالحذف إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام، والقصر بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف" [5] وساق لكل منهما أمثلة من القرآن الكريم-لأن الرسالة في إعجاز القرآن- فعقد مقارنة بين قوله

---

[1] -الرماني، المصدر السابق. ص76.

[2] - المصدر نفسه.ص80.

[3] -المصدر نفسه والصفحة نفسها .

[4] - المصدر نفسه و الصفحة نفسها.

[5]- المصدر نفسه. ص76.

تعالى:﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[1]، وقول العرب(القتل أنفى للقتل) للاستدلال على إعجاز القرآن، وقد وجد أن الآية القرآنية فاقت قول العرب من أربعة وجوه تناولها بالبسط والتحليل ونحن نذكرها إجمالاً، فعبارة القرآن أكثر فائدة، وأوجز عبارة، وأبعد عن التكرار كما هي أحسن تأليفاً بالحروف المتلائمة.

ويرى الرماني أن إيجاز القصر أدقّ من إيجاز الحذف، "فحينما نتأمل إيجاز القصر نجد له طبيعة خاصة تجعله متميّزا، فالكلام الذي يصاغ من أول أمره على الإيجاز أو يدخل في بنية تركيبه و لم يعرض له حذف أدق مسلكا من إيجاز الحذف لأن الحذف يعني أن العبارة جرت على المعنى و امتدت بامتداده ثم سقط جزء منها وأقيم عليه الدليل، أما إيجاز القصر فإنه تطويع للمعنى الكثير و إلباسه بنية لفظية قليلة، وهو جهد صعب لأنه يعني ضغط المعنى ضغطا حاذقا لا يضيّع منه شيئا، ولهذا احتاج هذا الأسلوب إلى فطنة ووعي، وسليقة دربة تعرف كيف نصطنع اللمح والإيحاء واللفظ فيه يدل على معنى ويوميء بثان وثالث". [2]

والملاحظ على جهود الرماني في تعريف الإيجاز هو بداية التقسيم والتفريق بين وجهين من الإيجاز، وظهور تسمية إيجاز القصر و إيجاز الحذف، وتطبيقاتهما بشكل واسع على النص القرآني، وكذا استخراجه لكثير من الشواهد القرآنية التي ظلت الأكثر تداولا عند من جاؤوا بعده.

وبعد الرماني يستوقفنا أبو منصور الثعالبي (ت 429هـ) بكتابه"الإعجاز والإيجاز" وقد تحدث في مقدمته عن الإيجاز القرآني بقوله:" من أراد أن يعرف جوامع الكلم وينبه على فضل الإعجاز والاختصار، ويحيط ببلاغة الإيماء، ويفطن لكفاية الإيجاز فليتدبر القرآن، وليتأمل علوّه على سائر الكلام، فمن ذلك قوله عز ذكره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[3] , استقاموا كلمة واحدة تفصح عن الطاعات كلها في الائتمار والانزجار" [4]

---

[1] – سورة البقرة، الآية 179.

[2] - محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، مطبعة وهبة القاهرة ط2، 1997 م، ص92، 93 (بتصرف)

[3] – سورة الأحقاف ، الآية13.

[4] – أبو منصور الثعالبي (ت429هـ)، الإعجاز والإيجاز، تح: محمد إبراهيم سليم، مكتبة القرآن، القاهرة(د ط) 1999 م، ص10.

وهو بذلك يشير إلى ما تختزنه المفردة القرآنية من معانٍ وفيرة، ودلالات كثيرة، وكتاب الإعجاز والإيجاز غني بشواهد الإيجاز من الحديث النبوي الشريف، وكلام الخلفاء والحكماء، وأشعار العرب، وأقوالهم.

ومن النصوص المهمة والمؤرخة لظاهرة الإيجاز في تاريخ التأليف البلاغي نص العسكري إذ يعتبر" أول نص مهم في قضية الإيجاز والإطناب بعد الرماني" [1] فقد خصّص باباً كاملاً هو الباب الخامس مكونا من فصلين؛ فصل للإيجاز، وفصل للإطناب، وقد أفاض في الحديث عن الإيجاز بنوعيه القصر، والحذف، ومثل لكل منهما من القرآن الكريم، والفصيح من الشعر والنثر.

وفي حدّه للإيجاز اعتمد على ما نقله أصحاب البلاغة من أقوال هي غاية في الدقة والإحاطة منها قولهم ": الإيجاز قصور البلاغة على الحقيقة، وما تجاوز مقدار الحاجة فهو فضل دخل في باب الهذر والخطل، وهما من أعظم أدواء الكلام وفيهما دلالة على بلادة صاحب الصناعة"[2]، ويفهم من هذا أن بلاغة الإيجاز تنتهي عند إظهار الحقيقة والاكتفاء من الكلام بقدر الحاجة دون الزيادة فقد قيل لبعضهم: ما البلاغة؟ فقال: الإيجاز، قيل: وما الإيجاز؟، قال:حذف الفضول وتقريب البعيد[3].

"وأوّل ما يلفت النظر في مسألة الحد تعريفه الإيجاز تعريفاً لا يخلو من غموض، ففي أي معنى يجري لفظ الحقيقة القائم في هذا التعريف كالعمدة فيه؟ وكيف يكون الإيجاز حركة تجعل البلاغة مقصورة على الحقيقة؟"[4] فالظاهر أنه لا يقصد بالحقيقة مقابل المجاز، وإنما هي في التعبير عن الشيء بما هو عليه بحيث يكشف المتكلم مباشرة على غرضه ويؤدي المعنى من أقصر سبيل وأبعده عن التكلف، والعسكري باستعماله لفظ قصور، فهو يشير إلى كل ما من شأنه أن يدخل في بيان الكلام، وتمام معناه ثم لا يتعداه إلى غيره، وهذا يدخل في باب الإيجاز ما دام ضروريا لإظهار حقيقة المراد وتمامه، وهذا ما ذهب إليه في تفضيله الآية الكريمة: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾ [5]على قول العرب "القتل أنفى للقتل"، بقوله:"فمعاني هذا الكلام

---

[1] – نور الهدى باديس، بلاغة الوفرة وبلاغة الندرة.ص45.

[2] أبو هلال العسكري، الصناعتين ص193

[3] –المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[4] – نور الهدى باديس.المرجع السابق، ص47.

[5] سورة البقرة، الآية 179

أكثر من ألفاظه، وإذا أردت أن تعرف صحة ذلك فحلّها وابنها بناء آخر فإنك تجدها تجيء في أضعاف هذه الألفاظ"[1]، وفي هذا إشارة إلى الزيادة في المعاني المتولدة من الآية وهي ضمن دائرة الإيجاز.

كما يمكننا الاستفادة من القول الذي تبناه العسكري "الإيجاز قصور البلاغة على الحقيقة" في إقرار قانون مراعاة المناسبة بين المتكلم والسامع، فمستويات الخطاب تختلف باختلاف مقامات المتكلمين، ومقامات المستمعين، فكل ما زاد عن حاجة المتلقي فهو خارج عن البلاغة .وقد تميّز حديث العسكري عن الإيجاز بكثرة الشواهد وتنوّعها؛ بين القرآن والحديث الشريف، والكلام الفصيح من شعر ونثر، فمدونته منهج تطبيقي لكل ما أورده من أحكام وآراء وحدود.

أما الجرجاني(ت471 أو474هـ) فلا يمكن أن ندرس ظاهرة الإيجاز عنده إلا في إطار نظرية النظم التي تعد أعظم ما وصل إليه التفكير البلاغي عند العرب في القرن الخامس، فالرجل لم يخصّص لظاهرة الإيجاز بابا خاصا مثلما فعل من سبقه من البلاغيين، إلا ما كان منه من حديث مطوّل عن الحذف وأسراره، وبعض الشذرات في كتابيه دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة فيها حديث عن الحذف والزيادة.وأوّل ما يلاحظه في دراسته للبلاغة رفضه ما ذهب إليه البلاغيون في إرجاعهم البلاغة والفصاحة إلى اللفظ وحده، بينما يرجعها هو إلى المعنى فقال في معرض ردّه على القاضي عبد الجبار المعتزلي: "وفخّموا شأن اللفظ وعظّموه حتى تبعهم في ذلك من بعدهم، وحتى قال أهل النظر:(إن المعاني لا تتزايد إنما تتزايد الألفاظ)فأطلقوا كما ترى كلاما يوهم كل من سمعه أن المزية في حاقّ اللفظ ؟"[2] ويستطرد الجرجاني في تبيين مزية المعنى على اللفظ ويدلل على ذلك بالمعاني المرادة في الكناية والمجاز والاستعارة إذ لا يعود الفضل فيها للألفاظ بل لما تحمله من معان ودلالات، فهو يرى —مثلا – أن الاستعارة تكون في معنى اللفظ، "فالمستعار بالحقيقة يكون معنى اللفظ و اللفظ تبع "[3]والأمر كذلك بالنسبة للمجاز، " وإذا عرفت ما لزمهم في الاستعارة والمجاز فالذي يلزمهم في الإيجاز أعجب وذلك أنه يلزمهم إذا كان اللفظ فصيحا لأمر يرجع إليه نفسه دون معناه أن يكون كذلك موجزا لأمر يرجع إلى نفسه وذلك من المحال الذي

---

[1] – أبو هلال العسكري.الصناعتين . ص175.

[2]-الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، كتاب دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق:أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة (د ط) 2000 م، ص 63

[3] –المصدر نفسه، ص 460.

يضحك منه لأنه لا معنى للإيجاز إلا أن يدل بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى وإذا لم تجعله وصفا للفظ من أجل معناه، أبطلت معناه أي أبطلت معنى الإيجاز "[1] إذ لا معنى في نظره لتقليل اللفظ إن لم تجعله وصفا له من أجل معناه، لأنك بذلك تبطل معنى الإيجاز دفعة، إذ لا سبيل إلى تكثير المعنى أو تقليله في مستوى بنية اللفظ والأصوات التي تكونه.. وهو ينظر إلى المسألة من باب "أن المعاني المودعة في الألفاظ لا تتغيّر على الجملة عما أراده واضع اللغة .. فلا معنى لقولنا:(كثرة المعنى مع قلة اللفظ) "[2]، والمسألة تعود بالأساس إلى قدرة المتكلم ومنشيء الخطاب على بناء نص مكثف يدل فيه المعنى على معنى آخر مشتق منه، وهذا ما اصطلح عليه بمعنى المعنى، "فالمتكلم يتوصل بدلالة المعنى على المعنى إلى فوائد، ولو أنه أراد الدلالة عليها باللفظ لاحتاج إلى لفظ كثير"[3]. وبالتالي يكون الجرجاني قد تخلص من اعتبار الكم في قضية الإيجاز وفتح الباب أمام توليد المعاني والاستدلال عليها ببعضها بطريقة الإيحاء والتأويل.

كما تعرّض ابن الأثير(ت637هـ) في كتابه المثل السائر لموضوع الإيجاز وخصّص له باباً مطولاً ومشبعاً بالأدلة والشواهد مستفيداً من دراسات سابقيه، ومضيفاً إليها ما أمكنه من الشواهد المسموعة، والمصنوعة. فقد حد الإيجاز بقوله:"هو دلالة اللفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه"[4]، وأردف قائلاً" والتطويل هو ضدّ ذلك، وهو أن يدل على المعنى بلفظ يكفيك بعضه في الدلالة عليه"[5]، ولعل جمع ابن الأثير للتعريفين في موضع واحد هو من باب إظهار الفرق بينهما، وبيان حقيقة كل منهما، فشرط الإيجاز هو أداء المعنى دون زيادة، ويتأتى ذلك ب "حذف زيادات الألفاظ، وهذا نوع من الكلام شريف، لا يتعلق به إلا فرسان البلاغة، وذلك لعلو مكانه، وتعذر إمكانه"[6]، وبهذا النعت يضع ابن الأثير الإيجاز على ذروة البلاغة، ويجعله من بلاغة الخاصة وليس في متناول الجميع .

ويرجع ابن الأثير السرّ في بلاغة الإيجاز"إلى المعاني لا إلى الألفاظ، ولست أعني بذلك أن

---

[1]– المصدر نفسه ص 463 .

[2]– المصدر نفسه ص464.

[3]–المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[4] – أبو الفتح ضياء الدين بن محمد الموصلي ابن الأثير، . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، .تح:أحمد الحوفي.و بدوي طبانة.. دار الرفاعي الرياض، ط 2، 1983 م.ج2، ص 307.

[5] –ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص 307.

[6] – المصدر نفسه.ص303.

تهمل الألفاظ بحيث تعرى عن أوصافها الحسنة، بل أعني أن مدار النظر في هذا النوع إنما يختص بالمعاني، فربّ لفظ قليل يدل على معنى كثير، وربّ لفظ كثير يدل على معنى قليل" [1]، ثم تحدث ابن الأثير عن أقسام الإيجاز، مبتدءا بالإيجاز بالحذف، مكتفيا في تبرير الحذف بدلالة فحوى الكلام على المحذوف، أي باعتماد السيّاق وسكت عن دلالة الحال التي ألحّ عليها الرماني، والمحذوف في نظره يظهر بالإعراب، ومنه ما يظهر بالنظر لتمام المعنى.

وأما القسم الثاني من الإيجاز فهو مالا يحذف منه شيء، وهو ضربان:

- **أحدهما**:ما ساوى لفظه معناه، ويسمى "التقدير".

- **الآخر**: ما زاد معناه على لفظه، ويسمى"الإيجاز بالقصر" [2]، فالضرب الأول الذي سماه التقدير هو ليس من الإيجاز عند جمهور البلاغيين، وإنما هو قسم مستقل يسمونه (المساواة)، وربما كان يقصد أن تكون الألفاظ على قدر المعنى جرياً على قانون مراعاة مقتضى الحال، وإن كانت التسمية"لا تخلو من الغرابة والالتباس" [3]، ثم انتقل بعد ذلك إلى الضرب الثاني وسمّاه القصر إلا أنه أضاف إضافة جديدة لم يذكرها السابقون رغم اشتراكهم في التسمية، فقد قسّم الإيجاز بالقصر إلى قسمين:

أحدهما: ما دلّ لفظه على محتملات متعددة، وهذا يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدتها.

والآخر: ما يدل لفظه على محتملات متعددة، ولا يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدتها.

وابن الأثير بهذا التقسيم يخالف كل من سبقه، وهو يدرك ذلك فتراه يجيب عن أسئلة يطرحها على لسان منتقديه ويجيب عنها مبدياً رأيه وحجته.

وللسكّاكي في تعريف الإيجاز رأيٌ حاز كثيراً من العناية من قبل الشرّاح والبلاغيين القدامى، واستمر النقاش حوله عند المتأخرين والمعاصرين إذ يقول: "أما الإيجاز والإطناب فلكونهما نسبيين لايتيسّر الكلام فيهما إلا بترك التحقيق والبناء على شيء عرفي، مثل جعل كلام الأوساط على مجرى متعارفهم في التأدية للمعاني فيما بينهم، ولابد من الاعتراف بذلك مقيساً

---

[1] – المصدر نفسه و الصفحة نفسها

[2] – المصدر نفسه .ص367.

[3] – نور الهدى باديس .بلاغة الوفرة وبلاغة الندرة.67.

عليه، ولنسمّه متعارف الأوساط، وأنه باب البلاغة لا يحمد منهم ولا يذمّ، فالإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقل من متعارف الأوساط"[1].

إن اعتراف السكاكي بالنسبيّة في تحديد الإيجاز والإطناب جعله يفكر في معيار يقاس عليه، ويتخذ مرجعاً في تحديد مستوى الإيجاز والإطناب، وهو في نظره متعارف الأوساط، والإشكال يبدأ من تحديد الأوساط[2]، وهذا أمرٌ في غاية النسبية، فالكلام في نظره إذا قلّ عن متعارف الأوساط فهو موجز وإن زاد عنه فهو مطنب، والمقيس عليه يجب أن يلقى قبول الطرفين حتى يكون مؤهلاً للاحتكام إليه فلابد من الاعتراف بذلك، وقول السكاكي غاية في الوجاهة إذ العملية التعبيرية هي عملية نسبيّة، وليست عملية رياضية دقيقة، ثم إنها تخضع لحال المخاطبين ومستوياتهم وقدراتهم على الفهم والاستيعاب، وقد ردّ القزويني على السكاكي بقوله:"ثم البناء على المتعارف والبسط الموصوف ردّ إلى الجهالة، والأقرب أن يقال: المقبول من طرق التعبير عن المراد تأدية أصله بلفظ مساوٍ له أو ناقص عنه وافٍ، أو زائدٍ عليه لفائدة، واحترز بوافٍ عن الإخلال"[3]، فقوله:"ناقص عنه واف" يشير إلى الإيجاز فهو ناقص لفظاً وافٍ معنىً. فواضح أن القزويني يرفض المعيار الذي اشترطه السكاكي، ويردّ الحكم في القضية إلى طريقة التعبير فالكلام إما أن يكون مساواة، أو إيجازا، أو إطنابا.

2- عند المحدثين (الدراسات الحديثة)

لا تقلّ عناية الباحثين المعاصرين في مجال البلاغة، والأسلوب والأسلوبية عن اهتمامات المتقدمين الذين سبق الحديث عن آرائهم، فلقد اهتم المحدثون والمعاصرون بدراسة الإيجاز في إطار السياق وتركيب الجملة، والعلاقة بين اللفظ والمعنى، فنظروا إلى الإيجاز باعتباره خطابا مبنيًا على الاقتصاد في اللفظ والتكثيف في المعنى، ففي الإيجاز شحنات كامنة لا تقف عند المعنى الأوليّ الظاهر" فكل كلام نقوله محتمل ضرورة معنى ثانيا لابد من البحث عنه، وإن لم يكن واضحاً في ظاهر القول"[4]، فاللغة في غير الإيجاز والتكثيف لا تدل سوى على المعنى الظاهر من اللفظ وهو ما

---

[1] – أبو عبد الله جلال الدين بن عمر القزويني.(ت739 هـ) التلخيص في علوم البلاغة. دار الفكر العربي.ط 1، ص209.

[2] – الأوساط:الذين لم يرتقوا إلى ذروة البلاغة، و لم يتدلوا إلى حضيض العيّ والفهاهة. المصدر نفسه.ص210.

[3] –المصدر نفسه، ص210.

[4] – نور الهدى باديس، المرجع السابق .ص112.

اصطلحوا عليه"الدرجة الصفر" بينما في الإيجاز يدل على المعنى والمعنى الثاني، أو معنى المعنى، وما يسمى بدلالة التوالد فالخطاب بنية متعددة الدلالات تنفتح عن معانٍ كثيرة يحتملها النصّ، ولقد توسعوا في دراسة الظاهرة بالحديث عن ضرورة مراعاة السياق العام الذي يترل فيه الخطاب، واحترام وضع المخاطب من حيث قدرته اللغوية واستعداده لقبول الخطاب وفهم أبعاده، كما أشاروا إلى الدلالة الإيحائية للنص، فالتكثيف يؤدي إلى استيعاب المعنى، والقدرة على الإلمام بجوانبه، وهذا يفتح باب التخيّل والاحتمال على مصراعيه أمام المتلقي ليفيد منه بحسب خبرته، ويتخيل من الصور والمعاني بحسب ما يمكن أن يوحي به النص وينسجم معه، فيتسع في تصور الدلالة الإيحائية اتساعاً لا يمكن للشاعر أو الكاتب أن يحدثه في نفس المتلقي لو لم يعمد إلى مثل هذا الأسلوب من الكلام"[1]، ولازالت الدراسات تحفل ببحوث حديثة تثري البحث في بلاغة الإيجاز باعتباره بناء لغويا وخطابا يتميز بالاقتصاد في البناء والكثافة في الدلالة إذ تنبعث من نسجه دلالات وإيحاءات كثيرة.

ومن أبرز هذه الدراسات ما قام به عبد الله درّاز، إذ لا يمكن الحديث عن الإيجاز في الدرس البلاغي الحديث دون الرجوع إلى كتابه النبأ العظيم؛ هذا الكتاب الذي يعدّ إضافة رائعة في مجال الدراسات البيانيّة، وهو يعكس مكانة صاحبه ومدى تمكنه من علوم اللغة والبيان ، فهو الفنان المبدع، والذواقة المستبصر بأساليب القرآن وفنونه، وقبل الحديث عن تعريفه للإيجاز تجدر الإشارة إلى تأثره بالتعريفات الحديثة من خلال استعماله للفظي الاستثمار والتوليد، عند قوله:"إن القرآن الكريم يستثمر دائماً برفق أقلّ ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني" [2]، ويشير بلفظ (دائما) إلى كل ظروف التنزيل، وأحوال المخاطبين رغم اختلاف البيئة، " فالإيجاز ظاهرة بارزة فيه كله يستوي فيها مواضع إجماله التي يسميها الناس مقام الإيجاز، ومواضع تفصيله التي يسمونها مقام الإطناب، ولذلك نسميه إيجازٌ كله" [3]، وبهذا الرأي يخالف عبد الله درّاز من سبقه من الباحثين، والدارسين، وحجته في ذلك أن القرآن في كلا المقامين لا يجاوز سبيل القصد،

---

[1] – مجيد عبد المجيد ناجي. الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1984م .ص129.

[2] – عبد الله دراز، النبأ العظيم. مطبعة السعادة بمصر(د ط)، 1960 م، ص159.

[3] – المصدر نفسه والصفحة نفسها.

ولا يميل إلى الإسراف ميلاً ما"[1]، فألفاظه جاءت لتأدية المعاني التي وضعت لها دون إفراط أو تفريط، حيث نرى أن مراميه في كلا المقامين لا يمكن تأديتها كاملة العناصر، والحلى بأقل من ألفاظه بما يساويها، "فليس فيه كلمة إلا وهي مفتاح لفائدة جليلة، وليس فيه حرف إلا جاء لمعنى"[2]، فالعبرة في نظره بتأدية المعنى وبلوغ الغاية لا بطول الكلام أو قصره، و لم يفته الحديث عن المقياس الذي يعدّ حداً فاصلاً بين الإيجاز والإطناب، " فالمقياس هو المقدار الذي يؤدى به المعنى بأكمله بأصله وحليته على حسب ما يدعو إليه المقام من إجمال أو تفصيل بغير إجحاف، ولا إسراف، هذا القدر الذي من نقص عنه أو زاد عده البلغاء حائداً عن الجادة بقدر ما نقص أو زاد"[3]، فهذا المعيار الذي جعله عبد الله دراز أساساً لتحقيق الإيجاز يخالف ما قاله السكّاكي قبله- متعارف الأوساط- وهو ما يتكلم به أوساط الناس في خطاباتهم المتعارف عليها فما نقص عن ما تعارفوا عليه ووفى بالمعنى فهو الإيجاز، وما زاد عنه مع الإفادة فهو الإطناب، والبناء على العرف كما سبقت الإشارة إليه رداً إلى الجهالة وهو معيار لا يطّرد مع كل الحالات" لأن العوام يتكلمون في المعنى الواحد باللفظ المطول تارة، وبالمختصر تارة أخرى، و لم يتحرّوا إصابة المجزّ في كل منهما، أما الثاني فلأن اللفظ الذي وضع في اللغة لتأدية المعنى الأول مختلف، فمنه ما يؤديه بوجه مجمل، ومنه ما يؤديه بلفظ مفصل، وكل من الإجمال والتفصيل يتفاوت في نفسه تفاوتاً كبيراً، فلا ينضبط منهما قدر يرجع إليه في معرفة الإيجاز والإطناب ؛ إذ ما من كلام وجيز إلا ويمكن تأدية معناه الإجمالي بأقل من لفظه أو بما يساويه وإن لم يغن غناءه، و لم يوف وفاءه حتى المثل الذي عدوه علماً بالإيجاز وهو قوله تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[4] يمكن تأدية أصل معناه بقولك"انتقم تسلم" و"اقتص تحيا".[5] لكن لماذا نجد في القرآن مواطن إجمال وأخرى مواطن تفصيل، بل يأتي المعنى تارة مجملاً، ويأتي تفصيله في مقام آخر؟. يجيب عبد الله دراز بنفسه عن هذا السؤال بمثال جاء في قوله تعالى: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ

[1] – المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[2] – المصدر نفسه.والصفحة نفسها.

[3] – المصدر نفسه .ص161.

[4] – سورة البقرة الآية 179.

[5] عبد الله دراز، النبأ العظيم، ص 160.

قِصَاصٌ)[1] لأنه إيجاز وقد جاء بسطه في قوله تعالى: (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ)[2]، " وهذا الكلام على طوله يعد موجزاً إذا قيس إلى قولك في مثل معناه" من قتل نفساً قتل بها، ومن فقأ عينا فقئت عينه، ومن جدع أنفاً جدع أنفه، ومن جدع أذناً جدعت أذنه..." [3] فهي إيجاز إذا قيست بكلام البشر لكنها ليست كذلك إذا قيست بالآية التي سبقتها مع العلم أن القرآن في كلا المقامين لا يجاوز سبيل القصد، ولا يميل إلى الإسراف ميلاً ما، فما العيب أن يقال إن القرآن أوجز في الأولى لفائدة، وأطنب في الثانية لفائدة أيضاً، وهذا مراعاة للمقام ومقتضى الحال، وجريا على سنن العرب في كلامها، والإطناب كما هو معلوم زيادة لفائدة إذ القرآن منزّه عن زيادة كلمة أو حرف لغير فائدة، والذي يمكننا قوله إن كلام عبد الله دراز وجيه إذا تعلق بالحديث عن المضمون والمعنى المراد، ففي الحالتين إيجاز إلا أنّ الأمر مختلف من حيث التركيب والبناء فليس الإجمال كالبسط.

[1] – سورة البقرة الآية194.

[2] – سورة المائدة الآية 45.

[3] – عبد الله دراز، المصدر السابق، ص 160.

المبحث الثاني: أقسام الإيجاز في الدرس البلاغي العربي:

أ - إيجاز القصر:

في بداية المبحث ارتأينا ضبط المصطلح؛ فكثيرا ما يحدث الخلط بين المصطلحين ؛ فالقصر الذي ندرسه هو نوع من الإيجاز وهو بكسر القاف وفتح الصاد من "القصر خلاف الطول، وقصرت كذا جعلته قصيرا، وقصر الصلاة جعلها قصيرة بترك بعض أركانها ترخيصا" [1]، والقصر بفتح القاف وتسكين الصاد "بمعنى الحبس، وقصرت نفسي على هذا الأمر إذا لم تطمح إلى غيره"[2]وهذا الأخير باب من أبواب البلاغة المعروفة له أقسامه وتفصيلاته.

وبالرجوع إلى موضوعنا يمكن القول إن القيمة الفنية والبلاغية لإيجاز القصر حازت اهتمام البلاغيين، فهو باب مهمّ من أبواب التعبير "وهو يعدّ أعلى طبقات الفصاحة مكاناً وأسماها مترلة"[3]، وقد جاءت الإشارة إليه عند الجاحظ بقوله:"هو الجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة"[4] فالجاحظ قد أشار إلى"ما عرف بإيجاز القصر وإن لم يسمّه"[5]، وقد حده صاحب الصناعتين ب "أن يكون اللفظ القليل مشاراً به إلى معانٍ كثيرة بإيماء إليها ولمحة تدل عليها"[6]، والرماني لا يختلف عن ذلك إلا من اشتراطه عدم الحذف "..فالقصر بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف"[7]، و عند الباقلاني "هو اشتمال اللفظ القليل على المعاني الكثيرة" [8]، وأطلق عليه اسم

---

[1] – أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن تح:محمد سيد كيلان، دار المعرفة، لبنان(د ط، د ت)، مادة " قصر"

[2] –أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ)، أساس البلاغة، تح:عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت لبنان'(د ط) 1979م، مادة "قصر"

[3] – د. عبد القادر حسين. فن البلاغة. مطبعة الأمانة (د ط)، 1977 م.ص195.

[4] – الجاحظ. الحيوان، ج3.ص86.

[5] – عبد الفتاح لاشين. المعاني في ضوء أساليب القرآن.دار المعارف (د ط)، 1978 م.ص344.

[6] – أبو هلال العسكري. الصناعتين.ص399.

[7] –الرماني، النكت في إعجاز الفرآن الكريم، .ص76.

[8] – الباقلاني. إعجاز القرآن الكريم .تح:السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط 5، 1981 م، ص90.

اسم الإشارة وهي تعدّ من الإضافات الأولى لهذا التعريف، وهي قريبة من الإضافة التي أضافها العسكري في قوله":بإيماء إليها، ولمحة تدل عليها"، وهي كلها توحي إلى شدة الإيجاز، وهي الإيماء والإشارة والإيحاء، ومن الإضافات والتطورات التي لحقت المصطلح ما قاله صاحب البديع إن إيجاز القصر يمكن أن يطلق عليه اسم"التضييق" وهو"أن يضيق اللفظ عن المعنى لكون المعنى أكثر من اللفظ"[1]، ومنها أيضاً ما أحدثه ابن الأثير من تقسيم الإيجاز بالقصر إلى قسمين:

– أحدهما: ما دل لفظه على محتملات متعددة، ويمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدتها.

والآخر: – ما يدل لفظه على محتملات متعددة، ولا يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدتها لا، بل يستحيل ذلك"[2]، وهو أعلى طبقات الإيجاز مكاناً وأعوزها إمكاناً، وإذا وجد في كلام البلغاء فإنما يوجد شاذاً ونادراً"[3].

وحاول ابن أبي الإصبع(ت 645هـ) التوفيق بين مصطلحي–إيجاز القصر، والإشارة بقوله:" الإيجاز بألفاظ المعنى الموضوعة له، وألفاظ الإشارة لمحة دالة"[4]، فإيجاز القصر عنده"اختصار عنده"اختصار بعض ألفاظ المعاني ليأتي الكلام وجيزاً من غير حذف لبعض الاسم، ولا عدول عن لفظ المعنى الذي وضع له" [5]، أما الإشارة "فهي إشارة المتكلم إلى معان كثيرة بلفظ يشبّه لقلته واختصاره بإشارة اليد" [6]فالإشارة هي أشد إيجازا من إيجاز القصر ذلك أنّ" المشير بيده يشير دفعة دفعة واحدة إلى أشياء ولو عبّر عنها بلفظ لاحتاج إلى ألفاظ كثيرة جداً، ولا بد في الإشارة من اعتبار صحة الدلالة، وحسن البيان مع الاختصار، لأن المشير بيده إن لم يفهم المشار إليه معناه بأسهل ما يكون فإشارته معدودة من العبث"[7]، ويضع ابن أبي الإصبع الإيجاز على رأس البلاغة ففي نظره " البلاغة قسمان:إيجاز، وإطناب، " [8] ويتوسع ابن أبي الإصبع في تبيين حقيقة الإيجاز و

---

[1] - أسامة بن منقذ . البديع في نقد الشعر. تح:د. أحمد بدوي و د.حامد عبد المجيد .مطابع الحلبي (دط)، 1960 م.ص155.

[2] – ابن الأثير. المثل السائر.ج2.ص367.

[3] – المصدر نفسه.ج2.ص385.

[4] – ابن أبي الإصبع، بديع القرآن.مكتبة نهضة مصر(د ط).1957م.ص82.

[5] – ابن أبي الإصبع. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن .تح: د.حفني محمد شرف. لجنة إحياء التراث الإسلامي. القاهرة(د ط) 1983 م.، ص459.

[6] المصدر نفسه ص 200.

[7] – المصدر نفسه و الصفحة نفسها.

[8] المصدر نفسه ص 462.

أقسامه مما يدل على بعد نظره وإلمامه بأطراف الموضوع، كما نلاحظ شدة تغليبه لجانب المعنى على اللفظ على طريقة الجرجاني، فتأمل قوله:" والإيجاز إيجازان: إيجاز حقيقيّ، وإيجاز مجازيّ ؛ فما كان منه حقيقيا بقيّ عليه اسم الإيجاز، وما كان مجازيا وضعوا لكل قسم منه اسما يخصه و يناسب اشتقاقه فإن المجاز إيجاز وهو حذف بعض الكلام لدلالة الباقي عليه أو للاستغناء بالقرينة ..و الإشارة والإرداف والتمثيل إيجاز لكن هذه الأبواب تجيء بغير ألفاظ المعاني الموضوعة لها "[1].

والأمر عند صاحب الطراز أكثر وضوحاً إذ يقول في معرض حديثه عن إيجاز القصر: "ويقال له الإشارة أيضاً"[2]، لكن تعريفه لإيجاز القصر لا يحمل جديداً فهو يراه: " اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل"[3]، ووصفه بأنه" دقيق المجرى صعب المرتقى، لا يختص به من أهل الصناعة إلا واحداً بعد واحد ومهما عظم المطلوب قلّ المساعد"[4].

و لم يرد ذكر إيجاز القصر كمصطلح قائم بذاته في تعريف السّكاكي (ت 626هـ)، وإنما جاء تعريفه للإيجاز تعريفاً عاماً، فالإيجاز في نظره" هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط"[5]، وقد أورد القزويني كلام السّكاكي ثم علّق عليه بقوله: " المقبول من طرق التعبير عن المعنى: هو تأدية أصل المراد بلفظ مساوٍ له، أو ناقص عنه وافٍ، أو زائدٍ عليه لفائدة"[6]، والملاحظ في كلا التعريفين الإشارة إلى إيجاز القصر وإن جاء معناه متضمناً من خلال المفهوم العام للإيجاز.

وقد أخذ المصطلح عند الإمام السيوطي تسمية جديدة حيث أطلق عليه"الإيجاز الجامع" وذلك من خلال عرضه للتقسيمات التي جاء بها الطيبي في التبيان فهذا الأخير يعتبر " أن الإيجاز الخالي من الحذف ثلاثة أقسام: أحدها:إيجاز القصر: وهو أن يقصر اللفظ على معناه، وهو ما

---

[1] –ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير، ص 462 .

[2] – ابن حمزة العلوي. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز.دار الكتب العلمية بيروت(د ط)، 1982 م.ج2.ص88

[3] – المصدر نفسه و الصفحة نفسها.

[4] – المصدر نفسه.والصفحة نفسها.

[5] – أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السّكاكي، مفتاح العلوم، تح:عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية لبنان، ط 1، 2000م، ص 388

[6] – القزويني. الإيضاح في علوم البلاغة. شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الحسين التجارية.ط1، 1949 م، ص 192

كانت ألفاظه قوالب معناه واعتبره هو(أي السيوطي) من قبيل المساواة وليس الإيجاز ونوع ثان وهو إيجاز التقدير: وهو أن يقدّر معنى زائدا على المنطوق، ويسمّى بالتضييق أيضا ؛ لأنه نقص من الكلام ما صار لفظه أضيق من قدر معناه، ونوع ثالث: وهو الإيجاز الجامع ؛وهو أن يحتوي اللفظ على معان متعددة"[1]، ومثل له بأمثلة كثيرة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾[2]، وذكر المعاني الكثيرة المستفادة منها مما يدل على أنه كان يشير بقوله: الإيجاز الجامع إلى الإيجاز بالقصر.

وبالإجمال فإن كتب البلاغيين القدامى حافلة بتعاريف شتى لإيجاز القصر، وتكاد تجتمع في فكرتها ومعناها، وإن اختلفت أحياناً في صياغتها ومبناها، فكلها تجتمع في تعريف واحدٍ هو تأدية المعنى الكثير باللفظ القليل دون حذف، وقد تعرضت الدراسات الحديثة لهذا المفهوم في إطار علاقة اللفظ بالمعنى .

يقول محمد عابد الجابري": إن أول ما يلفت الانتباه في الدراسات والأبحاث البيانية سواء في اللغة أو النحو أو الفقه أو الكلام أو البلاغة أو النقد الأدبي هو ميلها العام والواضح إلى اللفظ والمعنى"[3]، فالعلاقة بين اللفظ والمعنى يربطها القدر الذي ينتجه اللفظ من معنى فبقدر قلة اللفظ واتساع المعنى يتحقق إيجاز القصر وهو ما يصطلح عليه في الدراسات الحديثة بالتكثيف أو شحن الألفاظ بأكبر قدر من المعاني فالتعبير بالألفاظ القليلة عن المعاني الكثيرة هو القصر، أي قصر اللفظ وطول المعنى، لتحقيق التوسع في الدلالة الإيحائية، و القصر في نظر الأسلوبيين هو خطاب يتسم بالتكثيف والتركيز وتوالد لإيحاءات من معنى إلى ثان وثالث.

ب- الإيجاز بالحذف:

يعدّ إيجاز الحذف قسيم إيجاز القصر، فمن المعلوم أن العرب كانت تعرف الحذف في كلامها وجعلته دليلا على البلاغة والدقة وحسن التخلص من الإسهاب والإطناب، فهي تستعمله " للإيجاز والاختصار والاكتفاء بيسير القول إذا كان المخاطب عالما بمرادها فيه"[4]، وقد امتدحه

---

[1]– أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين أبو بكر السيوطي (ت 911هـ) معترك الأقران في إعجاز القرآن، ضبط وتصحيح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1، 1988 م، ج 1، ص 223، 224

[2] – سورة النحل الآية 90.

[3] – مختار عطية، الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز"دراسة بلاغية" دار المعرفة الجامعية، (د ط)، 1997 م، ص 42.

[4] – ابن وهب، البرهان في وجوه البيان.تح: حفني شرف.دار الكتب العلمية بيروت (د ط) 1982م.ص69.

البلاغيون و النحويون فكان الخليل بن أحمد يلاحظ خفّة الكلام والذي ينشأ عن الحذف ويرى أن تلك الخفة يجب أن نلتزمها "ما دام ذلك لا يؤدي إلى لبس المعنى في ذهن السامع وكان المخاطب يعلم ما حذف من الكلام "[1]ولقد بلغ الإعجاب بعبد القاهر الجرجاني فقال في وصف الحذف وحدّه هو:" باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"[2]، ففي الحذف فصاحة وبيان وفي الذكر عيّ ونقصان، وهذا التفضيل نفسه عند الرماني ويرجعه إلى اتساع الدلالة عند الحذف وما فيه من إعمال الفكر لإدراك المعاني المرجوة ؛" فالحذف أبلغ من الذكر لأن النفس تذهب فيه كل مذهب ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان "[3]، وفي النفس ميل فطري لمعرفة المحذوف الخفيّ أكثر من النظر في المكشوف الجليّ.

شروط الحذف: يمكن تقسيمها إلى شرط نحوي وآخر بلاغي:

فأما الشرط النحوي فهو: أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف و لو تقديراً، "فالأصل في المحذوفات جميعها على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف، ف إن لم يكن هناك دليل على المحذوف، فإنه لغو من الحديث لا يجوز بوجه ولا سبب"[4]، وهذا الدليل هو الذي يساعد على تحديد المحذوف وتقديره حتى يحدد بدقة ومن غير كلفة، وقد يظهر المحذوف بالإعراب كقولنا "أهلا وسهلا"فإن نصب الأهل والسهل يدل على ناصب محذوف، تقديره: وجدت أهلا ولقيت سهلا، إلاّ أن لفظتي وجدت ولقيت محذوفتان، والمعنى الذي دلاّ عليه باق، فصار المعنى حينئذ مفهوما مع حذفهما.

والشرط الثاني: و هو متعلق بالبلاغة و تأدية الحذف للمعنى فإذا وقع الإشكال واللبس في المعنى بسبب الحذف عدّه علماء البلاغة من باب الإخلال .والحذف القبيح هو:" أن يترك من اللفظ ما به يتم المعنى" فإذا حقّق الحذف زيادة عن الاختصار نكتا بلاغية ولطائف

---

[1] –.مختار عطية، المرجع السابق، ص37.

[2] – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز.ص146

[3] الرماني، النكت في إعجاز القرآن الكريم ، ص 77

[4] – ابن الأثير. المثل السائر، ج 2 ص268

بيانية وكان بعيدا عن تعمية المعنى وكانت ألفاظه المذكورة أوعية لمعانيه أغنت عن المحذوف ودلّت عليه فهو الحذف البليغ المحمود، و يمكن تلخيص دواعي الحذف في: الاحتراز عن العبث، والتعظيم، والتخفيف، ورعاية الفاصلة، وصيانة المحذوف عن ذكره، وكذلك صيانة اللسان عن ذكر المحذوف، وشهرة المحذوف بحيث يكون ذكره وعدمه سواء.

وقد كثرت مظاهر الحذف في لغة العرب، وتعددت كما جاء القرآن الكريم بأحذق أنواع الحذف وأبلغها على الإطلاق قامت دليلا قاطعا على إعجازه وتفرّد بيانه.

أقسام الحذف: يظهر الحذف في القران الكريم في الوجوه الآتية:

1 - حذف الحرف .

2- حذف الكلمة المفردة .

3- حذف الجملة .

أولا: حذف الحرف : جاء حذف الحرف في القرآن قياسا على الأساليب العربية في بقاء المعنى وتحقيقه مع الحذف فلا يعد حذفه إخلالا أو تقصيراً و أمثلته في القران كثيرة منها:

-حذف لا: تحذف (لا) من الكلام وهي مرادة ومنه قوله تعالى : ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْ﴾[1]، وقوله تعالى : ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥﴾[2] أي: لا تفتأ تذكر يوسف.

ومن أمثلة حذف لا النافية في كلام العرب قول امرئ القيس[3]:

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي.

أي: لا أبرح قاعدا، فحذف لا في هدا الموضع وهو كما ترى يريد إثبات مرادها وعملها من نفي المغادرة والإصرار على البقاء ولو كان فيه حتفه وهلاكه.

---

[1] - سورة النساء الآية176.

[2] - سورة يوسف الآية 85.

[3] -ابن الأثير، المثل السائر، ج 2، ص 314

ح ذف الوا و:ويحسن ذلك عند العطف فإذا لم يذكر الحرف المعطوف به كان ذلك بلاغة وإيجازا، ومن أمثلته في القران الكريم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ﴾[1] "تقدير هذا الكلام: لا يألونكم خبالا و ودّوا ما عنتم وقد بدت البغضاء من أفواههم، فلما حذفت الواو جاء الكلام أوجز وأحسن طلاوة و أبلغ تأليفا ونظما"[2] وقد يرد حذف الواو وذكرها في مواضع مماثلة لبعضها كقوله تعالى في شأن أهل النار: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[3]، وقوله تعالى في شان أهل الجنة: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾[4]، فحذفت الواو في الموضع الأول، وذكرت في الموضع الثاني ولهذا دلالات منها:- "حذفت الواو في الموضع الأول دلالة على أن أبواب جهنم فتحت حين جاؤوها لأن إذا ظرف لما يستقبل من الزمان وفتحت جوابها وذكرت في الثانية دلالة على أن أبواب جهنم كانت مفتحة قبل أن يأتوها والجنة دار كرامة و تشريف فللترحيب بهم استعدت لهم قبل وصولهم"[5] .

-كما يمكن أن يكون في ذكر الواو إشارة إلى عدد أبواب الجنة فتكون الواو واو الثمانية، وفي الحذف إشارة إلى عدد أبواب النار السبعة.

ومن أمثلة الحذف والذكر قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ٤﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ٢٠٨﴾[7]، وقال ابن الأثير في توجيه الذكر والحذف في هذه المواضع:" اعلم أن كل اسم نكرة جاء خبره بعد إلا يجوز إثبات الواو في خبره وحذفها،

---

[1] – سورة آل عمران، الآية 118.

[2] – المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[3] – سورة الزمر، الآية71.

[4] – سورة الزمر، الآية71.

[5] – عبد العظيم المطعني. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1992 م، ج2.ص11.

[6] – سورة الحجر، الآية4.

[7] – سورة الشعراء، الآية 208.

كقولك ما رأيت رجلاً إلا وعليه ثياب، وإن شئت قلت عليه ثياب بغير واو"[1] . هذا من الوجهة النحوية ومن الجانب البلاغي فالمراد بالذكر في الأول هو الإثبات والتأكيد فالقرية ذات كتاب سابق أنزل على رسولها فهم انذروا و لم يظلموا، وفي الآية الثانية المراد بالحذف كون القرية ذات منذرين وفرق بين الكتاب والمنذرين لأن الكتاب ليس له من قوة الظهور ما للرسل لذلك كان المقام الأول مقام تأكيد وفي الثانية أعني ظهور المنذرين كأنهم جماعة من الناس فهم في غني عن التأكيد الذي احتاجت إليه الأولى .

-حذف حرف النداء "يا": ورد في القران الكريم حذف أداة النداء "يا"مع "رب"إلا في موضعين:

- الأول: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾[2] .

- الثاني: قوله تعالى: ﴿وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾[3]، فحذف أداة النداء يلمح سّره في تصوير قرب المنادى، إذ لا حاجة لحرف نداء يملأ ما بين المنادي والمنادى، فالمنادى هو الله المطلع على حاجة وسؤل المناد ي، وهو أقرب إليه من حبل الوريد. وقد ورد حذف أداة النداء الياء في مواضع أخرى مثل قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا﴾[4] وقوله تعالى: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾[5]، وقوله تعالى : ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾[6]، والأصل "يا يوسف" ويا "طه" ويا "يوسف" وقد كسا الحذف هنا العبارات فخامة وخلابة"[7] .

ثانياً:حذف الكلمة : ويتجلى في مواطن عدة منها:حذف الفعل ، الفاعل، المضاف، المضاف إليه، المبتدأ أو الخبر، الصفة، الموصوف..

- **حذف الفعل**:جاءت شواهد اللغة دالة على حذف الفعل رغم كونه عمدة في الكلام

---

[1] - ابن الأثير المثل، السائر.ج2.ص365

[2] - سورة الفرقان الآية30.

[3] - سورة الزخرف الآية88.

[4] - سورة يوسف الآية29.

[5] - سورة طه الآيتان 1و2.

[6] - سورة يس الآية 1و2.

[7] - عبد العظيم المطعني.المرجع نفسه.ج2.ص8

وبقاء عمله دالا عليه كنصبه مفعولا به، ومن صور حذفه:

– "أن يوقع الفعل على شيئين وهو لأحد هما ويضمر للأخرفعله"[1]، كقول الشاعر:

تراه كأن الله يجدع أنفه وعينيه إن مولاه ثاب له وفر. [2]

فللشاعر ذكر الفعل "يجدع "مع أنفه، وحذفه مع عينيه، وتقديره: يفقأ، فالعين لا تجد ع، وللاحظ أن

اللغة والسياق يلعبان دورا في تقدير المحذوف وتبيينه، ومن أمثلته في القران الكريم قوله تعالى: ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾[3] ومعناه: وادعوا شركاءكم، وكذلك هو في مصحف عبد الله بن مسعود– رضي الله عنه – فأمركم معمول الفعل "اجمعوا" و"شركاءكم " معمول الفعل المحذوف "ادعوا "فللواو ليست عاطفة مفردا على مفرد بل جملة على جملة .والسبب في ه ذا الحذف زيادة عن الإيجاز هو كون اقتران الأمرين ضروري لتحقيق النصر من تو حي د الرأي، والإجماع عليه مع وجود الظهير والشريك، ويرى الزمخشري " أن الواو هي بمعنى "مع"، و مجيء الشركاء على هذا الوضع فيه معنى التهكم، وإنما قال ذلك إظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته إياه، وأنهم لن يجدوا إليه سبيلا "[4]فهيهات أن يتمكنوا من نبي الله أو تصله أيديهم بسوء ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

–وقد يحذف الفعل في أساليب الإغراء أو التحذير ويبقي المفعول به مغنيا عنه، ومن أمثلة الحذف على الإغراء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾[5]وتقديره:الزموا أنفسكم. ومن أمثلة التحذير قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا﴾[6]، أي:احذروا، وقد يحذف الفعل ويقوم المصدر مقامه كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا

---

[1] – أبو هلال العسكري الصناعتين.ص201.

[2] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[3] – سورة يونس، الآية71.

[4] – الزمخشري. الكشاف، ج3 ص 161

[5] – سورة المائدة، الآية105.

[6] – سورة الشمس، الآية 13.

لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ)[1]، قوله "فضرب الرقاب " أصله: فاضربوا الرقاب ضربا، فحذف الفعل وقام المصدر مقامه، وفي ذلك اختصار .

– وقد يحذف جواب فعل الأمر ويكون المحذوف فعلا ومثاله قوله تعالى : (وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِى سَبۡعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٌ)[2]، فجواب الأمر محذوف تقديره: فأرسلوه إلى يوسف فأتاه فقال له: " يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ"، ومنه كذالك قوله تعالى: (وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِى بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِىۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾)[3]، فجواب الأمر محذوف تقديره: فأتوه به، والمتأمل في هذا الحذف لا يكاد يدرك وجود محذوف في الكلام لعدم تأثير الحذف في تمام المعنى وبيانه ؛ ب ل وتخلصه من الإطالة والذكر الذي لا يحدث فائدة أو نكتة بلاغية في هذه المواطن المذكورة .

– حذف الفاعل : الأصل في الفاعل الذكر ؛لأنه عمدة وركن أساسي في تركيبة الجملة الفعلية، "وقد نصّ عثمان بن جني على عدم جواز حذفه، وبهذا قال ابن الأثير إلا أنه يجوز حذفه فيما دل الكلام عليه "[4]: ومثّل له بقوله تعالى : (كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٍ)[5]، والضمير والضمير في (بلغت) للنفس "ألا ترى أن التي تبلغ التراقي إنما هي النفس وذلك عند الموت، فعلم حينئذ أن النفس هي المرادة ، وإن كان الكلام خاليا من ذكرها "[6]، ومثله قوله تعالى : (فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾)[7]، فالمحذوف هو الفاعل وه و"النفس"، ومنه أيضا قوله قوله تعالى : (فَقَالَ إِنِّىٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ)[8]، ففاعل توارت هو

---

[1] – سورة محمد، الآية4.

[2] – سورة يوسف، الآية 45و46.

[3] – سورة يوسف، الآية54.

[4] – ابن الأثير. المثل السائر.ج2. ص 284

[5] – سورة القيامة، الآيتان 26، 27.

[6] ابن الأثير، المصدر نفسه، ج 2 ص 284

[7] – سورة الواقعة، الآية 83و84.

[8] – سورة ص، الآية32.

الشمس، ومثله قوله: ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾﴾[1]، فالفاعل المحذوف هو" المحتضر" فانظر إلى وضوح المحذوف وسهولة تقديره لما في الكلام المذكور من دلالة عليه ، والفعل هو أقوى هذه العوامل في إبراز الفاعل إضافة إلى السياق العام للتعبير .

ومما ورد في حذف الفاعل في كلام العرب قول حاتم[2]:

أما ويّ، ما يغني الثّراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر.

أي: حشرجت النفس .

- حذف المفعول به : وهو من أكثر أبواب الحذف دراسة وعناية في كتب البلاغة، فلقد عنوا بتقسيماته واستنباط أسراره ومكنوناته ووصف ابن الأثير هذا الباب من المحذوفات بقوله:"فإن اللطائف فيه أكثر وأعجب"[3] . ومن أكثر الشواهد وأبدعها دلالة على حذف المفعول به في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾[4]، فقد حذف المفعول به به في أربعة أماكن، ويقدّر مع عاملة على النحو الآتي:- يسقون مواشيهم، تذودان مواشيهما، لا نسقي مواشينا، فسقى لهما مواشيهما، وللعلماء في هذا الحذف آراء كثيرة ، منها "قول السكاكي:" أن الحذف كان لمجرد الاختصار"، ويذهب الزمخشري إلى أبعد من ذلك بقوله: "ترك المفعول لأن الغرض هو الفعل لا المفعول " وهذا الذي قصده ابن الأثير بقوله:" فأما كون المرقيّ غنماً أو إبلاً أو غير ذلك فخارج عن الغرض "، فالغرض كما يقول الخطيب القزويني :" إثبات العلم في نفسه وإليه ذهب ابن الأثير في تعليل الحذف"والأصل في ذالك على إثبات المعنى المقصود في نفسك للشيء على الإطلاق، لأن العرض أن يعلم أنه كان من الناس سقيٌّ، ومن المرأتين ذودٌ، وأنهما قالتا: لا يكون منا سقي حتى يصدر الرعاء...وأنه كان من موسى عليه السلام بعد ذلك

---

[1] - سورة القيامة، الآية 28.

[2] - ابن الأثير.المصدر نفسه، ج2.ص332.

[3] - المصدر نفسه، ص340.

[4] - سورة القصص، الآية 23و24.

سوي"[1].

ويحذف المفغول به لأغراض كثيرة منها:

-البيان بعد الإبهام: ويكثر هذا الحذف في فعل المشيئة والإرادة إذا لم يكن في تعلقه بمفعوله غرابة قال ابن الأثير:" لقد تكاثر هذا الحذف في شاء و أراد حتى إنهم لا يكادون يبرزون المفعول إلا في الشيء المستغرب كقوله تعالى: ﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٤﴾[2]، ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝١٤٩﴾[3]، ومثّلوا له بقول الخريمي[4]:

ولو شئت أن أبكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع.

فقد آثر الشاعر ذكر المفعول به وهو (دما) "لما كانت مشيئة الإنسان أن يبكي دما أمرا عظيما عجيبا كان الأولى التصريح به "[5]، ولو أضمر المفعول به لعدّ بكاؤه أمرا مألوفا لا يحقق مقصده من إظهار مدى حزنه واستمرار بكائه حتى نفاد دموعه.

- رعاية الفاصلة: وهذا سبب قرآني لا غير، وقد مثلوا له بقوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[6] أي: وما قلاك؛ فحذف الكاف الواقع مفعولا به لمراعاة الفاصلة.

.- حذف الموصوف والصفة وإقامة كل منهما مقام الآخر :- وهو كثير في كلام العرب وأكثره يجيء في الشعر، ومنه قول البحتري في وصف إيوان كسرى:

في اخضرارٍ من اللباس على أص فر يختال في صريغة ورس.[7]

فقوله:"على أصفر" أي: على فرس أصفر، وهذا مفهوم من قرينه الحال لأنه لما قال "على

---

[1] عبد العظيم المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ج 2 ص 54، 55 (بتصرف)

[2] - سورة الزمر، الآية 4.

[3] - سورة الأنعام، الآية149.

[4] البيت من (الطويل) للخريمي وهو إسحاق بن حسان السعدى، ينظر المثل السائر لابن الأثير، ج 2، ص 295.

[5] - الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تح:بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، ط 1، 1985م، ص142

[6] - سورة الضحى، الآيات 1، 2، 3.

[7] - ديوان البحتري، الناشر وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية(دط)، 2007 م، ص 192.

أصفر" علم بذلك أنه أراد فرسا أصفر"[1]، ومن أمثلة حذف الموصوف في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾[2]، أي :حور قاصرات، وقوله تعالى : ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾[3]، أي: دروعا سابغات، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[4]، أي: ضحكا قليلا وبكاء كثيراً . والملاحظ في هذا النوع من الحذف أن الصفة بقيت دليلا قويا على الموصوف، وهي أهم منه في الإظهار وذكرها أبلغ منه في أداء المعنى، فلم يكن المقصود إثبات الحور وإنما صفة القصر، والأمر سيّان بالنسبة للبكاء والضحك، فالمقصود إثبات صفة القليل من الضحك والتكثير من البكاء، ثم إن الحذف هنا من الإيجاز والبعد عن التكرار ، ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾[5] تقديره: يأيها الرجل الساحر . ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾[6]، أي: آتي مبصرة فإنه لم يرد أن الناقة كانت مبصرة.

وأما حذف الصفة وإقامة الموصوف مقامها فإنه أقل وجودا من حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[7] أي:كل سفينة صالحة أو صحيحة، ودلّ على الصفة المحذوفة قوله: "فأردت أن أعيبها" مما يدل على سلامتها قبل ذلك ثم إنّ النفع يرجى من السفينة الصالحة فلم يكن من الضروري ذكر الصفة . ويرى الدكتور المطعني: "أن حذف الصفة هنا فيه مبالغة في تصوير طمع الملك واستيلائه على كل سفينة حتى ولو كانت غير صالحة، فغير الصالح داخل في مأخوذ الملك"[8]، ومن أمثلة هذا الحذف قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾[9]أي: الواضح، وقوله تعالى: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ

---

[1] – ابن الأثير.المثل السائر .ص348.

[2] – سورة ص، الآية52.

[3] – سورة سبأ، الآية11.

[4] – سورة التوبة، الآية82.

[5] – سورة الزخرف، الآية49.

[6] – سورة الإسراء، الآية59.

[7] – سورة الكهف، الآية79.

[8] – عبد العظيم المطعني.المرجع السابق.ج2.ص43.

[9] – سورة البقرة الآية71.

أُخۡتِهَا)[1]، أي: السابقة .

حذف المبتدأ أو الخبر: حذف المبتدأ أو الخبر في الكلام العربي كثير ومتنوّع وله حالات عدة اختلفت بين الجواز والوجوب، ومن أمثلة حذف المبتدأ في القرآن الكريم قوله تعالى: (مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَا)[2] أي: من عمل صالحا فعمله لنفسه ومن أساء فإساءته عليها، فعمله هو المبتدأ المحذوف في الجملة الأولى وإساءته هو المبتدأ المحذوف في الجملة الثانية، ودل عليهما فعلاهما المذكوران على سبيل الجواز.

– ومن أمثلة حذف الخبر قوله تعالى : (وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ)[3]، وتقدير الخبر المحذوف: واللائي لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر وجاء الخبر جملة اسمية من مبتدأ وخبر، ومنهم من قدّره واللائي لم يحضن كذلك أو مثلهن فيكون الخبر محذوفا وحده. فلم تكن الحاجة هنا لذكر الخبر لاشتراكهما في الحكم ويختلف الأمر فيما بعدها في قوله تعالى : (وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ)، فقد صرّح لاختلاف الحكم ولو حذف الخبر لفسد المعنى.

– ومن الشواهد الدالة على حذف الخبر في كلام العرب قول أبي عبادة البحتري:

كل عذر من كل ذنب ولكن أعوز العذر من بياض العذار .[4]

وفيه حذف الخبر المفرد وتقديره:كل عذر من كل ذنب مقبول أو مسموع.وقد حذف المبتدأ في قوله تعالى: (الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ)[5]، وتقديره:هو هدى، ويرى عبد العظيم المطعني أن الحذف يعود لأمرين:

–أحدهما: الإشعار بالاتصال المباشر بين "الكتاب" و"هدى " أي أن الهدى صفة مباشرة للكتاب فهو الهدى نفسه .

---

[1] – سورة الزخرف الآية48.

[2] – سورة فصلت، الآية46.

[3] – سور الطلاق، الآية4.

[4] – ابن الأثير، المثل السائر.ج2.ص361.

[5] – سورة البقرة، الآيتان 1، 2

-ثانيهما: أن ذكر المبتدأ يؤدي إلى نوع من الثقل اللفظي حيث يصبح التركيب: فيه هو هدى، فيجتمع ثلاث هاءات، والهاء من حروف الحلق المعروفة بالثقل"[1].

-**حذف المضاف والمضاف إليه وإقامة كل واحد منهما مقام الآخر** :- من أمثلة حذف المضاف قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾[2]، أي أهل القرية و ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾[3]، أي تناولها لأن الحكم الشرعي إنما يتعلق بالأفعال ومنه قوله تعالى : ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾[4]، أي حبّه وفي هذه الحذف دلالة على شدة تعلقهم به، وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾[5]، أي: جاء أمر ربك وقدره وقضاؤه، وعند السلف لا تؤول بل يقولون يجيء مجيئا يليق بجلاله ولا يعرف كيفه إلا هو. ومن أمثلة حذف المضاف كذلك قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ﴾[6]، " أي: الاستمتاع بهن يحمل سّر الحذف الحذف على إرادة العموم في المفعول، فيكون المحرّم كل ما لا يليق بهن من عقوق وحرمان وإساءة في قول أو عمل"[7].

- ومن أدلة حذف المضاف إليه – وهي قليلة – قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾[8]، ﴿بَعْدُ﴾[8]، أي:من قبل ذلك ومن بعده فجاء حذف المضاف بعد الظرفين مثل : ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[9]، وقوله تعالى: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[10]، أي:أيّ اسم.

- **حذف الجملة**: وهو باب واسع ومتشعّب قسّمه ابن الأثير إلى قسمين:

---

[1] – عبد العظيم المطعني، المرجع السابق، ج 2 ص 36

[2] – سورة يوسف، الآية 82.

[3] – سورة المائدة، الآية3.

[4] – سورة البقرة، الآية93.

[5] – سورة الفجر، الآية22.

[6] – سورة النساء، الآية23.

[7] –المطعني، المرجع نفسه.ص47.

[8] – سورة الروم الآية4.

[9] – سورة يس الآية40.

[10] – سورة الإسراء الآية110.

– قسم تحذف فيه الجمل المفيدة التي تستقل بنفسها كلاما وهو أحسن المحذوفات .

– قسم تحذف فيه الجمل الغير مفيدة: وقد وضع العلماء لحذف جملة فأكثر ضوابط وهي:– حذف السؤال المقدر: ويسمّى" الاستئناف" وهو على وجهين:

أ- إعادة الأسماء والصفات : فإعادة الاسم تكون بإعادة اسم من تقدّم الحديث عنه، كقولك أحسنت إلى زيد . زيد حقيق بالإحسان، وإعادة الصفة، كقولك أحسنت إلى زيد . صديقك القديم أهل لذلك منك .

–والنوع الثاني قال فيه ابن الأثير: " هو أحسن من الأول وأبلغ لما فيه من تخصيص و بيان الموجب للاحسان"[1] . ومما ورد من القرآن في هدا الباب قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[2]،

"والاستئناف واقع على (أُوْلَٰٓئِكَ) فبعد ذكر صفاتهم إلى غاية قوله تعالى:(وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ) كأن سائلا يقول: ما بال المتصفين بهده الصفات قد اختصوا بالهدى ؟ فأجيب بأن أولئك الموصوفين بهده الصفات غير مستبعد أن يفوزوا – دون الناس – بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا".[3]

– الاستئناف بغير إعادة الأسماء والصفات : ومثلوا له بقوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ۝٢٣ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٢٤ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ۝٢٥ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٧﴾[4]، فالاستئناف كان عند السؤال

[1] – ابن الأثير. المثل السائر. ج2.ص318.

[2] – سورة البقرة، الآيات من1 إلى5.

[3] –المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[4] – سورة يس، الآيات من22إلى27.

عن حال الرجل كأنّ قائلا يقول: كيف حال هدا الرجل عند لقاء ربه بعد دلك التصلب في دينه ورفضه الشرك والضلال فقيل (قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ) و لم يقل قبل له للتعجيل بالبشارة فهي المقصودة وليس المقصود من قال له لأنه معلوم سلفا،

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ٩٣﴾[1]، وجاء الاستئناف بعد تساؤلهم المفترض – فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت على مكانتك ؟ بقوله. سوف تعلمون .

- الاكتفاء بالسبب عن المسبَب وبالمسبَب عن السبب : فمن أمثلة الاكتفاء بالسبب عن المسبب: قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٤٤ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ﴾[2]، فذكر سبب الوحي الذي هو طول الفترة وتطاول العمر، ودلّ به على المسبَب وهو الوحي أي: أن طول العهد بين موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وما حصل فيه من اندراس العلوم كان سببا في نزول الوحي .

– أما الاكتفاء بالمسبب عن السبب فمنه قوله تعالى: ﴿۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ﴾[3] والتقدير: فضرب فانفجرت فحذف السبب وهو الضرب واكتفى بذكر المسبب أو النتيجة وهي الانفجار، وأنت ترى قيمة الحذف هنا فهي تشير إلى تحقق المعجزة وبشكل سريع فالمقصود هو النتيجة إذ لا يخفى على أحد أن الانفجار سببه الضرب فأين الداعي لذكره ؟ ومنه قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾[4].

---

[1] – سورة هود، الآية93.

[2] – سورة القصص، الآيتان 44، 45.

[3] – سورة البقرة، الآية 60.

[4] – سورة المائدة، الآية6 .

والوضوء يسبق الصلاة وتأويل الآية إذا أردت القيام إلى الصلاة فاغسل فاكتفى بالمسبَب عن السبب .

ويدخل في حذف الجمل أمور منها:

-أ- حذف أداة الشرط وفعله: منه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾[1] أي إن اتخذتم عند الله عهدا، ومثله قوله تعالى: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٩١﴾[2]، أي إن كنتم آمنتم بما انزل الله إليكم فلم تقتلون ؟

-ب- حذف جواب الشرط: ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3] أي:لعذبكم، ومنه قوله أيضا :﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا﴾[4] أي: لرأيت أمرا عظيما، ومثله في اللغة " لو رأيت عليا بين الصّفين، أي لرأيت أمرا عظيما"[5].

-ج- حذف جواب القسم: ويكثر في مطالع السور كقوله تعالى: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾[6] "معناه والله أعلم ق والقرءان المجيد لتبعثن، والشاهد ما جاء بعده من ذكر البعث في قوله :﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾"[7]

ومنه أيضا قوله تعالى ﴿لَّأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾[8] فجملة القسم محذوفة والتقدير والله قسمي.

---

[1] - سورة البقرة، الآية 80.

[2] - سورة البقرة، الآية91 .

[3] - سورة النور، الآية 20

[4]- سورة السجدة، الآية 12.

[5] - ابن رشيق، العمدة.ج1.ص433.

[6] - سورة ق، الآيتان 1، 2.

[7] أبو هلال العسكري، الصناعتين ص 203

[8] - سورة النمل، الآية21 .

المبحث الثالث: الإيجاز في كلام العرب و البلاغة النبوية:

1- الإيجاز في كلام العرب:

لقد طبع الإيجاز كل فنون القول المعروفة عند العرب مما يؤكد رسوخه كظاهرة أسلوبية تعنى بالقيمة الإبلاغية وتحقيقها بأقل قدر من الألفاظ مراعاة لأحوال المخاطبين و مستوياتهم من بساطة العيش، وانتشار الأمية، و الحاجة الماسة للتواصل عن طريق الحفظ والنقل، كل هذا انعكس على الإنتاج الأدبي فكان إيجاز القصر ظاهرة حاضرة في كل أجناس النثر و أغراض الشعر وهذا ما تكشفه الدراسة الآتية:

أ- الإيجاز في النثر العربي:

إيجاز القصر في فن الخطابة: الخطابة من أقدم الفنون النثرية عند العرب وأوسعها انتشارا فهي الفن الحاضر في كل الأحوال ؛عند الحروب وفي حالة الصلح، وعند مبايعة الملوك، وفي حالات الأفراح وكذا للإشادة بمناقب الرجال، وقد تميزت بقوة اللفظ وإيجاز العبارة .

ومن أشهر الخطب التي قيلت في العصر الجاهلي خطبة هاشم بن عبد مناف التي حث فيها قريشا على إكرام زوار بيت الله الحرام فقال:" يا معشر قريش أنتم جيران الله أكرمكم بولايته وخصّكم بجواره دون بني إسماعيل، وحفظ منكم أحسن ما حفظ جار من جاره، فأكرموا ضيفه وزوار بيته فإنهم يأتونكم شعثا غبرا من كل بلد، فوربّ هده البنيّة لو كان لي مال يحمل ذلك لكفيتكموه ."فهذه الخطبة على إيجازها حوت معاني كثيرة فهو ذكّر قريشا بفضل الله عليها وخصّها بجوار بيته الحرام، ودعاها إلى إكرام الزوار والحجيج وتلبية حاجاتهم .

و بمبعثة- صلى الله عليه وسلم - بلغت الخطابة قمّتها إيجازا وفصاحة وبلاغة، ومنها خطبة الوداع التي كانت دستورا للحياة جمع في مواده بين حقوق الله وحقوق العباد، وتبيين الحدود والمقاصد العامة للدين ومن بين ما جاء فيها:" أما بعد أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا . ألا هل

بلّغت ؟ اللهم اشهد"[1].

وممن اشتهر بالخطابة الإمام علي- رضي الله عنه- فقد أتته البلاغة صاغرة فأخذ بذؤابتها ومحاسنها فمن بين خطبه الشهيرة:" أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت آذنت بوداع وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع، وإن المضمار اليوم والسباق غدا، ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل، فمن أخلص في أيام أمله قبل حضور أجله فقد نفعه عمله و لم يضرره أمله ومن قصر في أيام أمله قبل حضور اجله فقد خسر عمله وضره أمله ."[2] وهي خطبة جامعة آثرت هذا الجزء اليسير منها منها الذي يبين فيه —رضي الله عنه — حقيقة الدنيا فهي دار عمل وكد واجتهاد و مضمار التنافس الرابح، كم حذّر من الاغترار بها والسير في دروبها الفانية.وهذه خطبة أخرى لعبد الله بن مسعود، وهي بحر زاخر من الحكم والمواعظ وهي جديرة بأن تشرح كل جملة فيها بكلام مبسوط، لما هي عليه من إيجاز، وما تحويه من درر كامنة إذ يقول:" أصدق الحديث كتاب الله وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملل ملّة إبراهيم عليه السلام وأحسن السنن سنة محمد صلى الله عليه وسلم وشرّ الأمور محدثاتها وخير الأمور عزائمها، ما قل وكفى خير مما كثر وألهى، نفس تنجيها خير من إمارة تحصيها، خير الغنى عنى النفس خير ما ألقى في القلب اليقين الخمر جماع الآثام، النساء حبالة الشيطان، الشباب شعبة من الجنون"[3]، لله در ابن مسعود فقد جمع في خطبته هاته بين الدعوة إلى التمسك بعرى الدين، والنصح والتوجيه وبين الترغيب والترهيب، فقد جمعت هذه الفواصل المتناغمة كثيرا من خيري الدنيا والآخرة فكانت كل فاصلة تحوي حكمة مستقلة عن الأخرى .

في الأمثال والحكم: -الأمثال:"يطلق لفظ " مثل " علما على كل قول اشتهر وتناقلته الألسن وكثر تمثّل الناس به"[4]، ويمتاز المثل بإيجاز العبارة، وغزارة المعنى ومن أشهر الأمثال العربية وأبلغها ما أثر عن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم"[5]، فمنها قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، عنه، "صنائع المعروف تقي مصارع السوء": ففعل الخير يشفع لصاحبه ويكون له حجابا بينه وبين

---

[1]– النص الكامل للخطبة في كتاب: العقد الفريد لابن عبد ربه، ج 4، ص 147 وما بعدها.

[2] –الجاحظ، البيان والتبيين، ج 2، ص52، 53

[3] – المصدر نفسه . ص56، 57.

[4] – د. عبد الله الجربوع، الأمثال القرآنية القياسية.. الجامعة الإسلامية، ط1، 2003 م.ج1.ص42.

[5] – أبو منصور الثعالبي، الإعجاز والإيجاز . ص25، 27 (بتصرف)

الشر والأذى، ومنها قول عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–: "أعقل الناس أعذرهم للناس "، فالعاقل من يلتمس لأخيه الأعذار ويحمل الأمور على حسن الظن، ويلتمس لها المخارج وكلما اتسع صدر الإنسان لقبول أخطاء الناس وأعذارهم كان ذلك دليلا على رجاحة عقله وسداد رأيه.

وعن عثمان رضي الله عنه أنه قال:" تاجروا الله بالصدقة تربحوا"، وهذه التجارة التي لا تبور فإن الصدقة بضاعة ثمنها الأجر، وهي تجارة العبد مع ربه .

ومما أثر عن علي– رضي الله عنه –في هذا الباب كثير منه قوله –رضي الله عنه–:"المرء مخبوء تحت لسانه"، فالإنسان لا يعرف معدنه إلا بعد كلامه، و حسن المرء وقدره يكشف عنه لسانه، وقد تناول هذا المعنى الشاعر زهير بن أبي سلمى في البيتين الآتيين [1]:

لسان الفتى نصف ونصف فــؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصــه في التكلــم

وفي قول زهير إيجاز رائع حيث جعل اللسان أساس تقييم الناس ولا شيء غيره ففي كماله كمال وفي نقصه عيّ ونقصان .فانظر إلى هذه الأمثال وغيرها مما لا يحصى في كلام العرب، فهي لا تتعدى الجملة أو الجملتين لكن معانيها عظام، وفوائدها جمة و تداولها وتناقلها بين الناس خير دليل على ذلك

وهذه طائفة منها دون شرح[2]:

- "الإثم حزّار القلوب ".
- "إذا سمعت الرجل يقول فيك من الخير ما ليس فيك فلا تأمن أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك".
- "إلى أمه يلهف اللهفان ".

---

[1] –ينظر ديوان زهير بن أبي سلمى. اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، ط 1، 2006 م، ص71.

[2] – أبو يعقوب يوسف بن طاهر الخوبي. فرائد الخرائد في الأمثال. تح:د. عبد الرزاق حسين. دار النفائس.الأردن(دط)، (ط ت).ص28.

-**الحكم**: الحكمة قول موجز ينقل خبرة صاحبه وعصارة تجاربه، وتجمع الحكمة بين إيجاز العبارة وجزالة الألفاظ وصحة المعنى .ونذكر منها على سبيل التمثيل قول الحسن رحمه الله تعالى:" يومك ضيفك وهو مرتحل عنك بحمدك أو ذمّك "[1]، فقد شبّه الحسن رضي الله عنه اليوم بالضيف فكلاهما راحل ومغادر وكلاهما تجب ضيافته فإكرام الضيف بإكثار الطعام وتحسينه، وإكرام اليوم بالعمل الصالح وحسن الصنيع من عبادات وطاعات وصدقات.

وقال الفضيل بن عياض:" إذا قيل لك تخاف الله ؟ فاسكت فإنك إن قلت لا فقد جئت بأمر عظيم، وان قلت نعم فالخائف لا يكون على ما أنت عليه "[2] ؛ لأن الخائف مبهور من جلال الخالق مرتعد الفرائص لا يأمن مكر الله .

ومن الحكم ما يكون شعراً كقول محمود الوراق[3]:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا محال في القياس بديع

لوكان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب يطيع.

وذكرت الدنيا عند الحسن رحمه الله فقال:[4]

أحلام نوم أو كظل زائل إن اللبيب بمثلها لا يخدع.

ومن الحكم أيضاً قول زهير بن أبي سلمى[5]:

ومن لم يصانع في أمور كـــثيرة يضرّس بأنياب ويوطأ بمنسم

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم.

والحكم أكثر من أن تحصى لكنها تشترك جميعها في قلّة ألفاظها وكثرة معانيها لما تحويه من تجارب صادقة ومعان دقيقة صائبة، فالحكم مصابيح تنير الدرب، وترشد إلى النهج الصحيح .

---

[1] – المصدر نفسه، ص598.

[2] –الخوبي، فرائد الخرائد في الأمثال .ص599.

[3] –ينظر ديوان محمود الوراق، تح: د وليد القصاب، مؤسسة الفنون، ط 1، 1991م، ص 48

[4] – الخوبي، المصدر السابق .ص609.

[5] – ديوان زهير بن أبي سلمى.ص70.

-**التوقيعات:** وهي كلام موجز يكتبه الخليفة أو الحاكم في أسفل الكتب الواردة إليه, وهي بمثابة رد أو تعليق على ما يصله من طلبات أو تظلمات، ومن أمثلتها" توقيع لعمر بن الخطاب –رضي الله عنه- لما كتب إليه سعد بن أبي وقاص في بنيان يبنيه، فوقّع في أسفل كتابه:ابن ما يكنّك من الهواجر وأذى المطر. ووقّع علي بن أبي طالب –رضي الله عنه –في كتاب سلمان الفارسي –وقد سأله كيف يحاسب الناس يوم القيامة؟: يحاسبون كما يرزقون، ووقّع عمر بن عبد العزيز –رحمه الله- لما استأذنه بعض العمال في مرمّة مدينته، فوقّع أسفل كتابه: ابنها بالعدل، ونقّ طرقها من الظلم"[1]

ب- الإيجاز في الشعر العربي:

الشعر ديوان العرب وسجلها الذي حفظ ذاكرتها الشعرية والفنية في مختلف العصور و الأحوال فكان وسيلتها المفضلة للتعبير عن أغراض الكلام المختلفة، وتسجل الآثار الأدبية ولع الشاعر الجاهلي بالإيجاز فهو عنده فضيلة يطلبها و يتفاخر بها، فقد سئل النابغة:" لم لا تطيل القصائدكما أطال صاحبك ابن حجر قال: من انتحل انتقر"[2]، وقيل لبعضهم مالك لاتزيد على أربعة واثنين؟ قال:"هن بالقلوب أوقع وإلى الحفظ أسرع، وبالألسن أعلق وللمعاني أجمع وصاحبها أبلغ وأوجز."[3] كما طرحت بنت الحطيئة السؤال نفسه على أبيها:ما بال قصارك أكثر من طوالك؟، فقال:لأنها في الآذان أولج و بالأفواه أعلق" [4]، وقيل لابن حازم ألاتطيل القصائد ؟ فقال:

أبى لي أن أطيل قصـــدي إلى المعنى وعلمي بالصّـــواب

و إيجازي بمقتصـــر قريب حذفت به الفضول من الجواب

فأبعثهـــن أربعة وســـتاّ مثقـــفة بألـــفاظ عـــذاب

وهنّ إذا وسمت بهن قوما كأطواق الحمائـــم في الـــرقاب

---

[1] - ابن عبد ربه، العقد الفريد ج 4، ص 287، 290 (بتصرف)

[2] -أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص194

[3] -المصدر نفسه والصفحة نفسها .

[4] -المصدر نفسه والصفحة نفسها.

وكنّ إذا أقمت مسافرات تهاداها الـــرواة مع الـــركاب. [1]

لقد علل ابن حزم ميله إلى الإيجاز ورفضه الإطالة بما يخرس لسان كل ناقد له ؛فهو قد جمع بأبياته القليلة

بين قرب المعنى و عذوبة اللفظ وكذا الإلمام بالمعنى مما جعل أبياته خالدة شائعة يكررها الناس في أوقات سفرهم وهي أوقات يستعذب فيها الموجز والخفيف من الشعر.

ومن الأمثلة على ذلك قول امريء القيس:

سماحة ذا و برّ ذا ووفاء ذا ونائل ذا إذا صحا و إذا سكر . [2]

فقد استطاع الشاعر في هذا البيت أن يجمع أوصافا كثيرة وخصالا رفيعة من سماحة وكرم وسخاء اتصف بها ممدوحه وهو مستمر عليها في حالتي الصحو والسكر.

ومن الشعراء من تميزت أشعاره بالإيجاز كزهير بن أبي سلمى الذي قيل فيه:"إنه أجمع الناس للكثير من المعاني في القليل من الألفاظ و أبياته التي من آخر قصيدته التي أولها ؛أمن أم أوفى دمنة لم تكلم يشبه كلام الأنبياء وهي من أحكم حكم العرب "[3]، فمن ذلك قوله:

وإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء

فذلكم مقاطع كل حق ثلاث كلهن لكم شفاء [4]

فقد جمع في هذا البيت طرق إثبات الحق وفض الخلاف فهي كما قال ثلاثة إما بالحلف واليمين أو أو الحرب والقتال أو بظهور الحق بعد أن كان ملتبسا و بأحد هذه الثلاثة تشفى القلوب ويفصل بين الناس

و من أكثر الأبيات إيجازا وأروعها بيانا قول السموأل [5]:

---

[1] –المصدر نفسه والصفحة نفسها .

[2] – ديوان امريء القيس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط4، 1984م، ص 113.

[3] – أبو منصور الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، ص137، 138

[4] – ديوان زهير بن أبي سلمى، ص 13

[5] –أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ، كتاب الأمالي، الناشر وزارة الثقافة الجزائرية بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية(دط) 2007 م، ج1 ص269

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضـــه فكـــل رداء يرتـــديه جميل

و إن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل .

فقد أشار في هذا البيت إلى مكارم الأخلاق ؛ من صفح و عفو وجود وكرم وشجاعة وحلم وصبر وعفّة و هذه كلها أمور وإن كان في تحملها مشقة، فهي سبيل الرفعة والاحترام بين الناس .

ومن جميل الإيجاز ما قاله النابغة الذبياني في الاعتذار:

ولست بمستبق أخا لا تلمّه على شعث أي الرجال المهذب [1]

فإنه غاية في الإيجاز فقد أشار إلى معنى عظيم، ومنطق حكيم ؛ فأي شخص وأي زميل خال من العيوب؛فلو تتبعت هذه الهفوات والزلات ما تركت لنفسك صديقا ولا حبيبا تدخره لصروف الزمان المتقلبة .

ومن الإيجاز البليغ ما قاله كعب بن زهير معتذرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

أ نبئت أن رســـول الله أوعـــدني والعفو عند رسول الله مأمـــول

مهلا هداك الذي أعطاك نافلة ال قرآن فيها مواعيـــظ وتفصـــيل

لا تأخذني بأقـــوال الوشـــاة ولم أذنب و لوكثرت عنيّ الأقاويل. [2]

فقد جمع بلفظتي (مواعيظ و تفصيل) كل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الشريعة والهدى والحق والأخلاق الفاضلة من عفو وصفح ومحبة وعدل وسلام.

ويشير بكلمة (الأقاويل) إلى كل ما أثير حوله من فحش ومجون .

و من الإيجاز أيضا قول طرفة بن العبد:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد [3]

فالأيام كفيلة بتعليم الإنسان و إخباره بكل ما يجهله من حقائق وأخبار وتجارب وحكم.

---

[1]– ديوان النابغة الذبياني، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، 1985م ، ص 74

[2]– ديوان كعب بن زهير، قراءة وتقديم:د محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ط1، 1995م، ص 89

[3] - ديوان طرفة بن العبد، دار صادر، بيروت، (د ط، د ت)، ص 41

ولا تكثر ظاهرة الإيجاز في الشعر الجاهلي فقط، بل الظاهرة حاضرة في الشعر العربي على مد العصور فهذا جرير–الشاعر الأموي– يقول مفاخرا:

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا . [1]

أي إذا سخطت عليك هذه القبيلة فلن ينفعك رضا غيرها وهو يشير إلى مكانة هذه القبيلة وقوتها ونفوذها بين الناس كأني بهذه القبيلة هي الدنيا وما فيها من بشر، وغيرها تافه لا ذكر ولا قيمة له .

2– الإيجاز في البلاغة النبوية: قبل الحديث عن الإيجاز في البيان النبوي لا يفوتني التوكيد على أن البحث في مجال الحديث النبوي من الوجهة البلاغية والبيانيّة ثريّ ومشوّق وخصب، إذ لا تزال الدراسات في هذا المجال رغم كثرتها غير كافية، فالبيان النبوي أكثر من أن تحصى جوانبه وتدرك كنوزه، وإنما الذي نقصده في هذا المبحث هو إلقاء الضوء على جانب من الدراسة البلاغية في أسلوب الحديث النبوي ممثلة في ظاهرة الإيجاز وورودها في مطلق ألوان البيان فيه.

فلقد كانت فصاحته –صلى الله عليه وسلم– مبعث الإعجاب والحيرة لدى فصحاء العرب؛ أعجزت لسانهم وغلبت بيانهم، فاعترفوا لها بالتفرّد والتفوق، ولقد قال –صلى الله عليه وسلم– في ذلك:(أنا أفصح العرب بيد أنني من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر) [2]، وقد" وصفت أم معبد فصاحته–صلى الله عليه وسلم– فهو "حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظمن"[3]، أي ليس بقليلٍ فيدل على عيّ، ولا كثيرٍ فاسد، كما جمع الجاحظ صفات كلامه–صلى الله عليه وسلم بقوله: " هو الكلام الذي قلّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجلا عن الصفة وتنزّه عن التكلف... جمع له المهابة والحلاوة وحسن الإفهام، وقلة عدد

---

[1] –ينظر ديوان جرير بن عطية، شرح:إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1982م، ص 99

[2] –عبد الرؤوف المناوي.، فيض القدير في شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى مصر، ط1(1356هـ).ج1.ص225.

[3] أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت544 هـ)، الشّفا بتعريف حقوق المصطفى، تح: علي محمد البجاوي، دار الكتاب العربي (د ط)، 1977م، ج 1، ص 106، 107

الكلام..."[1].

وقد جمع الرافعي (ت 1937م) خصائص البلاغة النبوية في أسرارٍ ثلاثة هي:"الخلوص، والقصد، والاستيفاء؛ فالخلوص في اللغة هو النفوذ في أسرارها وضعا وتركيبا فهو يستعبد اللفظ الحر، ويحيط بالعتيق من الكلام، ، والخلوص في الأسلوب هو امتلاك الأسلوب العصبي الجامع المجتمع على توثق السرد وكمال الملاءمة.

وأما القصد والإيجاز و الاقتصار على ما هو من طبيعة المعنى في اللفظ، ومن طبيعة الألفاظ في معانيها ومن طبيعة النفس في حظها من الكلام.

وأما الاستيفاء فهو إحكام الكلام وإيجازه، وحذف فضوله، وهو ما يتمكن به السامع من تمثل المعنى واستيعابه واستكماله دون خداج " [2].ولعمري إنها صفات الكمال والبيان؛ فقد جمعت بين صفاء الكلمة وتمكنها في أداء المعنى، وقوة الأسلوب، وإحكامه المتمثلة في جمع المعاني المرادة بأقل الألفاظ.

الإيجاز وجوامع الكلم:

يقابل مصطلح الإيجاز في البيان النبوي جوامع الكلم التي أوتيها صلى الله عليه وسلم، وورد ذكرها في أحاديث كثيرة منها:

ما رواه البخاري عن أبي هريرة – رضي الله عنه –: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب وبينما أنا نائم رأيتني أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي، قال أبو هريرة: فقد ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنتم تلغثونها —أو ترغثونها أو كلمة تشبهها)[3]، فجوامع الكلم منحة ربانية أوتيها صلى الله عليه وسلم؛ فهو يعبّر عن المعاني الغزيرة بألفاظ قليلة مختصرة.

---

[1] – الجاحظ. البيان والتبيين. ج2.ص17.

[2] – مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 2003 م .ص232، 233 بتصرف

[3] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت256 هـ)، صحيح البخاري(الجامع الصحيح المختصر)، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط3، 1987م ج 6، ص 2654 باب قول النبي صلى الله عليه وسلم:"بعثت بجوامع الكلم ".

وقد ورد في الحديث: (نحن معاشر الأنبياء فينا بكاء)[1]، أي قلّة كلام، وهو من بَكَأَتِ الناقة والشاة؛ قلّ لبنها وقيل انقطع"[2]، ولقد وصفت السيدة عائشة- رضي الله عنها- قلّة حديثه صلى الله عليه وسلم فقالت:(كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يسرد الكلام كسردكم هذا، كان كلامه فصلا يبينه، يحفظه كل من سمعه .) [3]

من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم: عنى العلماء بجمع أحاديث كثيرة تعدّ من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم منها:(إنما الأعمال بالنيات) [4]، وقوله: (الدين النصيحة) [5]، وقوله: (المرء مع من أحب)[6]، وقوله:(بعثت في نفس الساعة)[7]، وقوله:(الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور متشابهات)[8]، وقوله في الإحسان:(أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) [9]، وإذ وإذ نورد هذه الأحاديث فإنما هي على سبيل التمثيل والتبيين لأن" حصر البليغ من كلام النبوة ممتنع معجز؛ لأنه كله بليغ فصيح" [10]، ويستوي فيه الحديث الطويل والحديث القصير، فهي تكشف عن معانٍ جليلة وأحكام عظيمة، فاشتهر لدى العلماء تصنيف الكتاب في شرح الحديث الواحد واستنباط الأحكام الفقهية والآداب الشرعية منه ومن هذه التصانيف:[11]

---

[1] – محمود بن عمر الزمخشري.الفائق في غريب الحديث.تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر لبنان.ط 3(د ت) ج1.ص125.

[2] – ابن منظور. لسان العرب.مادة "بكأ ".

[3] –أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي(ت 303هـ) السنن الكبرى، تح عبد الغفار سليمان النداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت.(د ط)، 1991م ج 6 ص 109 .

[4] –أبو بكر البيهقي (ت458 هـ) سنن البيهقي الكبرى، تح:محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة(دط)، 1994م، ج 7، ص 341

[5] –صحيح البخاري ج 1 ص 30 باب قول النبي صلى الله عليه وسلم " الدين النصيحة "

[6] –صحيح البخاري ج 5 ص 2283، باب "علامة الحب في الله عز وجل "

[7] – أبو الحسن الرامهرمزي (ت 576هـ) في أمثال الحديث تح:أحمد عبد الفتاح تمام، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، (د ط) 1409 هـ، ج 1 ص 23

[8] – صحيح البخاري.ج1ص 28

[9] –صحيح البخاري، ج 4، ص1793، باب " لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم "

[10] – أسامة بن منقذ.لباب الآداب.تح:أحمد محمد شاكر.دار الجيل. بيروت، ط1، 1991 م.ص334.

[11] –للتوسع أكثر ينظركتاب الدكتور عبد الرحمن بودرع الإيجاز وبلاغة الإشارة في البيان النبوي، مطبعة الخليج العربي المغرب، ط 1 2009م، من الصفحة 62 إلى 82.

– كتاب"نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس" للإمام الحافظ بن رجب الحنبلي.

– كتاب"بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد" للقاضي عياض.

– كتاب"قطر الولي على حديث الولي" للإمام الشوكاني.

– كتاب"شرح حديث الأعمال بالنيات" لمحمد بن أحمد بن حامد الشافعي.

– كتاب"شرح حديث المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن" لمحمد الأمين بن جعفر الصوصي السجلماسي.

ولا يسع المقام لطرح نموذجي تطبيقي على هذه الأحاديث الجامعة إلا من إشارات على سبيل التمثيل، من ذلك ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في حديث مطول يتضمن الإجابة عن سؤال جبريل قال:"ما الإحسان"؟ قال:" أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" [1] . فقوله" تعبد الله كأنك تراه" من جوامع الكلم فهي تدل على شروط أساسية يجب توفرها في العبادة ؛كالإخلاص في النية، وأداء العبادة على أكمل وجه، واستحضار هيبة الخالق عزّ وجلّ، وكذا الاستمرارية والتفاني والانقطاع للعبادة" لأن العبد إذا خدم مولاه ناظراً إليه استقصى في آداب الخدمة بكل ما يجد إليه سبيل، وما ينتهي إليه الطوق" فهذه المعاني وغيرها جمعت في قوله صلى الله عليه وسلم" تعبد الله كأنك تراه".

والبيان وظيفة النبوة وصفتها" فالسنّة هي بيان القرآن أو زيادة على ذلك" [2]، ولقد جاء الأمر بالبيان للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3]، والبيان كما عرّفه الرماني هو " إحضار المعنى للنفس بسرعة إدراك والكشف عنه حتى تدركه من غير عقلة، وإنما قيل ذلك؛ لأنه قد يأتي التعقيد في الكلام الذي قد يدل ولا يستحق اسم البيان"[4]، فالبلاغة النبوية اعتمدت الإيجاز وسيلة للتبليغ، وأسلوبا لإظهار البيان والإعجاز الذي هو من أكبر دلائل النبوة وحججها الخالدة، لذا كان ورود الإيجاز في البيان

[1] – سبق تخريجه في الصفحة السابقة

[2] –عبد الرحمن بودرع، المرجع السابق، ص 25

[3] سورة إبراهيم، الآية 4

[4] –الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص 98، والعمدة لابن رشيق، ج 1، ص 437

النبوي في أساليب متنوّعة نتناول في هذا المبحث منها التشبيه والكناية والاستعارة ثم المجاز.

أولاً: التشبيه:

يعدّ التشبيه من وسائل التبليغ والتوضيح إذ يقرّب الصورة، ويجعلها أكثر مثولاً ورسوخاً في ذهن المتلقي لأنه غالباً يصوّر المعاني المجرّدة ويجسّدها في أشكال محسوسة، والأحاديث التي حوت التشبيه والتمثيل كثيرة حتى خصّها صاحب الإعجاز والإيجاز بفصل سماه "جوامع تشبيهاته وتمثيلاته صلى الله عليه وسلم" [1]، وسنتناول بالدراسة والتطبيق بعضاً منها لإظهار بلاغة الإيجاز فيها.

أ-روى أبو هريرة رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كلّ يوم خمس مرات. ما تقولون، أيبقي ذلك من درنه شيئاً؟قالوا: لا يبقي ذلك من درنه شيئاً، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا) [2]، ففي هذا الحديث يشبّه النبيّ صلى الله عليه وسلم المؤمن الذي يواظب على صلاته خمس مرات في اليوم بالمؤمن الذي يغتسل خمس مرات من نهرٍ بباب بيته، وفي هذا تبيين لفضل الصلاة وقيمتها فهي تطهّر المؤمن من الآثام والذنوب كما يطهر الإغتسال من النهر صاحبه من الأوساخ والأدران وهذا من باب تشبيه المعنى المجرّد؛ وهو الطهارة من الذنوب بالمحسوس وهو النقاوة والنظافة من الأوساخ، وفي الإشارة إلى قرب النّهر تحفيز وتشجيع على الطهارة والصلاة، واختيار النهر على غيره من مصادر الماء فيه دلالة أخرى فالنهر رمز العذوبة ومنبع الارتواء، وكذلك الصلاة منبع السكينة والراحة والتلذّذ بطعم العبادة والخلوة بالله تعالى، والنهر زاخر بالخيرات يجلب معه الخصوبة، والحياة كما الصلاة حافلة بأنواع العبادات من تكبير و تحميد، وسجود ودعاء، وفي ملازمتها هداية وبعد عن الفحشاء والمنكر، انظر كيف حوى الحديث مع إيجازه وقلّة ألفاظه هذه المعاني ؟ ومازال للباحث فيها بقية.

ب - عن النعمان بن بشير —رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو

---

[1] -أبو منصور الثعالبي، الإعجاز و الإيجا ز، ص 21

[2] -صحيح البخاري، ج 1، ص 179

تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.) [1]، فقد شبه المؤمنين وهم في حال التراحم والتكافل والتعاطف والتكتل بالجسد الواحد، فإذا كانت الأعضاء في الجسم تشكّل وحدة متكاملة تتألم لألام الواحد منها وترتاح براحته فكذلك الفرد يعتبر عضواً في المجتمع المسلم شعوره وشعور المجتمع واحد فيحزنون لحزنه ويفرحون لفرحه، ويتنادون لنصرته وتلبيّة حاجياته، والتعبير بـــ"تتداعى" غاية في البيان لما فيه من إشارة إلى سرعة الاستجابة والإغاثة لأن الأمر جلل فالألم إذا كان في الجسد تألم له الجميع، وحال الأمّة اليوم خلاف ما صوّره الحديث الشريف من تشبيه، وفي هذا المعنى قال الدكتور عز الدين علي السيد"إن تأخر المسلمين اليوم وانحدار نجمهم آية على صدق هذا الحديث، وهو حديث ينطبق على حال المسلمين اليوم، وأن علاج قلوبهم وأداة انتصارهم وسبب عزتهم أن يعودوا في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم جسداً واحداً يسهر بسهر الجزء منه ويحمّ بحمّاه"[2]، ولقد جمع الحديث بين سهولة اللفظ وقرب المعنى وعمق الدلالة وفوق ذلك إيجاز العبارة.

– ث– روي عن كعب بن مالك–رضي الله عنه– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه)[3] .

الحديث الشريف يجعلنا نتخيّل مشهداً عظيماً وهو مشهد الذئبين الجائعين وفعلهما بالغنم افتراسا وإفسادا وشراسة منقطعة النظير، ويقابلهما ذئبان من نوع آخر هما حبّ المال والجاه والفريسة هي الدين .والجمع بين هذين المشهدين يصور خطورة وبشاعة المشهد، فعبث الذئب الجائع بالغنم معلوم لدى المخاطبين" والحرص معنى خفي لا يكاد يتأتى للمرء استشعار خطره؛ فإذا بالحديث يوقظه من غفلته، وينبّهه على الخطر المحدق به من جهته"[4].

ثانياً: الكناية:

الكناية من أبلغ المسالك البيانية، والطرق الأسلوبية التي استعملها العرب للتعبير عن

---

[1] –صحيح مسلم.ج4.ص1999.باب" تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم".

[2] – د.عز الدين علي السيد. الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية..دار اقرأ بيروت، ط2، 1986 م.ص160–161.

[3] – أبو الحسن علي بن أبي بكر الهيثمي. موارد الظمآن. تح: محمد عبد الرزاق حمزة.دار الكتب العلمية بيروت(د ط، د ت) ج1.ص612. باب "فتنة المال."

[4] – عز الدين علي السيد، المرجع نفسه..ص159.

أغراضهم المختلفة حسنها و قبيحها، ظاهرها وخفيّها لما لها من عمق الدلالة وإيجاز العبارة، وقد عرّفوها بقولهم: لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه"[1]. ومن أمثلتها في الحديث النبوي الشريف:

– ما رواه معاوية –رضي الله عنه– أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(المؤذّنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة) [2]، فهي كناية عن شرف وفضل وعظيم أجر المؤذن، فترك هذا المعنى الخفي وهو المراد، وأشار إليه بطول العنق يوم القيامة" وطول العنق يظهر في رفع الرأس إلى أعلى شعوراً بكرامة المترلِ وفرحاً بحسن الثواب، وقد شاع هذا التعبير في الدلالة على الشرف والكرامة فيقال لمن أنال أهله شرفاً: أطلت أعناقنا، ورفعت رؤوسنا، ويقال في العكس للمسيء قصرت رقبتنا"[3].

– ومن ألطف الكنايات وأوجزها عبارة، وأكثرها دلالة ما روي عن آنس–رضي الله عنه– أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليسأل أحدكم ربّه حاجته كلها حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع) [4] وفي هذا الحديث دلالة على حاجة الإنسان إلى ربه في الأمور كلها، فهو عاجز قاصر أمام كمال الألوهية، ضعيف فقير عليه أن يعود إلى خالقه لتحقيق حاجاته صغيرها وكبيرها سرّها وعلنها، وفي ظروف الرخاء وفي ظروف الشدة والتعبير ب:"ليسأل" فيه حثّ وأمر بالاستمرار على السؤال وتحقيق الغاية حتى ولو كانت الغاية أبسط الغايات وأهونها، فالتعبير بقوله:"حتى يسأله شسع نعليه إذا انقطع" "كناية عن أتفه الأشياء من حاجة الإنسان تلك التي قد يأخذه الحياء في سؤالها، أو الثقة في القدرة على تحصيلها" [5]، وفي استمرار السؤال استمرار الصلة بين العبد وربه، وسؤاله العون والتوفيق امتثال لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[6].

---

[1] –القزويني، التلخيص في وجوه البلاغة. ص 337

[2] شرح سنن ابن ماجة للإمام الحافظ علاء الدين مغلطاي ابن قليج بن عبد الله الحنفي (ت 762هـ) تح: كامل عويضة، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، 1999 م، ج 1، ص 1165

[3] – عز الدين علي السيد .المرجع السابق.ص212.

[4] الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت 279هـ)، سنن الترمذي، تعليق:محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، ط 1، (دت)، ص 820 باب" ليسأل الحاجة مهما صغرت".

[5] عز الدين علي السيد، المرجع نفسه ص 217

[6] – سورة غافر الآية 60.

وهذا حديث آخر زاخر بالكنايات مما يدل دلالة قاطعة على حضور الكناية في البيان النبوي فهي من وسائل التبليغ، وهي في مواطن خاصّة تكون أبلغ من الإفصاح والتصريح، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من وقيّ شرّ مابين لحييه ومابين رجليه دخل الجنّة)[1]، فقد كنّى بالعبارتين عن أمرين عظيمين وأشار إلى أخطر شهوتين لذا كان ضمانهما ضمان للجنة، وانظر إلى سهولة إدراك المراد بالكناية وقرب فهمها وحسن وقعها على الأذن، وقارن بينها وبين لو أنها جاءت بلفظ صريح مستهجن، فإنه لعمري أدب النبوة الرفيع ومنهج الدعوة القويم، فقد أشار صلى الله عليه وسلم بقوله:"ما بين لحييه "إلى اللسان، وما أعظم جرائمه وفتنه، وما أكثر أكله الطعام الحرام، وفي الجزء الثاني كناية عن العورة، " وضمان هذا المكان أن يلم به فحش، أو يسقط به في الخنا فجور، عزيمةٌ من الله يصطفي لها الطاهر العف، وقدرة على النفس، يسلم بها الدين والشرف، وإباء عن الضعة لا يظفر به إلا معان" [2]؛ لذلك استحق من حافظ على سلامة اللسان، وحصانة الفرج الجنة لما في المحافظة على هذين من مشقة ومجاهدة للنفس والأهواء .

ثالثا: الاستعارة:

وهي كثيرة في البيان النبوي، وقد خصّها أبو منصور الثعالبي بفصل جمع فيه استعارته صلى الله عليه وسلم[3]، والتي هي من أبلغ جوامع الكلم، وترتبط الاستعارة بالإيجاز حيث ؛" أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ ؛حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدّة من الدرر؛ وتجني من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر" [4]، فهي ذات أبعاد إيحائية ودلالية جمة، ومن هذه الاستعارات قوله صلى الله عليه وسلم: (خير المال عين ساهرة لعين نائمة) [5]، ومنها أيضا عن أبي موسى

---

[1] – الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت807هـ) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان تح:حسين سليم الدارني و عبده علي الكوشك، دار الثقافة العربية، دمشق، ط 1، 1992 م، ج 8، ص 240

[2] – عز الدين علي السيد، المرجع السابق ص219

[3] – أبو منصور الثعالبي، الإعجاز والإيجاز .ص19.

[4] – عبد القاهر الجرجاني.أسرار البلاغة في علم البيان، تصحيح ومراجعة الشيخ محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1 ، 1988م.ص33.

[5] – أبو محمد عبد الله الدارمي (ت225هـ)، سنن الدارمي تح:أحمد فواز زمرلي و خالدالسبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1991 م، ج1ص 158

الأشعري-رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل) [1]، ففي الحديث استعارة مكنية حيث شبّه الساعة بالإنسان وحذف المشبه به، ودلّ عليه بشيء من لوازمه وهي اليد، وفي هذا إشارة إلى وقوع هذه الفتن قرب وقوع الساعة، فهي ملتصقة وملازمة لها كارتباط اليد بصاحبها، وفي هذا تنبيه على أن ظهور الفتن يؤذن بقرب حلول الساعة.

المجاز في البيان النبوي : المجاز هو" ذكرك الكلمة وأنت لا تريد معناها، ولكن تريد معنى ما هو ردف له أو شبيه " [2]فهو مجاوزة المعنى الظاهر إلى معنى قريب منه، و هو يشمل أنواعا كثيرة من فنون البيان كالاستعارة و التمثيل و المبالغة و الإشارة و يرتبط المجاز بالإيجاز إذ هو من وسائل الجمع و التكثيف و التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة، و في الحديث الشريف مجازات كثيرة وقد خصّها الشريف الرضي بكتاب سمّاه "المجازات النبوية "، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: (أحد جبل يحبّنا و نحبّه)[3]، فالحديث يحمل على المجاز لأن الجبل جماد لا إحساس له و لا شعور و المراد أهله و من حوله من أهل المدينة فهم يحبّون رسول الله، و هو يحبهم و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يصل به حبّ المدينة و حبّها له إلى أن تحبه جماداتها و يحبها هو، فالإنسان إذا أحب قوما أحب أرضهم وسماءهم وهواءهم وكان هواه هواهم .

ومن المجازات النبوية ما رواه عروة الباقي عن لنبي صل الله عليه وسلم أنه قال: (الخيل معقود في نواصيها الخير والأجر والمغنم إلى يوم القيامة) [4]، فالمجاز في قوله:"معقود في نواصيها"لأن الخير ملازم لها فهي المركب السريع والرفيق في الأسفار والعون عند الوغى، وهي خير المال، ولطالما كانت حاضرة في كل الفتوحات الإسلامية وعند الرباط في سبيل الله .

دلالة الإشارة : " الإشارة دال غير لغوي على مدلول، و هي علامة طبيعية أو صناعية

---

[1] – صحيح مسلم.ج1.ص110. باب" الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن"

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 293

[3] – صحيح مسلم، ج2.ص735

[4] – صحيح البخاري، ج3.ص1135.

تتوسط بين الباثّ والمستقبل بقصد التنبيه والإثارة"[1]

وتتألف الإشارات من حركات مختلفة باليد، أو الوجه أو الرأس، وترتبط بالإيجاز لأنها تعدّ بديلا عن كثير من الألفاظ والعبارات في حالة العجز عن التعبير أو كأداة لتقريب المراد من الكلام، "ولكن استعمال الحديث النبوي للإشارات والتعبير بملامح الوجه وأحوال الجسم ونبرات الصوت وكل الجوارح التي جري العرف على تحريكها من أجل التواصل والإفهام جاء مصاحبا للكلام باللسان وموازياً له ومؤكدا إياه"[2] وهي مظهر من مظاهر الإيجاز و الاقتصاد في الكلام والوقت، ومن الأحاديث التي ورد فيها استعمال الإشارة:

– عن ابن عمر–رضي الله عنهما– عن النبي صل الله عليه وسلم قال: (إنا أمة أميّة لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا و هكذا وعقد الإبهام في الثالثة، والشهر هكذا وهكذا و هكذا يعني تمام ثلاثين)[3] فالإشارة هنا تمثلت في عقد الإبهام.

وتارة يشير صلى الله عليه وسلم بالسبّابة والوسطى ويفرّج بينهما كما في الحديث الذي رواه سهل رضي الله عنه قال:قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا و أشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئًا)[4]، ففي هذه الإشارة كفاية عن كلام كثير مفهوم منها، وهو شرف وفضل ورفعة ومكانة الكافل، ووقوفه قريبا من النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة، والتفريج بين السبابة والوسطي دلالة لطيفة فهي تعني القرب ولا تعني التماس و الاشتراك في نفس المترلة.

ومن الإشارات ما تظهر في تغيّر أحواله صلى الله عليه وسلم ؛كأن يدخل فزعا أو يغضب حتى يحمّر وجهه أو تحمّر وجنتاه، فمن ذلك ما روى عن زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت:" خرج الرسول الله صل الله عليه وسلم يوما فزعا محمّرا وجهه يقول: (لا إله إلا الله ويل للعرب من شرّ قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلّق بإصبعه الإبهام والتي تليها قالت:فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟قال: نعم إذا كثر الخبث)[5] .

---

[1] – عبد الرحمن بودرع.الإيجاز وبلاغة الإشارة في البيان النبوي .ص217.

[2] – المرجع نفسه، ص226.

[3] – صحيح مسلم.ج2.ص761

[4] – صحيح البخاري.ج5.ص2032.

[5] – صحيح مسلم.ج4.ص2207–2208/ كتاب" الفتن و أشراط الساعة."

وقد اعتبر العلماء والفقهاء الإشارة بمنزلة الكلام المنطوق وبنوا عليها أحكاما فقهية ففي الموطأ قال الإمام مالك:" الإشارة عندي بمنزلة الكلام"[1].

وفي نهاية المبحث تجب الإشارة إلى أن الإيجاز طريقة في القول ومنهج تربوي و سلوكي في حياة العرب ,كما يشمل جميع جوانب السنة النبوية قولاً وفعلاً وتقريرًا فهو منهج شامل يقصد به تربية الأمة على الاقتصاد وحسن التصرف في القول والعمل، وفي أمور الدين والدنيا.

[1] -أبو عبد الله مالك بن أنس (ت179هـ)، الموطأ.تح:محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر، (دط، دت)ج2.ص448

الفصل الثاني

دلالات إيجاز القصر من زاوية علم المعاني.

مدخل: خصائص الخطاب القرآني.

المبحث الأول:ظاهرة الإجمال.

المبحث الثاني:دلالات التنكير.

المبحث الثالث: ظلال المعاني .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مدخل: خصائص الخطاب القرآني

إن الدارس للقرآن الكريم والمتمعن في مفرداته وجمله وسياقاته يدرك مدى الحكمة الربانية في تناسب الخطاب القرآني ومكوناته مع مقام المخاطبين، فلقد كان نزوله في مرحلتين مختلفتين من مراحل الدعوة الإسلامية وهما المرحلة المكيّة والمرحلة المدنية وكان لهذا الاختلاف انعكاسه على النص القرآني من حيث شكل الخطاب ومضمونه ومقاصده وذلك مراعاة لاختلاف أحوال المخاطبين ومعتقداتهم وبيئاتهم ونفسياتهم، فيتغير الخطاب بين الشدة والرفق من جهة وبين الإيجاز والإطناب من جهة أخرى وهذه المناسبة بين الخطاب والمقام أشار إليها الجاحظ بقوله: "و رأينا الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل، أو حكى عنهم جعله مبسوطا. وزاد في الكلام"[1]؛ ذلك لأن العرب أهل فصاحة وأرباب بيان اشتهروا بالإيجاز بل تكفيهم الإشارة والإيماءة، واليهود دونهم في ذلك يناسبهم البسط والتفصيل. وللتوسع في شرح هذا المنهج القرآني وجدتني مضطرا لدراسة ذلك من خلال الحديث عن القرآن المكي والقرآن المدني وخصائص كل منهما.

مميزات الخطاب المكي والمدني [2]:

اجتهد العلماء في استنباط ضوابط قياسية لكل من الخطابين المكي والمدني وحدّدوا خصائص كل خطاب وأهم الجوانب التي تناولها والأساليب التي استعملها لتحقيق المقاصد الشرعية بالأساليب البلاغية المناسبة لكل مقام من مقام المخاطبين واعتمدوا في معرفة المكي والمدني على منهجين أساسيين: المنهج السماعي المعتمد على النقل، والمنهج القياسي المعتمد على الاجتهاد.

فالمنهج السماعي يستند إلى الروايات الصحيحة المنقولة عن الصحابة الذين عاصروا نزول الوحي والأحداث التي رافقته، أو عن التابعين الذين سمعوا من الصحابة وتلقوا عنهم أحداث

---

[1] – الجاحظ، الحيوان، ج1 ص 94.

[2] - للتوسع أكثر ينظر كتب علوم القرآن كالإتقان في علوم القرآن للسيوطي، عالم الكتب، بيروت، (د ط، د ت)، ج 1 ص 8إلى14، والبرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث القاهرة (د ط، د ت)ج 1 ص 187 وما بعدها،، وكتاب مناع القطان مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط3، 2000 م، من 49 إلى 64.

النزول وأسبابه لذا قال الباقلاني رحمه الله: " إنما يرجع في معرفة المكي والمدني لحفظ الصحابة والتابعين، و لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك قول لأنه لم يؤمر به، و لم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة، وإن وجب في بعضه على أهل العلم ومعرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ فقد يعرف ذلك بغير نص الرسول"[1].

والمنهج القياسي الاجتهادي فيعتمد على الضوابط والخصائص التي تميز كل خطاب فإذا جاء في السورة خصائص المكي قالوا إنها مكية، وإذا وجد فيها خصائص المدني قالوا إنها مدنية وهذه ضوابط اجتهادية لا تخلوا من استثناءات وهي كالآتي:

- **ضوابط الخطاب المكي:**

- كل سورة فيها سجدة فهي مكية.

- كل سورة فيها لفظ (كلا) فهي مكية و لم ترد إلا في النصف الأخير من القرآن، وذكرت ثلاثا وثلاثين مرة في خمس عشرة سورة وفي الحكمة من كثرة ورودها في السور المكية قال العماني: "وحكمة ذلك أن نصف القرآن الأخير نزل أكثره بمكة، وأكثرها جبابرة، فتكررت فيه على وجه التهديد والتعنيف لهم والإنكار عليهم، بخلاف النصف الأول. وما نزل منه في اليهود لم يحتج إلى إيرادها فيه لذلتهم وضعفهم".[2]

-كل سورة فيها ذكر آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة

- كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الغابرة فهي مكية عدا البقرة.

-كل سورة فيها (يا أيها الناس) وليس فيها (يا أيها الذين آمنوا) فهي مكية إلا سورة الحج ففي أواخرها: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[3] مع العلم أن كثيرا من العلماء يرى أن هذه الآية مكية.

- كل سورة تفتح بحروف التهجي ك (ألم)و(الر)و(حم)و غيرها فهي مكية سوى البقرة

---

[1] – السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1 ص 9.

[2] –محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: هاني الحاج، المكتبة التوفيقية مصر(دط، دت)، ج1 ص 197.

[3] - سورة الحج، الآية 77.

وآل عمران.

- الخصائص الموضوعية والأسلوبية للخطاب المكي:

-العناية بالجانب العقدي بالدعوة إلى توحيد الله وعبادته وحده ومحاربة الشرك بمظاهره المختلفة وإثبات الرسالة، وإثبات البعث والجزاء وأركان الإيمان الصحيح، وإبطال عقائد المشركين بالبراهين العقلية والآيات الكونية.

- الجانب التشريعي والأخلاقي وذلك بتبيين الأسس الشرعية العامة التي يقوم عليها الدين الإسلامي والقيّم والأخلاق الفاضلة التي بني عليها كيان المجتمع الإسلامي على خلاف ما كان عليه المشركون من شرائع باطلة تقوم على سفك الدماء وأكل مال اليتامى ظلما، والتعامل بالربا، ووأد البنات، واستباحة، الأعراض وغيرها، قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[1].

- ذكر قصص الأنبياء وأخبار الأمم السالفة على سبيل الزجر والاعتبار وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم حتى يصبر على ما يلحقه من أذى من كفار مكة.

- قصر الآيات والفواصل مع إيجاز العبارة، وكثرة القسم والتوكيد مع قوة الألفاظ بما يقرع الآذان ويحرك القلوب التي غلبت عليها القسوة والغلظة.

ضوابط الخطاب المدني:

-كل سورة فيها ذكر الحدود فهي مدنية فسورة المائدة مدنية وقد ورد فيها حدا الحرابة في قوله تعالى: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ..)[2]، وحدّ السرقة، قال تعالى: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[3]، وورد حد الزنا في سورة النور وهي مدنية.

-كل سورة فيها ذكر الفرائض والتشريعات فهي مدنية.

---

[1] - سورة الأعراف، الآية 33.

[2] - سورة المائدة، الآية 33.

[3] - سورة المائدة، الآية 38

-كل سورة فيها ذكر الجهاد فهي مدنية قال تعالى في سورة الأنفال: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)[1]

-كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية سوى العنكبوت فإنها مكية.

-كل سورة فيها مجادلة أهل الكتاب فهي مدنية، وأهمها سورة البقرة، وآل عمران والنساء، والمائدة والتوبة وورد على سبيل المثال قوله تعالى في سورة التوبة: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ)[2].

خصائص الموضوعية والأسلوبية للخطاب المدني:

- طول الآيات والسور المدنية" وهذا يظهر جليا في تفوق نسبة الآيات المدنية من مساحة المصحف بالنسبة للآيات المكية مع أن مجموع الآيات المدنية لا يزيد عن ربع مجموع الآيات المكية عددا "[3] وهذا الطول يناسب تقدير أحكام الشريعة وتفصيلاتها كما هو الحال في آية الدين.

- التفصيل الدقيق لدقائق التشريع، وتفصيل أحكام العبارات والمعاملات والفرائض والحدود وعلاقة المسلمين بغيرهم في السلم والحرب، وقواعد الحكم ونظام الأسرة وغير ذلك.

- أسلوب الإطناب في الآيات والسور المدينة وهو أسلوب يناسب تفصيل الأحكام وتبيين التكاليف وأنواعها.

مظاهر الإيجاز في الخطاب المكي:

كانت البدايات الأولى لنزول الوحي بمكة فهي المهبط الأول للوحي وأهلها هم المخاطبون الأولون بالرسالة قبل البعثة وهم على ما هم عليه من انتشار للفواحش واستشراء للظلم واستعباد للضعفاء ووأد للبنات، وتعامل بالربا وعبادة للأصنام والأوثان وإشراك بالله وتكذيب بالبعث والحساب ويقولون: ("أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ")[4] ويقولون: ("وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا

---

[1] - سورة الأنفال، الآية 39

[2] - سورة التوبة، الآية 30

[3] - غازي عناية، هدى الفرقان في علوم القرآن، دار الشهاب، باتنة، (د ط)، 1988م، ج1، ص217.

[4] - سورة الصافات الآية 16

حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ")[1].

كل هذا الفساد البالغ في العقيدة تصدت له الآيات الأولى من القرآن بالتصحيح، فالحكمة الربانية اقتضت من الخطاب القرآني "بأن يسلك سبيل التدرج والارتقاء في تربية الأفراد، وأن يقدم الأهم على المهم، ولا ريب أن العقائد والأخلاق والعادات، أهم من ضروب العبادات ودقائق المعاملات لأن الأولى كالأصول بالنسبة للثانية لذلك كثر في القسم المكي التحدث عنها والعناية بها"[2]، فقد تجاوب الوحي مع المؤمنين على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة و لم يتطرق إلى دقائق التشريعات والتكاليف التي لا يقوون عليها وهي في بداية المرحلة الإيمانية، فكانت بدايات القرآن سور من المفصل قليلة الآيات يسيرة الحفظ، قريبة المعنى قالت عائشة رضي الله عنها: "إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام "[3]، ولما كان الموضوع الرئيس في الخطاب المكي هو العقيدة وتحقيق التوحيد كان الأسلوب المناسب الإيجاز لما فيه من خفة وسرعة تخلص إلى الوجدان بحركة سريعة خاطفة فاقرأ إن شئت قوله تعالى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿1﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿2﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿3﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿4﴾)[4]، فالسورة على قصرها وإيجازها حوت أركان التوحيد من الإقرار بوحدانية الله تعالى وتنزيهه عن صفات النقص مما يتصف به البشر من الحدوث والتكاثر، والفناء والعجز، والحاجة إلى الغير، وقد تحقق ذلك كله في هذه السورة بفضل هذا القصر الذي جعلها لحمة واحدة، و لم تتعد آياتها الكلمتين أو الثلاث، فحضور الوحدات الثنائية ظاهرة بارزة على أوائل السور المكية ؛كسورة العاديات، وسورة التكاثر، والتين، وغيرها من السور، بل منها ما كانت فواصلها كلمة واحدة كسورة الضحى، والعصر، والفجر وغيرها. كما جمعت هذه السور إضافة إلى قصر فواصلها بساطة جملها وبعدها عن التركيب الذي يتطلب وقتا وتركيزا للربط بين عناصر الجملة؛ فالقوم في غاية النفور وقمة الإعراض تكفيهم الإشارة الخفيفة واللمحة الدالة.

---

[1] - سورة الجاثية الآية رقم 24

[2] –محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1ص202، 203.

[3] – محمد ناصر الدين الألباني، مختصر صحيح الإمام البخاري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1، 2002 م ج 3 ص 336 باب "تأليف القرآن ".

[4] - سورة الإخلاص

وخلاصة القول إن الإيجاز أسلوب اقتضاه المقام وبداية مرحلة الدعوة في مكة، كما هو ضرورة فنية لتحقيق أحد مظاهر الإعجاز البياني الذي بهر المعاندين وشدّ إليه المكابرين.

وفي هذا الفصل نتتبع ما أمكن التعرف عليه من مواطن إيجاز القصر في السور المكية محاولين إظهار جانب البيان والإعجاز فيها مستنيرين في ذلك بما خطّه الأولون؛ إذ الفضل للمتقدم؛ فلولا الشواهد التي ساقوها ما عرف الإيجاز ولا ظهرت بلاغته وسأحاول في هذه الدراسة جمع الشواهد الواردة في السور المكية حسب ترتيب السور والآيات في المصحف الشريف، مستعينا في فهما بمراعاة سبب النزول والسياق العام للآية أو السورة والترابط الحاصل بين الآيات والسور.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: ظاهرة الإجمال

قبل دراستنا لظاهرة الإجمال في السور المكية فإنه لابد من الاعتراف بأن الشواهد كثيرة وكنوز القرآن أكثر من أن تحصى، وإنما هذه إشارات ونماذج لإظهار جانب من الإعجاز البياني

في القرآن الكريم، وسنحاول التنويع في المواضيع والوقفات، ونتجنب تكرار الشواهد التي تصب في المعنى نفسه طلباً للفائدة، وسعيا لإظهار دلائل جديدة تبرز مدى عناية القرآن الكريم بظاهرة الإيجاز بأشكالها المختلفة.

والإجمال في اللغة: من أجمل الشيء: "جمعه عن تفرقة" [1]، و"أجمل الشيء جمعه، والمجمل الموجز،والجملة جماعة كل شيء،وأجمل الكلام ساقه موجزا"[2].

ومن التعريف اللغوي يمكن القول إن الإجمال: هو جمع المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة، وهو عين مفهوم الإيجاز لدى المتقدمين, والإجمال أكثر ظواهر الإيجاز وروداً في القرآن الكريم، وهذه الظاهرة اعتبرها عبد الله درّاز من خصائص الأسلوب القرآني وذلك في قوله"وهذه عجيبة أخرى تجدها في القرآن الكريم ولا تجدها فيما سواه، ذلك أن الناس إذا عمدوا إلى تحديد أغراضهم لم تتسع لتأويل، وإذا أجملوها ذهبوا إلى الإبهام أو الإلباس،أو إلى اللغو الذي لا يفيد، ولا يكاد يجتمع لهم هذان الطرفان في كلام واحد " [3], ويصف عبد الله دراز ثراء هذه الظاهرة بقوله: "حتى ترى للجملة الواحدة أو الكلمة الواحدة وجوها عدة وكلها صحيح ومحتمل وكأنا هي فص من الماس يعطيك كل ضلع منه شعاعا فإذا نظرت إلى أضلاعه جملة بهرتك بألوان الطيف كلها فلا تدري ما ذا تأخذ عينك وما ذا تدع" [4]، وهذا يؤكد رسوخ هذه الظاهرة في القرآن الكريم وما لها من قيمة دلالية تتسع عبر الزمان، والإ جمال ضده البسط والتفصيل وكل منهما يحسن في مواطنه.

و من أكثر الشواهد القرآنية دلالة على ظاهرة الإجمال سورة الفاتحة، وهي سورة مكية تعددت أسماؤها وصفاتها لمالها من مكانة عظيمة وفضل جزيل فهي: أم الكتاب وأم القرآن، وهي الفاتحة وهي السبع الثاني التي ورد ذكرها في قوله تعالى:) وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ)[5] و من أسمائها أيضا: الشافية، والوافية، والكافية والأساس، والصلاة، والرقية، والسؤال، وسورة الدعاء وسورة الشكر، "وسورة الفاتحة من السور ذات الأسماء الكثيرة

---

[1] – ابن منظور. لسان العرب.مادة" جمل "

[2]- مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط, دار المعارف، بمصر، ط 2، 1972 م، مادة "جمل".

[3] – عبد الله دراز، النبأ العظيم، ص 111

[4] – المرجع نفسه، ص 112

[5] – سورة الحجر، الآية 87

والمظنون أن بعض أسمائها ليس توقيفيّا" [1] وهذه الأسماء الكثيرة هي بكثرة ما في السورة من معان وأسرار.

– فقد جمعت"جميع علوم القرآن، وذلك أنها تشتمل على الثناء على الله عز وجل بأوصاف كماله وجلاله، وعلى الأمر بالعبادات والإخلاص فيها، والاعتراف بالعجز عن القيام بشيء منها إلا بإعانته تعالى وعلى الابتهال إليه في الهداية إلى الصراط المستقيم وكفاية أحوال الناكثين، وعلى بيان عاقبة الجاحدين".[2]

والحديث عن إيجاز القصر في هذه السورة هو حديث عن المعاني الكامنة التي تنبثق دلالاتها من خلال المفردات والآيات يفوق الحديث عنها الشرح أو التفسير، ففي قوله تعالى:

– (ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ(ثناء وتوحيد واعتراف ؛فقد جمعت كلمة "الحمد" أصناف الحمد في كل الأحوال "فالألف واللام لاستغراق الجنس من المحامد" [3] كثيرها وقليلها وفي السراء والضراء وفي كل حين، وفي تخصيص الحمد لله كمال الإيمان والتوحيد فهو أهل الحمد والثناء.

– (رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ(يأتي الربّ في اللغة بمعان كثيرة منها: المعبود، والسيد المالك، والقائم بالأمور المصلح لما يفسد منها، والملك، و"هذه الاستعمالات قد تتداخل فالربّ على الإطلاق الذي هو ربّ الأرباب على كل جهة هو الله تعالى" [4]، و"العالمين"": جمع عالم وهو كل موجود سوى الله تعالى" [5] ف (رب العالمين) حوت تلك المعاني كلها مجتمعة فهو المعبود والسيد والملك والمالك القائم بشؤون العالمين إنسهم وجنهم وملائكتهم وغيرهم من المخلوقات.

ففي قولنا (رب العالمين) إقرار واعتراف بربوبية الله للكون، وتتريه على أن يشاركه فيها سواه، فانظر كيف جمعت هذه الآية على قصرها وإيجازها هذه المعاني الكثيرة وما جهلناه أعظم.

---

[1] – محمد الطاهر بن عاشور، (تفسير سورة الفاتحة)، المجلة الزيتونية، ج 1، العدد 2، أكتوبر 1937م، ص 8

[2] – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت671هـ)– الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تح: عبد الله بن عبد الحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 2006 م، ج1، ص173

[3] –أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت 546هـ)– المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية لبنان، ط1، 2001 م، ج1، ص66

[4] –ابن عطية، المحرّر الوجيز، ج1، ص 67

[5] – المصدر نفسه والصفحة نفسها.

-(ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ): مدح وتعظيم وطمع ورجاء، يظهر هذا كله عند مراجعة بيان الآية ؛فالله تعالى مع كونه ربّ العالمين فهي صفة تضاف إلى صفتين —الرحمن-الرحيم قال القرطبي: " رحمن الآخرة ورحيم الدنيا فهما صفتان تشملان كل معاني الرحمة وأنواعها المختلفة قال "الخزرمي": الرحمن بجميع خلقه في الأمطار ونعم الحواس والنعم العامة، الرحيم بالمؤمنين في الهداية لهم واللطف بهم"[1]، فهاتان الصفتان تبعثان على الطمع والرجاء في طلب الرحمة وسؤال الخير من الله تعالى في الدنيا والآخرة.

- (يَوۡمِ مَلِكِ ٱلدِّينِ(دلالة على كمال ومطلق القدرة الإلهية، وإثبات لعقيدة البعث والحشر والحساب، فالله تعالى له مطلق الملكية والتصرف في هذا اليوم بدءً من البعث إلى كل تفاصيل هذا اليوم كما قال تعالى: (يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ)[2]

-(إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ (وفي هذه الآية من المعاني مالا يمكن حصره فمنها: إبرام العهد مع الله على أداء الطاعات والتذلل "فالعبادة: التذلل قال الجمهور" [3] وتخصيص الله تعالى بالعبادة وطلب الاستعانة منه فيه كمال الإيمان إذ لا أحد يستحق أن يعبد أو يطلب منه العون سواه، فهو الرب والرحمان الرحيم، وهو وحده أهل العبادة والقادر على الإعانة لا رب سواه، وغيره فقير إليه، "قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: (إياك نعبد) يعني إياك نوحّد ونخاف ونرجوك ياربنا لا غيرك، (وإياك نستعين) على طاعتك وعلى أمورنا كلها".[4]

-(ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ) و من معانيها الدعاء وطلب الهداية والثبات عليها، وفي جميع الأحوال، والنجاة من الزيغ والانحراف؛ فالصراط المستقيم هو سبيل النجاة الأوحد. " وكل داع فإنما يريد "الصراط"بكماله في أقواله وأفعاله ومعتقداته" [5]، فالمؤمن لا يبارحه خوف الخروج عن

---

[1] – المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[2] – سور غافر – الآية 16

[3] –محمد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسي (ت745هـ)– تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993 م، ج1، ص 140

[4] – عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت774ه)، تفسير القرآن العظيم،، مؤسسة قرطبة مصر، ط1، 2000 م، ج1، ص215.

[5] – أبو حيان، المحرر الوجيز، ج1، ص 140.

الصراط المستقيم والوقوع في اللبس فالصراط المستقيم كل الناس يخطبه فمنهم من يظفر به ومنهم يزيغ دونه وربما اعتقد أنه عليه، وفيها دعوة إلى الوحدة والتوحّد لأن " الطريق المستقيم واحد وما عداه معوجة وبعضها يشبه بعضا في الاعوجاج فيشتبه الطريق، أما المستقيم فلا يشابه غيره فكان أبعد عن الخوف والآفات وأقرب إلى الأمان والطريق المستقيم لا يتغير والمعوج يتغير" [1]؛ لذا يكرر المسلم هذا الدعاء في اليوم مرات عديدة وهو بين الأمل في الاهتداء إليه والخوف من الحيد عنه.

-(صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ) و فيها إشارة إلى الاقتداء بالأنبياء والصالحين والسير على نهجهم والابتعاد عن نهج اليهود والنصارى، وفي قول تعالى: (الذين أنعمت عليهم) إيجاز وإجمال فقد جاء تفصيل الذين أنعم الله عليهم، وهم المذكورون في سورة النساء في قوله تعالى: (وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا)[2]، وخلاصة القول إن الفاتحة تضمنت معاني عظيمة منها:

أ – تبيين حقيقة التوحيد وهو معرفة الرب ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله.

ب– الطريق الموصلة إلى الله تعالى وهي تخصيصه وحده بالعبادة والاستعانة وطلب الهداية منه لأنه لا سبيل إلى الهداية إلا بتوفيقه.

ج– أي خروج عن الصراط المستقيم هو انحراف وضلال وخسران مبين، هذا ويبقى للفاتحة معاني كثيرة "فمن تحقق بها علما ومعرفة وعملا وحالا فقد فاز من كماله بأوفر نصيب، وصارت عبوديته عبودية الخاصة الذين ارتفعت درجتهم عن عوام المتعبدين" [3].

وبعد سورة الفاتحة تستوقفنا آية عظيمة في سورة الأنعام وهي قوله تعالى: (وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ)[4]، وهذه الآية آية في الإيجاز

---

[1] – محمد الرازي فخر الدين (ت604ه)، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، ط1، 1981 م، ح 1، ص 261

[2] – سورة النساء الآية 96.

[3] – أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية (ت751هـ)، كتاب الفوائد، تح: فواز أحمد زمرلي، دار ابن حزم، ط1. 2002 م، ص 40

[4] – سورة الأنعام الآية 3

وبرهان على الإعجاز؛ فقد جمعت أسس وأركان العقيدة الصحيحة فالله تعالى هو خالق السموات والأرض وما فيهن وهو المعبود والمدبر، وهو صاحب العلم التام والمطلق، والمحيط بالسموات والأرض يستوي في علمه السر والجهر "فالمقصود من هذه الآية بيان كونه تعالى عالما بجميع المعلومات"[1], قال التبريزي: "معناه يعلم ما تخفونه من أعمالكم ونياتكم وما تظهرون من أعمالكم (ومما تكسبون) لفظ عام لجميع الاعتقادات والأقوال والأفعال، وكسب كل إنسان عمله المفضي به على اجتلاب نفع، أو دفع ضر"[2], فانظر كيف جمعت هذه الآية بين صفات الله تعالى وهي صفات الكمال التي تفرد بها وحده سبحانه دون سواه من ألوهية وربوبية وعلم وقدرة وإحاطة وهي جميعها تدفع المؤمن إلى الخوف والحذر والاحتياط في القول والعمل وملازمة الشريعة والعمل بها في السرّ والعلن.

و نبقى في السورة نفسها ومع آية أخرى هي قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ)[3]، فلقد اقتضت الحكمة الربانية أن يكون الماء سببا في وجود هذه الأشياء كلها وهو ما يشير إليه قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ)[4]، فالإيجاز حاصل في قوله تعالى: (فأخرجنا به نبات كل شيء) ويقصد به جميع ما ينمو من الحيوان والنبات و المعادن و غير ذلك ،لأن ذلك كله يتغذى و ينمو بنزول الماء من السماء" [5], فاستعمال لفظ (كل) يوحي بالإحاطة والشمول لكل الأشياء , ومن العلماء من خصّ الآية بالنبات بدليل ما جاء بعدها من تفصيل لأنواع النبات من نخل وزيتون ورمان وفواكه وحبوب وغيرها ,فالأصل واحد و الفروع كثيرة ,فلك أن تتخيل ما حوته الآية من معان ، و كم تحتاج أنت من المفردات و الجمل لاستغراق معانيها .

---

[1] – الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج12، ص 163

[2] – أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج4، ص 78

[3] – سورة الأنعام الآية99.

[4] - سورة الأنبياء الآية 30

[5] أبو حيان تفسير المصدر السابق ج 4 ص 192

و نختم مع سورة الأنعام بموقف آخر من مواقف الإيجاز المبهرة وذلك في قوله تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ)[1] ففي الآية الكريمة نهي قاطع وعام يشمل جميع الفواحش وهذا أصل عام من أصول الدين إذ الفواحش والمعاصي وإن اختلفت في حالها بين الظهور والخفاء فهي تشترك في حكم التحريم، وقريب منها قوله تعالى في السورة نفسها: (وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ)[2] ،في هذه الآية أيضا "نهي عام من طرفيه لأن (الإثم) يعمّ الأحكام والنسب اللاحقة للعصاة عن جميع المعاصي، والظاهر والباطن يستوفيان جميع المعاصي"[3]، فيدخل في هذا الإجمال المعاصي والفواحش الظاهرة التي ترتكب بالجوارح كالضرب والظلم والسرقة والزنا ومن الآثام الباطنية، الحسد، البغض، والنفاق، وأمراض القلوب الكثيرة، فكانت الآية دستورا عاما لا استثناء فيه إذا ما تمثله المسلم ظهر نقاؤه قلبا وقالبا وأمن على نفسه نقد المجتمع في الدنيا، وعقاب الله في الآخرة.

وفي سورة الأعراف شواهد كثيرة للإيجاز توضح عناية القرآن بظاهرة الإجمال منه قوله تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)[4]، قال فيها بعض السلف: " جمع الله الطب كله في نصف آية (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) [5] ,وقال ابن عباس في هذه الآية:" أحل الله الأكل والشرب ما لم يكن إسرافا أو مخلية"[6]، فقد أمر الله عباده أن يأكلوا ويشربوا مما أحل لهم دون أن يسرفوا ففي الإسراف ضرر الأبدان، وضياع الأموال، وخروج عن الاتزان والاعتدال الذي هو عنوان الأمة لقوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا)[7] وسطا)[7] وعند التأمل في الآية من مطلعها إلى نهايتها نلحظ أن الله "جمع فيها أصول الكلام النداء

---

[1] - سورة الأنعام, الآية 151

[2] - سورة الأنعام، الآية 120.

[3] - ابن عطية، المحرر الوجيز، ج2، ص339

[4] - سورة الأعراف، الآية 31

[5] - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج6، ص288.

[6] - ابن عطية، المصدر السابق، ج2ص، 393.

[7] - سورة البقرة الآية 143.

و العموم ، و الخصوص ، و الأمر ، و الإباحة و النهي و الخبر" [1]؛ فالنداء ب (يا),والعموم في(بني), والخصوص(آدم) والأمر في (خذوا زينتكم) , والإباحة(كلوا واشربوا), والنهي في (لا تسرفوا) ,والخبر في (إنه لا يحب المسرفين), فالآية الكريمة جمعت إلى إيجاز المعاني إيجاز ضروب الكلام وهذا لعمري الإعجاز بالإيجاز.

وغير بعيد عن هذه الآية نقف عند الآية التي تليها عند قوله تعالى: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ)[2] والمقصود بـــ"زينة الله"ما حسنته الشريعة وقررته مما يتجمل به من الثياب وغيرها، وأضيف إلى الله، لأنه هو الذي أباحها و"الطيبات"هي: المستلذات من المأكول والمشروب بطريقة وهو الحيل فقد جمعت هذه الآية مالا يحصى من نعم الله التي أباحها لعباده؛ شملت الملبس والمتاع ويدخل فيه وسائل الترفيه ومستلزمات العصر الحديثة من وسائل اتصال ووسائل مواصلات على اختلافها، كما شملت الآية أنواع الأطعمة والأشربة المباحة، وكل مظاهر الزينة والطيبات من متطلبات الحياة وعوامل القوة والبقاء.

و في قوله تعالى: (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)[3] قمة الإيجاز وذروة سنامه فهاتان "كلمتان استوعبتا جميع الأشياء على غاية الاستقصاء وروي أن ابن عمر رحمه الله قرأها فقال ": من بقى له شيء فليطلبه" [4]، فالله سبحانه وتعالى وحده الذي يملك القدرة على الخلق، والخلق في اللغة "يستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا اقتداء قال تعالى: (خلق السموات والأرض) أي أبدعها بدلالة قوله (بديع السموات والأرض)، " [5] "و الأمر الشأن وجمعه أمور، وأمرته إذا كلفته أن يفعل شيئا، وهو لفظ عام للأفعال والأقوال كلها "[6] والخلق والإبداع كلاهما كلاهما يختص بالله وحده، وتدبير الأمور والشؤون والتصرف فيها لا ينبغي لغير الله؛ فالآية الكريمة

---

[1] – أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911ه) ،معترك الأقران في إعجاز القرآن ضبط وتصحيح : أحمد شمس الدين , ط1 , دار الكتب العلمية بيروت 1988 ,ص 299

[2] – سورة الأعراف الآية 32

[3] – سورة الأعراف الآية 54

[4] – أبوهلال العسكري، الصناعتين، ص 196.

[5] –الراغب الأصفهاني، المفردات، مادة خلق

[6] – المصدرنفسه، مادة " أمر"

أثبت لله كل ما في الكون من مخلوق وما يتعلق به من رزق وقدر وفعل وإرادة وحركة وسكون، ومن مفهوم مخالف نفت أن تكون لغير الله من إنسان أو أي كائن آخر مهما عظم قدره على الخلق أو الأمر ؛فالمخلوقات كلها لله وملكه واختراعه وكل ما يحدث بإرادته وتدبيره فتأمل كيف جمع سبحانه بهاتين الكلمتين كل سبق في علم الله تعالى خلقه من أصناف لا يحصيها إلا هو، وما يحدث من أمور لا يدرك حقيقتها وحكمتها إلا الله.

وفي الآية التي تليها وهي قوله تعالى: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)[1] تبيين الآداب العامة للدعاء؛ فقد جمعت الآية الكريمة آداب وشروط عبادة عظيمة وهي الدعاء، فالعبد حين يقف بين يدي خالقه سائلا حاجته مناجيا ربه يحسن به أن يكون في حال من التذلل والخشوع والاستكانة وهذا تأدبا مع الله تعالى وإظهارا للافتقار والحاجة إليه، كما يحسن بالسائل أن يكون الدعاء "خفية"أي: سرا في النفس ليبعد عن الرياء، وبذلك أثنى الله على نبيه زكريا عليه السلام إذ قال مخبرا عنه: (إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا)[2]، والأدب الثالث في قوله تعالى: (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) والاعتداء على وجوه منها:

- " الجهر الكثير والصياح، ومنها أن يدعو طالبا معصية وغير ذلك، ومنها أن يدعو الإنسان أن تكون له منزلة نبيّ أو يدعو في محال، ونحو هذا من الشطط "[3]

- و" أن يدعو بما يخالف الكتاب والسنة ".[4]

فهذه الآداب جمعت أمورا ثلاثة بين حال الداعي وهو التذلل والانكسار وبين حال الدعاء، وهو الخفية وبين الدعاء في حدّ ذاته أي موضوعه وهو عدم الاعتداء ومجاوزة المحظور. وفي الآية التي تليها إيجاز رائع يكمل الموضوع ويوضح جانبا مهما منه وذلك في قوله تعالى: (وادعوه خوفا وطمعا) فالمؤمن يدعو ربه إما طمعا فيما عنده من خيرات الدنيا والآخرة، أو خوفا من عذابه وسخطه في الدنيا والآخرة, قال تعالى(۞إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا

---

[1] - سورة الأعراف الآية 55

[2] - سورة مريم الآية 3

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ج 9 ص 244

[4] - المصدر نفسه، ص 248

وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿90﴾ [1], ولصاحب البحر المحيط إفاضة رائعة حيث قال: " لما كان الدعاء من الله بمكان كرره فقال أولا: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً)، هاتان الحالتان من الوصف الظاهر لأن الخشوع والاستكانة وإخفاء الصوت ليست من الأفعال القلبية أي: وجلين مشفقين وراجين مؤملين فبدأ أولا بأفعال، جوارح، ثم ثانيا بأفعال القلوب "[2].

و في سورة يونس شاهد آخر من شواهد الإيجاز هو قوله تعالى: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴿42﴾وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَايُبْصِرُونَ)[3] تدل الآية الكريمة على عدم الجدوى من استماع هؤلاء الكفار للقرآن لما هم عليه من بغض وكره شديدين للدين الأمر الذي كان بمثابة الحجاب بينهم وبين إدراك الحقيقة ، حيث فقدوا ثمرة هذه الحواس وإن لم يفقدوا الحواس ؛"فالصمم في الأذن معنى ينافي حصول إدراك الصوت فكذلك حصول هذا البغض الشديد كالمنافي للوقوف على محاسن هذا الكلام والعمى في العين معنى ينافي حصول إدراك الصورة فكذلك البغض ينافي وقوف الإنسان على محاسن من يعاديه والوقوف على ما أتاه الله من الفضائل " [4] , فالسمع والبصر لا يؤديان وظيفتهما إلا إذا حكّم العقل والمنطق وكانت الرغبة جادة في في تقبّل ما يعرض عليهما وحال هؤلاء أنهم ركبوا الأهواء و الأحقاد التي تعمي البصائر وتحول دون الفهم "لأن العائق عن الفهم نقض الأذن لما يأتي من جهة الخصم ,و السماع – كما نعلم – هو استشراف المخاطب إلى ما يفهم من المتكلم ,فإن لم يوجد عند المخاطب استشراف إلى أن يسمع فالكلام يقال ولا يصل " [5] وكذلك الأمر بالنسبة للنظر فحضور القلب ضروري لكلا الحالتين و هذه كلها أبواب الإدراك, و سبل الفهم فكيف بمن عطّل السمع و البصر و البصيرة أن يهتدي إلى الإيمان و يدرك معاني القرآن ويتذوق مكامن الحسن و الإعجاز فيه . و في هذا تسلية للنبي صلى الله عليه و سلم بأن لا يكلف نفسه عناء الاهتمام بهم و لا تذهب نفسه حسرات عليهم لأن الهداية من الله وحده.

---

[1] سورة الأنبياء الآية 90

[2] - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ج4ص 313

[3] - سورة يونس الآيتان 42، 43.

[4] الفخر الرازي مفاتيح الغيب ج 17 ص 105

[5] تفسير الشعراوي ,ج 10 ص 5953

وفي سورة هود آية أخرى تناولتها كتب البلاغة بكثير من الدراسة والتحليل وهي قوله تعالى: (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)[1]فبعد أن هدأت الأمور وحلّ بالقوم ما حل من غضب الله وعقابه وبعد أن نجى الله نوحا ومن معه في السفينة يأتي خطاب الله للأرض والسماء وهما أعظم مخلوقاته فناداهما ثم أمرهما وهذا من أكبر الدلائل على قدرة الله تعالى وعظمته، فلا ينادي هذه الأجسام العظيمة إلا من هو أعظم منها ومقتدر عليها، وهي لا تلبي إلا نداء من له عليها سلطة وجبروت واقتدار، فالآية كما ترى "تتضمن مع الإيجاز والفصاحة دلائل القدرة" [2]، أما دلائل القدرة فتجلت في تلبية هذه المخلوقات لنداء ربها وأمره، وأما الفصاحة والبيان فهما أكبر من أن يحيط بهما إنسان أو يصفهما ناطق ببيان.

ولقد تفانى أهل الصناعة في شرحها وتبيين مواطن الإعجاز فيها ؛فالله سبحانه وتعالى "أمر فيها ونهى وأخبر و نادى ونعت وسمّى وأهلك وأبقى وأسعد وأشقى وقصّ من الأنباء ما لو شرح ما اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان لجفّت الأقلام وانحسرت الأيدي "[3]، "ففي هذه الآية نادى الله سبحانه وتعالى الأرض والسماء بما ينادى به الإنسان المميز، على لفظ التخصيص والإقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله: "يا أرض"، "وياسماء" ثم أمرهما بما يأمر به أهل التمييز والعقل من قوله (ابلغي مائك)و(أقلعي) من الدلالة على الاقتدار العظيم وأن السماوات والأرض وهذه الإجرام العظام منقادة لتكوينه يفعل فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه، كأنها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور"[4]، وفي بناء الفعل في قيل وما بعدها للمفعول دون ذكر الفاعل دلالة على عظم الآمر وجبروته" فروي أن أعرابيا سمع هذه الآية فقال: هذا كلام القادرين"[5].

و لو تتبعنا مفردات الآية لرأينا كيف جمعت هذه الألفاظ بين دقة المعنى وقوة التصوير وفي هذا يقول عبد القاهر: "وهل تشك إذا فكرت في قوله تعالى: (قِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ

---

[1] - سورة هود, الآية 44

[2] – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 45

[3] – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 223.

[4] – الزمخشري، الكشاف، ج 3، ص 202، 203

[5] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج3، ص175

أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)، فتجلى لك منها الإعجاز وبهرك الذي ترى وتسمع أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة وا لفضيلة القاهرة إلا الأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض وإن لم يعرض لها الحسن والشرف الأمر حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وهكذا إلى أن تستقربها إلى آخرها وأن الفضل تناتج ما بينها، وحصل من مجموعها " [1]، ولشرح هذا الأحكام يجرى عبد القاهر دراسة تحليلية تطبيقية فيقول: "و كيف بالشك في ذلك، ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض ثم أمرت ثم في أن كان النداء "بيا"دون "أي" نحو "ياأيتها الأرض "ثم أضاف الماء إلى "الكاف"دون أن يقال "ابلعي الماء"ثم أن أتبع نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها، نداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها ثم أن قيل: "وغيض الماء"فجاء الفعل على صيغة "فعل"الدالة على أنه لم يغض إلا بأمر آمر وقدرة قادر ثم تأكيد ذلك وتقديره بقوله تعالى: "وقضي الأمر" ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور وهو: " استوت على الجودي" ثم إظهار"السفينة قبل الذكر، كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن ثم المقابلة "قيل" في الخاتمة "قيل"في الفاتحة ؟ أفترى لشيء من هذه الخصائص التي تملؤك بالإعجاز روعة وتحضرك عند تصورها هيبة تحيط بنفس من أقطارها تعلق باللفظ من حيث هو صوت مسموع وحروف تتوالى في النطق ؟ أما كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب"[2]. انظر كيف استطاع الجرجاني بحسّه البياني أن يغوص في أغوار هذه الآية ويكشف معانيها ويقف على كثير من جوانب الإعجاز فيها, وإن جاز لنا الحديث عن بلاغة هذه الآية فيمكن القول إنه اجتمع فيها اللفظ المختار والتركيب المحكم والترتيب الدقيق؛ فلقد صورت ألفاظ الآية المشهد أبلغ تصوير في أوجز عبارة فتأمل قوله تعالى "ابلعي ماءك"و "البلع" هو تجرع الشيء وازدراده، ولا يخفى أن ما يتبع الازدراد من سرعة وإتيان على الشيء كله تناسبان الإيجاز ,والأمر للسماء بالإقلاع عن الماء والتوقف عن إنزال المطر يصب في السياق نفسه، والأمر كذلك بالنسبة لقوله تعالى "وغيض الماء"وهو بمعنى قل ونقص و غاب في الأرض وهذه العملية تسهم في نهاية المشهد.

فهذه الأفعال إضافة إلى ما تحويه من إيجاز –إذ كان كل فعل منها يختصر أكثر من حركة أو فعل –رتبت لتفضي إلى نتيجة هامة وهي استواء واستقرار السفينة على الجبل ويتسارع الأمر

[1] –الجرجاني، دلائل الإعجاز ص45

[2] – المصدر نفسه، ص 45، 46

ليختتم المشهد بقوله تعالى "وقضي الأمر" وهذا إيجاز بليغ حيث جمع أطراف القصة من بداية هطول المطر وحلول العقاب والهلاك بالقوم إلى نهاية القصة باستقرار السفينة ونجاة من كان عليها من المؤمنين، فالآية الكريمة كما رأيت "قد بلغت من مراتب الإعجاز أقاصيها واستذلت مصاقع العرب فسفعت بنواصيها وجمعت من المحاسن ما يضيق عن نطاق البيان، وكانت من سمهري البلاغة مكان السنان"[1]، "فلو فتش كلام العرب والعجم ما وجد فيه مثل هذه الآية على حسن نظمها وبلاغة وصغها، واشتمال المعاني فيها"[2].

و في سورة طه عند قوله تعلى: (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ)[3] إيجاز عظيم وإجمال فائق فقد أثبت الله تعالى في هذه الآية ملكيته. وحده للكون كله بما فيه من إنسان وحيوان وجماد وملائكة وعدّد ما شئت من المخلوقات في السموات والأرض وما تحت الثرى من كائنات وثروات وأشياء أخرى لا يعلمها إلا الله فعلمه تعالى محيط بكل ذلك "فالجميع ملكه وفي قبضته، وتحت تصريفه ومشيئته وإرادته وحكمه، وهو خالق ذلك ومالكه وإلهه، لا إله سواه ولا ربّ غيره"[4]. ونبقى مع السورة نفسها ومع آية أخرى أسال فيها الإجمال حبرا كثيرا وهي قوله تعالى: (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ)[5]، فقد فصّل موسى عليه السلام بعض منافع العصا وأجمل الكثير في قوله "ولي فيها مآرب أخرى"ولقد اجتهد كثيرون في عد مآرب هذه العصا منهم ابن عباس – رضي الله عنه بقوله "إذا انتهيت إلى رأس بئر فقصرت الرشا وصلته بالعصا، وإذا أصابني حر الشمس غرزتها في الأرض وألقيت عليها ما يظلني، وإذا خفت شيئا من هوام الأرض قتلته بها ,وإذا مشيت ألقيتها على عاتقي وعلقت عليها القوس والكنانة والمخلاة وأقاتل بها السباع عن الغنم"[6]، فموسى عليه السلام فصّل ثم أجمل "كأنه أحسّ بما يعقب هذا السؤال من أمر عظيم يحدثه الله تعالى فقال: ما هي إلا عصا لا تنفع إلا منافع بنات جنسها وكما تنفع العبد أن، يكون جوابه مطابقا للعرض

---

[1] – شهاب الدين محمد الألوسي البغدادي (ت 127هـ)–روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د ط، د ت)، ج12، ص 63

[2] – النحاس، إعراب القرآني، ج2. ص 286

[3] – سورة طه، الآية 6

[4] - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج9، ص 321

[5] - سورة طه، الآية 18

[6] - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص 44

الذي فهمه من فحوى كلام ربه، ويجوز أن يريد – عز وجل- أن يعدّد المرافق الكثيرة التي عقلها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها، ثم يريه على عقب ذلك آية عظيمة، كأنه يقول له: أين أنت عن هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى، المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتد بها وتحتفل بشأنها"[1], لكن ما سرّ الإجمال بعد التفصيل؟ قالوا: "إنما أجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فيزيد في إكرامه، وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فأجمل"[2]، ومما قيل في تعليل الإجمال والتفصيل في هذه الآية :" أن موسى أحبّ خطاب ربه فأحب مناجاته فأطال الحديث معه، وكأنه لا يود أن يفرغ من كلامه مع ربه فقال مطنبا : (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي)[3] ثم أراد أن يستعجل جواب ربه، وأن يجمل حديثه حتى يخرج معه من متعة إلى متعة من متعة خطابه لربه إلى متعة سماعه لربه فأجمل قائلا: (وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ)، أجملها وأفضلها لأني أشتاق إلى سماعك وخطابك لي "[4]، وفيها أيضا إشارة إلى بلاغة موسى وتأدبه مع ربه فقد ذكر الوظائف البارزة والمحترمة للعصا وأعرض عن الأخرى ؛لأن من وظائفها ما هو تافه,ومنها ما لا يحسن ذكره في مقام مخاطبة الحضرة الإلهية وهذا أدب الأنبياء.

وفي قوله تعالى: (وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ)[5] إجمال شمل مختلف المعاني وشتى أصناف البيان والبديع ؛ فقد جمعت الآية أحد عشر جنسا من الكلام، نادت وكنّت، ونبهت وسمّت وأمرت وقصت، وحذرت، وخصت وعمت، وأشارت وأعذرت فالنداء يا، والكناية أي، والشبيه ها، والتسمية النمل، والأمر ادخلوا، والقصص مساكنكم والتحذير لا يحطمنكم، والتخصيص سليمان، والتعميم جنوده، والإشارة وهم، والعذر لا يشعرون فأدت خمسة حقوق: حق الله، وحق رسوله، وحقها، وحق رعيتها، وحق جنود سليمان "[6]، لقد ضربت هذه النملة لبني البشر أروع الأمثلة في بناء مجتمع متكافل يتغلب فيه الشعور الاجتماعي على المصلحة الذاتية ,فإن أول ما فكرت فيه النملة هو إخطار بقية النمل بالخطر الداهم وهذه مسؤولية أخلاقية يقرها الشرع قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ

---

[1] - الزمخشري، الكشاف، ج4، ص 75

[2] - المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[3] - سورة طه، الآية 18

[4] - مختارة عطية –الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز، ص 205

[5] - سورة النمل، الآية 17

[6] - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج 2، ص 55

وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)[1] فالنصيحة واجب ديني وهي حق الفرد على أخيه كما أن الانتماء إلى الجماعة لا يستلزم كره الغير وإساءة الظن بهم فالخطأ وراد والعذر مطلوب.

وفي قوله تعالى:)إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿30﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ)[2] حيث جمعت بين الإيمان وهو الجانب العقدي والأساسي لدين ثم الجانب العملي والتطبيقي وهو الاستقامة وهذان الجانبان يمثلان الصورة الصحيحة والمكتملة للإسلام وقد جاءت آيات كثيرة اقترن فيها ذكر الإيمان بالعمل الصالح منها قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ)[3] وقوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)[4], وفي هذه الآية جاءت الاستقامة بعد الإيمان، ولفظ الاستقامة لفظ جامع لمعان كثيرة منها: " ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: "ثم استقاموا"لم يشركوا بالله شيئا وروي عن عمر رضي الله عنه – أنه قال على المنبر وهو يخطب: "إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا"فقال: استقاموا والله على الطريقة لطاعته ثم لم يرغوا روغان الثعلب، وقال عثمان رضي الله عنه ثم أخلصوا العمل لله، وقال علي رضي الله عنه: ثم أدوا الفرائض وقيل: استقاموا إسرارا كما استقاموا أقدارا، وقيل استقاموا فعلا كما استقاموا قولا "[5]، والحقيقة أن الإسلام كل لا يتجزأ عقيدة وعبادة ومعاملة فالاستقامة تشمل الالتزام بالصراط المستقيم في كل الأحوال وفي شتى مجالات الدين والحياة "وهذه الأقوال وإن تداخلت فتلخيصها، واعتدلوا على طاعة الله عقدا وقولا وفعلا، وداموا على ذلك"[6]، فالاستقامة منهج ربانيّ يبعد المسلم عن الشطط والغلوّ في العقيدة والعبادة، والاستقامة سلوك عملي وهو الجانب التطبيقي لمقتضيات الإيمان والإسلام "فكل إسلام ظاهر لا ينفذ صاحبه منه إلى حقيقة الإيمان الباطنة فليس بنافع حتى يكون معه شيء من الإيمان الباطن، وكل حقيقة باطنة لا

---

[1] - سورة التحريم، الآية 6

[2] - سورة فصلت، الآيتان 30-31.

[3] - سورة فصلت، الآية 8.

[4] - سورة البينة، الآية 7

[5] - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 18، ص 416-417

[6] - المصدر نفسه، ص 417.

يقوم صاحبها بشرائع الإسلام الظاهرة لا تنفع ولو كانت، فلو تمزق القلب بالمحبة والخوف، و لم يتعبد بالأمر وظاهر الشرع لم ينجه ذلك من النار، كما أنه لو قام بظواهر الإسلام وليس في باطنه حقيقة الإيمان لم ينجه ذلك من النار "[1]، وفي استعمال صيغة (استفعل) دلالات منها الطلب وهو متحقق في لفظ استقاموا فهؤلاء يجتهدون طوال حياتهم على تطبيق الشريعة قولا وعملا ويبحثون عن أسباب النجاة الظاهرة والباطنة فالاستقامة مطلبهم وغايتهم و لم تكن حالة عابرة، كما تفيد هذه الصيغة تبيين حقيقة الشيء كما هي كما تقول: استعذبت الماء أي وجدته عذبا، فهؤلاء الاستقامة ظاهرة على أحوالهم، وحقيقة ماثلة فيهم.

و في قوله: (فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ)[2]، جمعت هذه الآية صنوف الفاكهة ما لا يحصي عده بشر ولا يدرك وصفة وطعمه أحد، فاستعمال لفظ (كل) يحيط ويشمل كل ما هو من نوع الفاكهة علمه من علمه وجهله من جهله، كما تدل لفظة (زوجان) أيضا على التنوع الحاصل في جنس الفاكهة الواحدة وهذه نهاية الإيجاز إذ جمع بين كل ماله علاقة بالفاكهة شكلا وطعما، قال ابن عباس: "ما في الدنيا شجرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل إلا أنه حلو, وقيل :ضربان رطب ويابس، لا يقصر هذا عن ذلك في الفضل والطيب "[3]، وقد ورد ذكر فاكهة الجنة في آيات كثيرة منها قوله تعالى: (وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ)[4].

وفي قوله تعالى: (لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ") إيجاز زاخر بشتى المعاني والأوصاف المتعلقة بالخمر، ومعنى قوله تعالى: (لا يصدعون عنها) "أي: لا تنصدع رؤوسهم من شربها والصداع هو شبه الاشتقاق في الرأس من الوجع " [5]، "و لا يترفون"تقول نزف دمه أو دمعه أي نزع كله، وأنزفوا إذا نزف شرابهم أو نزعت عقولهم" [6]، وهذا وصف جامع لخمر الجنة وحال من يشربها "فهم لا يصيبهم الصداع بسببها أو أنهم لا يفرقون بسببها، فهي لذة بلا أذى، بخلاف شراب

---

[1] – ابن قيم الجوزية، كتاب الفوائد، ص 200-201.

[2] سورة الرحمن، الآية 52.

[3] – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 20، ص 152.

[4] – سورة الواقعة، الآية 32

[5] – الراغب الأصفهاني: مفردات غريب القرآن، مادة "صدع "

[6] – المصدر نفسه، مادة" نزف"

الدنيا، فهي في الجنة لا تنفد من بين أيديهم" [1]، فلا يخفى على أحد ما في خمر الدنيا من عيوب وأضرار ؛كالصداع وذهاب العقل وفساد الأخلاق، وضياع المال والوقت، وانتشار الجريمة في المجتمع فهي أم الخبائث جميعها، "روى الضحاك عن ابن عباس قال: في الخمر أربع خصال: السكر والصداع والقيء والبول، وقد ذكر الله تعالى خمر الجنة فنزهّها عن هذه الخصال" [2]، فشاربو خمر الجنة لا يلحق رؤوسهم الصداع الذي يلحق من خمر الدنيا، ولا تقطع عنهم لذتهم بسبب من الأسباب، ولا ينقطع شرابهم ولا تذهب عقولهم، فما أكثر هذه المعاني وما أوجز هذه الآية "فهاتان الكلمتان قد أتتا على جميع معايب الخمر، ولما كان منها ذهاب العقل وحدوث الصداع برّأ الله خمر الجنة منها، وأثبت طيب النفس، وقوّة الطمع وحصول الفرج"[3].

وفي قوله تعالى: (وَٱلۡعَصۡرِ إِنَّ ۝ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ إِلَّا ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ)[4]إن هذه السورة على إيجازها تمثل بآياتها الثلاث دستورا ربانيا متكاملا يبيّن حقيقة الحياة ويضع شروط الفلاح وأسباب النجاة من منظور إيماني دقيق.

فأول شروط الفوز وأسباب السعادة الإيمان وهو عماد الأمر كله وبه يخرج المرء من دائرة الخسر الواسعة، ويتعزز طريق النجاة بالأعمال الصالحة وهي الجانب العملي للدين وهذه الشروط يستقيم بها الفرد وتعود عليه بالنفع وحده وهذه مسؤولية شخصية، كما تقرر السورة مسؤولية أخرى هي المسؤولية الاجتماعية ممثلة في التناصح والتواصي بإقامة الحق في الأمور كلها من عقائد وأخلاق ومعاملات ؛فالسورة ترسم للمرء خطر الخسران المحدق وتوجز باختصار شديد معالم طريق النجاة منه، ويسهم القسم والاستثناء "بإلا " مع التوكيد "بإن "في تبيين خطورة الأمر وتحديد السبيل الأوحد للخروج منه، والسورة كما ترى جمعت أطراف الدين وأركانه ؛من توحيد وعبادات ومعاملات وهذه هي معالم الطريق المستقيم، والترتيب بين هذه الثلاثة له دلالتة ؛فالتوحيد هو شرط القبول وأساس الدين، ويتبعه التصديق بالعمل والتطبيق المتمثل في العبادات وهذه جميعها تؤتي ثمارها في الجانب الأخلاقي المتمثل في المعاملات من تواص وتناصح بالحق

---

[1] – مختار عطية، الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز، ص205، 206

[2] – القرطبي، المصدر السابق، ج 20ص 188

[3] – أبو منصور الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، ص12

[4] – سورة العصر

والصبر على أذى الجاهلين، وهذا ما يضمن للمجتمع قوته وترابطه واستمراره على النهج القويم، "فهذه السورة على قصرها جمعت من العلوم ما جمعت، فقد روي عن الشافعي عليه الرحمة أنه قال: لو لم يترل غير هذه السورة لكفت الناس ؛لأنها شملت جميع علوم الدين ".[1]

و في قوله تعالى: "(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿1﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿2﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿3﴾")[2]، هذه السورة المكية هي أقصر سور القرآن الكريم وأقل من حيث عدد الآيات والكلمات والجمل إلا أنها جمعت معاني كثيرة منها :

-الامتنان والتشريف والتبشير في قوله تعالى:(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) فالله تعالى يبشر نبيه بالخير الكثير الذي لا عد له من معط كبير لا يعلم خزائن ملكه إلا هو: فهذه منة ربانية وتشريف عظيم"فجمعت له الغبطتان السنيتان: إصابة أشرف عطاء، وأوفره من أكرم معط وأعظم منعم"[3]، ويظهر الإجمال في هذه السورة الكريمة في أمور كثيرة منها:

- الأمر بالطاعات من صلاة ونحر تقربا لله وشكرا له على نعمه وذلك في قوله تعالى: (فصل لربك وأنحر) صلاة ونحرا خالصين لوجه ربك خلاف ما يفعله قومك من عبادة الأوثان والتقرب إليها بالذبائح والقربان، وفي هذا جمع بين مختلف العبادات الروحية منها والمادية المتعلقة بالمال.

- الذم لشاتم ومبغض النبي صلى الله عليه وسلم (إِ نَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) "لا أنت، لأن كل من يولد إلى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك، وذكرك مرفوع على منابر والمنار، وعلى لسان كل عالم وذاكر إلى آخر الدهر يبدأ بذكر الله ويثني بذكرك، ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف، فمثلك لا يقال له أبتر: وإنما الأبتر هو شانئك المنسيّ في الدنيا والآخرة. "[4]

- الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم والرد على من رماه بالبتر فهذه السورة جمعت للنبي صلى الله عليه وسلم أسباب السرور والتسلية وتمام النعمة بين البشارة والامتنان والمدح إلى العادة الحاصلة بأداء العبادات والقربات إلى ذم عدوه ومبغضه ونفي هذه الصفة عنه صلى الله عليه وسلم.

---

[1] -الألوسي، روح المعاني، ج 30، ص 369

[2] - سورة الكوثر.

[3] - الزمخشري، الكشاف، ج6، ص447

[4] - المصدر نفسه والصفحة نفسها.

ـ وفي قوله تعالى: "(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿1﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿2﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿3﴾) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿4﴾"[1] غاية الإيجاز حيث جمعت بين التوحيد والتنزيه فأثبت الله تعالى فيها لنفسه الوحدانية والسيادة والتنزيه عن الصفات البشر من صفات الحدوث والفناء والتكاثر والاستعانة، وسميت بالإخلاص لدلالتها على إخلاص التوحيد والإيمان والاعتقاد بالله تعالى وتصفيته من الشرك و"تسمّى سورة الأساس لاشتمالها على أصول الدين" [2]، وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل هذه السورة منها ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري أن رجلا سمع رجلا يقرأ "قل هو الله أحد "، يرددها فلما أصبح جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، وكأن الرجل يتقالّها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (و الذي نفسي بيده ؛ إنها لتعدل ثلث القرآن) [3]، " قال النووي رحمة الله تعالى: معنى كونها تعدل ثلث القرآن أن القرآن على ثلاثة أنحاء قصص وأحكام وصفات الله تعالى، و(قل هو الله أحد) متمحضة للصفات، فهي ثلث القرآن، وجزء ثلاثة أجزاء"[4]، وقد جاءت السورة لتبيين حقيقة التوحيد الذي هو أساس الدين ففي قوله تعالى: (قل هو الله أحد)أي: أنه واحد أحد لا شريك ولا نظير ولا معاون له، ولفظ (أحد)لا يطلق على أحد في الإثبات إلا على الله عزوجل لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله " [5] وقوله تعالى: (الله الصمد) جمعت صفات الكمال من مطلق السؤدد " ومنها الربوبية، فالصمد " هو السيد لأنه يصمد إليه في الحوائج أي يقصد، قال عمرو بن الأسلع يذكر حذيفة بن بدر الغزاري:

علوته بحسام ثم قلت له خذها حذيف فأنت السيّد الصمد"[6].

وعن ابن العباس أن الصمد "هو السيد الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد وهو الله سبحانه، هذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفء وليس كمثله شيء"[7].

وفي قوله تعالى: (لم يلد و لم يولد) تنزيه لله تعالى عن صفات المخلوقين ؛و هي صفات

---

[1] – سورة الإخلاص

[2] – الزمخشري، المصدر السابق، ص 463

[3] – الألباني، مختصر صحيح الإمام البخاري، ج 3، ص 338

[4] - محمد الامين الأرمي العلوي، تفسير حدائق الروح والريحان، ج32، ص 436

[5] - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج14 ص 513

[6] - الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز، ص 1015.

[7] - ابن كثير، المصدر السابق، ج 14، ص 513

نقص وضعف تنافي صفات الألوهية والله تعالى قال عن نفسه: (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[1] وتتره عن الصاحبة والولد قال تعالى: (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[2] وفي قوله تعالى: "لم يكن له كفوا أحد" كمال التتريه فالله تعالى متره عن الشبيه والنظير في ذاته وصفاته ولا يعلم وصفه إلا هو عزّ وجل، فهذه السورة "مع قصرها جامعة لصفات الأحدية و الصمدانية و الفردانية وعدم النظير" [3]، وفيها اجتمعت أقسام التوحيد كلها من توحيد الألوهية إلى توحيد الربوبية إلى توحيد الأسماء والصفات؛ فأولها توحيد وآخرها تتريه, فهي الدليل والحجة التي يشهرها المؤمن في وجه كل كافر فقد "تضمنت الرد على نحو أربعين فرقة"[4] من أهل الكفر والضلال.

المبحث الثاني: دلالات التنكير:

ظاهرة التنكير من الأساليب البلاغية البارزة في القرآن الكريم، ومن أكبر دلائل الاعجاز البياني فيه، وهي تدل دلالة قاطعة على دقته في اختيار الألفاظ واستعمالاتها بين التنكير والتعريف"فإذا وضع اسما معرفة في مكان، أو نكرة في موضوع، فإنما يكون ذلك لحكمة يعلمها الله، وسر تقتضيه اللغة، وهدف يقصده في المعنى ولو حاولنا وضع أحدهما مكان الآخر، لاختل التناسق في الآية، وزال الانسجام المطلوب في التركيب "[5]

و الاسم النكرة" هو الاسم الدال على معنى شائع في جنسه وعلامته في اللفظ قبول (أل) مؤثر في معناه أو وقوعه موقع ماهو كذلك " [6] والاسم النكرةهوالاسم الشائع لاستيعابه مايشمله جنسه كله، كقولنا: جاء رجل؛ فكلمة (رجل) نكرة تشمل جنس الرجال على الإطلاق، بخلاف قولنا جاء الرجل فالتعريف هنا يحدد رجلا بعينه، والتنكير يفتح المعنى لعدة دلالات يقتضيها اللفظ

---

[1] - سورة الحديد، الآية 03

[2] - سورة الأنعام، الآية 101

[3] - محمد الأمين الارمي العلوي، تفسير حدائق الروح والريحان، ج32، ص 439

[4] - السيوطي الإتقان ج2ص 55

[5] – عبد الفتاح لاشين، من أسرار التعبير في القرآن صفاء الكلمة، دار المريخ للنشر، (دط)، 1983م، ص 43.

[6] – انظر شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار احاء التراث العربي. لبنان، ط2، ج1، ص 86-87.

وتحتملها اللغة "و علة ذلك أن النكرة ليس لمفردها مقدار مخصوص بخلاف المعرفة، فإنها لواحد بعينه يثبت الذهن عنده ويسكن إليه" [1]، ومنه يمكن القول أن اللفظ النكرة ثري بدلالاته زاخر بمعانيه، فهو يدفع القارئ أبدا إلى البحث عن ظلاله وإشعاعاته وهوحيّ يتوالد معناه باختلاف القارئ وحاله لذا كانت "اللفظة المنكرة في القرآن الكريم وبخاصة في شواهد إيجاز القصر تعكس تكثيفا حيا لمعان كثيرة"[2]، "فلا نراها مقصورة على المعنى المتبادر منها في أول الأمر بل عند إمعان النظر والتدقيق في الكلمة نجد أن دلالتها تتسع، وأن لها إشعاعات مضيئة، توحي بالمعنى الأهم، والمقصود الأدق"[3]

من دلك قوله تعالى: ((وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾))[4]، فقد ورد لفظ (رجال) منكّرا واختلفت الآراء وكثرت حول تحديد هؤلاء الرجال، وصفتهم ومكانتهم، وقد أسهب الفخر الرازي في عرض هذه الأقوال فقيل: " هم ملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار، وقيل: إنهم الأنبياء عليهم السلام أجلسهم الله على أعالي ذلك السور تمييزا لهم عن سائر أهل القيامة، وإظهارا لشرفهم، وعلو مرتبتهم وأجلسهم على ذلك المكان العالي ليكونوا مشرفين على أهل الجنة، وأهل النار مطّلعين على أحوالهم ومقادير ثوابهم وعقابهم، وفي رأي ثالث هم الشهداء وقيل أنهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فلا جرم ماكانو من أهل الجنة، ولا من أهل النار فأوقفهم الله تعالى على هذه الأعراف لكونها درجة متوسطة بين الجنة وبين النار، وقالوا المراد من أصحاب الأعراف أقوام خرجوا إلى الغزو بغير إذن آبائهم فاستشهدوا فحبسوا بين الجنة والنار، فمنعوا من الجنة لعصيانهم آباءهم، ومنعوا من النار لاستشهادهم في سبيل الله، وفي قول آخر إنهم مساكين أهل الجنة، وفي رأي آخر هم الفساق من أهل الصلاة يعفو الله عنهم ويسكنهم الأعراف"[5]، " ثم يحتمل أن يكون يكون أصحاب الأعراف من الأمة الإسلامية خاصة، ويحتمل أن يكونوا من سائر الأمم المؤمنين

[1] – عبد الفتاح لاشين، المرجع نفسه، ص 17.

[2] – مختار عطية، الإيجاز في كلام العرب ونص الاعجاز، ص 229.

[3] – عبد الفتاح لاشين، المرجع نفسه، ص17

[4] – سورة الأعراف، الآية46.

[5] - الرازي، مفاتيح الغيب، ج 14، ص 92 الى 95 وانظر تفسير ابن كثير، ج6، ص 306-311.

برسلهم"[1]، فهذه الأقوال وغيرها تؤكد ثراء التنكير في البيان القرآني وما يمكن أن يوحي به من دلالات تصل إلى حدّ يصعب معه حصرها والإحا طة بها. وعند النظر في الأقوال السابقة يمكن القول إن أصحاب الأعراف هم أهل حضوة وأصحاب جاه عند الله فهم إلى الجنة أقرب وطمعهم في الجنة ، و"ندائهم أهل الجنة بالسلام يؤذن بأنهم في اتصال بعيد من أهل الجنة، فجعل الله ذلك أمارة لهم بحسن عاقبتهم ترتاح لها نفوسهم، ويعلمون أنهم صائرون إلى الجنة "[2].

و قد يجتمع النكرتان أو أكثر وفي هذه الحالة غالبا مايكون الاسم الثاني غير الأول كما في قوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ)[3] فقد تكررت كلمة ضعف ثلاث مرات وفي كل مرة كان لها معنى خاص فالمراد بالضعف الأول (النطفة)، وبالثاني (الطفولة)، وبالثالث (الشيخوخة)[4].

فأولى مراحل الضعف النطفة وهي ماء مهين ومني يمنى وهي أولى مراحل الخلق وثاني مراحل الضعف مرحلة الطفولة وفيها يكون الطفل عاجزا عن تدبير أموره بنفسه وهو في حاجة ماسّة إلى والديه حى يشتد عوده ويبلغ مرحلة الشباب وهي مرحلة القوة، ثم تأتي مرحلة الضعف الثالثة وهي الشيخوخة وهي آخر مراحل العمر وفيها يصير العبد عاجزا ضعيفا في بدنه، وحركته تماما مثلما كان في طفولته.

و قد تكررت كلمة قوة في هذه الآية منكّرة كذلك في موضعين وهي تشير الى معنيين مختلفين ؛فالمراد بالقوة الأولى: قوة الصبا (ثم جعل من بعدضعف قوة) فبعد أن كان رضيعا قاصرا لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا أصبح صبيا قويا وقد اشتد عوده وامتلأحيوية ونشاطا.

و المراد بالقوة الثانية: قوة الشباب (ثم جعل من بعدقوة ضعفا وشيبة)، وهي أزهى مراحل العمروقمّة هرمه وفيها يشتد عود المرء، وتتفتق جميع قواه العقلية والعلمية، وفيها يثبت مكانته ووجوده كفرد قوي ناضج يعتمد عليه عند الملمات.

---

[1] - الطاهر بن عاشور، التحرير والنوير، ح8، ص 143.

[2] - المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[3] - سورة الروم، الآية 54.

[4] - صلاح عبد الفتاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار عار عمان، ط 1، 2000م.ج 2، ص241.

و في قوله تعالى: (وَلَيَالٍ عَشْرٍ)[1] قسم عظيم حيث أقسم الله تعالى بهذه الليالي العشر منكرة، وأقسم قبلها (بِالْفَجْرِ) معرفا، و" وإنما جاءت منكرة من بين ما أقسم الله به لأنها ليال مخصوصة بفضائل لاتحصل في غيرها، وتنكيرها دال على الفضيلة العظيمة ".[2]

و مجيء التنكير على الإطلاق أثار خلافا واضحا حول تحديد هذه الياليِ, وقد نقل الإمام الطبري جملة من هذه الأقوا ل منها: " والليالي العشر: مراد بها عشر ذي الحجة، كما قاله ابن عباس وابن الزبير، ومجاهد وغير واحد من السلف والحلف. وقد ثبت في صحيح البخاري، عن ابن العباس مرفوعا: " مامن أيام العمل الصالح أحب الى الله فيهن من هذه الأيام " يعني: عشر ذي الحجة، فقالوا: ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال: " ولا الجهاد في سبيل الله، ؟إلا رجلا خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء" ,وهذا هو القول الصحيح عند ابن كثير، وقيل المراد بذلك العشر الأول من المحرم، حكاه أبو جعفر بن جرير و لم يعزه إلى أحد، وعن ابن عباس: " وليال عشر" قال هو العشر الأول من رمضان"[3]، و" قيل العشر الأواخر ومن شهر رمضان، واختار الشيخ محمد عبده أن تكون عشر ليال من أول كل شهر"[4] واختارت الدكتورة عائشة عبد الرحمان أن يكون " تنكير ليال عشر، إطلاق قديراد به والله أعلم، كل ليال عشر من أواخر شهر رمضان، كما اختار الإمام الطبري، ويؤنس اليه الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر: (فالتمسوها في العشر الأواخرمن رمضان)[5،6]

فانظر إلى ما أفاده التنكير من معان وماطرحه من آراء، ولعل في هذا الإطلاق المستفاد من التنكير ما يدفع المسلم إلى العمل في هذه الليالي كلها وطوال حياته والاجتهاد فيها بالأعمال الصالحة من ذكر وعبادة وصدقة وبرّ وإحسان.

وهذه وقفة أخرى من وقفات التنكير التي شغلت العلماء والمفسّرين وهي قوله تعالى: (لَآ

---

[1] - سورة الفجر، الآية 2.

[2] - فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج31، ص 163.

[3] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 14، ص338.

[4] –عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، (دط)، 1990 م، ج 2، ص 129

[5] –الألباني، مختصر صحيح البخاري، ج1، ص 187

[6] عائشة عبد الرحمن، المصدر نفسه والصفحة نفسها

أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ وَأَنتَ ۝١ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ ۝٣ وَمَا وَلَدَ ۝٤ ([1].فقد كثرت الأقوال في تحديد المقصود ب (والد وما ولد) ومن بينها الأقوال الآتية:

فذهب الزمخشري إلى أن المراد بـــ"والد وماولد" رسول صلى الله عليه وسلم ومن ولده، واعتبر االتنكير هنا للإبهام المستقل بالمدح والتعجب وقيل: هما آدم وولده، وقيل " كل والد وولد"[2].

و قال ابن عباس وابن جبير وعكرمة: (ووالد) معناه: كل من ولد وأنسل، وقوله (و ما ولد)، لم يبق تحته إلا العاقر الذي ليس بوالد البتة. وقال مجاهد وقتادة والضّحاك وسفيان الثوري، والحسن البصري وغيرهم: يعني بالوالد: آدم، وماولد: ولده.و قال ابو عمران الجوني: هو إبراهيم وجميع ولده"[3].

و اعتبر ابن جرير الصواب من القول في ذلك "ماقاله الذين قالوا: إن الله عزّوجلّ أقسم بكل والد وولده فهو على عمومه كما عمه، وغير جائز أن يخص ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر، أوعقل، ولاخبر بخصوص ذلك، ولا برهان يجب التسليم له"[4].

لعل هذا القول هو الأقرب إلى دلالة اللغة فالتنكير أفاد التعميم، ويمكن والله أعلم أن يدخل تحته كل من تحققت فيه صفة الولادة سوى الله تعالى، وهذا أبلغ في الإعجاز وأظهر لقدرة الله تعالى وعظمته، وأبين لقيمة القسم الذي يشمل ذلك كله، فجعله (والد وماولد) معطوفة وهي في حكم القسم.

ولعل هذا التعميم هو ماعناه ابن عباس لقوله: "هو على العموم يدخل فيه جميع الحيوان" [5] وذهب ابن جرير إلى أبعد من ذلك إذ اعتبره عاما في البشر والحيوان والنبات، وهو ما أخذ به الشيخ محمد عبده فقال: "المراد منه أي والد وأي مولود من الإنسان والحيوان والنبات كما يرشد

---

[1] – سورة البلد، الآيات 1-2-3.

[2] – الزمخشري، الكشاف، ج 6، ص 376.

[3] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ح 14، ص 354.

[4] –أبو جعفر محمد بن جريرالطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والاسلامية، القاهرة، ط1، 2001 م، ج 24، ص 408.

[5] – أبو حيان، البحر المحيط، ج 8، ص 470.

إليه التنكير، وكما هو مختار عند ابن جرير وجمع من المحقيقن"[1].

فانظر كيف اختلفت دلالة التنكير بين التخصيص والتعميم فهي تضيق عند البعض لتحدد بالنبي صلى الله عليه وسلم وذريته، أو إبراهيم عليه السلام وولده، وتتسع الدلالة عند البعض لتشمل الإنسان والحيوان والنبات جميعهم، والذي ساعد على اتساع الدلالة هو استعمال "ما"التي تدل على غير العاقل، إضافة إلى العموم الذي يستفاد من التنكير.

و لعل القسم بكل والد وومولد إشارة إلى عظمة هذه الخاصية البيولوجية عند هذه المخلوفات فالتوالد هو سرّ البقاء، ودليل الفناء، وفيه تتجلّى قدرة الله على الخلق والإبداع، فهذه الأصناف المختلفة من إنسان وحيوان ونبات وقد اختلفت ألوانها وأجناسها وأشكالها تشهد كلها بكمال الربوبية وجلال الألوهية إذ لازالت عملية التوالد والتكاثر تحيّر عقول العلماء وتشغلهم بالبحث لمعرفة أسرارها وإدراك حقائقها عبر أطوارها المختلفة.

و من المواطن التي تكررت فيها النكرة قوله تعالى: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿5﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)[2].

فقد تكرر في هاتين الآيتين لفظ العسر معرفا وهو واحد، وتكرر لفظ اليسر منكرا وهما يسران وفي هذا دليل على لطف الله سبحانه وتعالى وعنايته بأصحاب الابتلاء والعسر فمن رحمته وسعة فضله أنه جعل للعسر الواحد يسرين اثنين وهذه بشرى من الله لعباده إذ لم يعد العسر دائما ولا الخروج منه مستبعدا فالفرج آت واليسر قريب وعلى المؤمن الصبر والاطمئنان والثقة بالله لأن الله لايخلف الميعاد .

"و التنكير في اليسر أفاد التفخيم: كأنه قيل: إن مع العسرا يسرا، إن مع العسر يسرا عظيما، وأي يسر"[3] يعادل يسرا وعد الله به عباده وكرره وأكد عليه "نفيا للشك وتقوية للإيناس" [4]، فالشيء إذا تكرر تقرر والجملة كما ترى تكررت وتكررت معها أداة التوكيد (إن) هذا التكرار يبعث في النفس تصديقا جازما وينشر بين جوانحها راحة نفسيّه وأملا عريضا.

---

[1] – عائشة بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، ج1، ص 174.

[2] – سورة الانشراح، الآية 5-6.

[3] – الزمخشري، الكشاف، ج 6، ص 398.

[4] – عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني، ج 1، ص68.

و في استعمال "مع" دون غيرها من الأدوات إلتفاتة بيانية قال الزمخشري: "إن مع للصحبة ومعنى اصطحاب اليسر والعسرأن الله أراد أن يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب، فقرّب اليسر المرتقب حتى جعله كالمقارن للعسر، زيادة في التسلية وتقوية القلوب "[1].

و من المعاني التي أفادها تنكير اليسر ماقاله الزمخشري: "أنه يجوز أن يراد بهما ماتيسر لهم من الفتوح في أيام رسول صلى الله عليه وسلم وما تيسر لهم في أيام الخلفاء، وأن يراد يسر الدنيا ويسر الآخرة "[5]

و تفسيرها بهذا المعنى يجعل الأمر محدودا ومنتهيا ومخصوصا بنوع من اليسر وفي زمن محدّد وهذا يخالف معنى التنكير في اللغة من ثراء في المعنى واحتواء لكثير من المقاصد، فيكون المقصود من تنكير يسر والله أعلم "كي ينفسح فيه مجال التصور والإطلاق، فيحتمل ماقاله المفسرون وما لم يقولوا، وإن التحديد هنا بكذا أوكيت من مفهوم اليسر ينافي البيان القرآني الذي آثر إطلاق "يسر"بغير قيد ولا حدّ " [2] ؛ فما يصيب المؤمن من عسر في حياته إلا ويفتح الله عليه بيسرين؛ فتنكشف الغمة ويعود الأمل، وأعتقد أنه عام غير مخصوص بقوم ولا زمان، والله تعالى أكرم وأعلم.

و في سورة الفيل في قوله تعالى: (وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ)[3] وردت لفظة (طيرا) منكرة فاختلفت التفاسير والأقوال حول المراد بهذه الطير وماصفتها و لم جاءت منكّرة ؟

"والجواب إما للتحقير فإنه مهما كان أحقر كان صنع الله أعجب وأكبر، أو للتفخيم كأنه يقول طيرا وأي طير ترمى بحجارة صغيرة فلا تخطيء المقتل" [4]، ولعل اختيار الطير كنوع من العقاب فيه تحقير للعدو الذي ادعى القوة والجبروت فكان هلاكه على أضعف المخلوقات، وهذه المخلوقات حازت الفضل إذكان لها شرف تحقيق النصر وإحلال الهزيمة بعدوّ الله فهي حققت بقوة الله ومدده ماعجزت جيوش مكة عن تحقيقه.

ومما جاء في كتب التفاسير في صفة هذه الطير؛ قول ابن عباس رضي الله عنه: " هي طير،

---

[1] – الزمخشري، المصدر السابق، ج6، ص 397.

[2] – عائشة عبد الرحمن.التفسير البياني، ج1.ص71.

[3] – سورة الفيل، الآية 3

[4] – الفخر الرازي، تفسير الرازي، ج32، ص 99.

وكانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير، وأكف كأكف الكلاب، وقيل كانت طيرا خضرا، خرجت من البحر، لها رؤوس كرؤوس السباع.

و في وصف آخر: هي طير خرجت من قبل البحر كأنها رجال الهند، معها حجارة أمثال الإبل البوارك، وأصغرها مثل رؤوس الرجال، لاتريد أحدا منهم إلا أصابته، ولا أصابته إلا أهلكته، وعن ابن عباس قال: لما ارسل الله حجارة على أصحاب الفيل جعل لايقع منها حجر إلاتقطع مكانه، وذلك أول ماكان الجدري، ثم أرسل الله سيلا فذهب بهم فألقاهم في البحر، قيل: فما الأبابيل؟ قال: الفرق"[1].

و أبابيل أي: متفرقة كقطعات إبل، الواحد أبيل"[2]، و"عن ابن عباس أن نافع بن الازرق قال لي: أخبرني عن قوله عزوجل: (طيرا أبابيل) قال: ذاهبة وجائية تنقل الحجارة بمناقيرها وأرجلها فتبلبل عليهم فوق رؤوسهم، قال وهل تعرف العرب ذلك، قال: نعم، أما سمعت الشاعر وهو يقول:

و بالنوارس من ورقاء قد علموا أحلاس خيل على جرد أبابيل[3]"

و ظلت هذه الأقوال هي السائدة في تفسير هذه الآية، والناس لايعرفون غيرها وهي تعمد في مجملها على روايات تاريخية تناقلتها العرب عمن حضروا وعايشوا أو سمعوا عن قصة أصحاب الفيل التي أقامت الدنيا في وقتها، وصارت بداية لتأريخ الأحداث إلى أن جاء الإمام محمد عبده حيث استطاع بفكره، واجتهاده أن يستنبط للآية بعدا آخر رآه يناسب العصر ولا يخرج عن دلالات النص، فقال في معرض حديثه عن الطير الأبابيل: "و في اليوم التالي فشا في جند الجيش داء الجدري والحصبة، قال عكرمة وهو أول جدري ظهر ببلاد العرب، وقال يعقوب بن عتبة فيما يحدّث: إن أول مارؤيت الحصبة والجدري ببلاد العرب ذلك العام، وقد فعل الوباء بأجسامهم ماليندر وقوع مثله، فكان لحمهم يتناثر وو يتساقط فذعر الجيش وصاحبه، وولوا هاربين وأصيب

---

[1] – انظر تفسير الطبري، ج 24، ص 631، والدر المنشور في الفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ط1، 2003م، ج 15، ص 661.

[2] – الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن.مادة "أبل"

[3] – عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الازرق، دراسة قرآنية لغوية وبيانية، دار المعارف، ط 3، (د ت).. ص 448

الجيش، و لم يزل يسقط لحمه قطعة قطعة وأنملة أنملة، حتى انصدع صدره (أي: أبرهة) ومات في صنعاء".[1]

و يقول الإمام محمد عبده – رحمة الله- معلقا على هذه الروايات ومبديا رأيه في الموضوع "و قد بينت لنا هذه السورة الكريمة أن ذلك الجدري أو تلك الحصبة نشأت من الحجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير ممايرسله الله مع الريح ؛ فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض، أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض، وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذي تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات، فإذا اتصل بجسد دخل في مسامة، فأثار فيه تلك القروح التي تنهي بإفساد الجسم وتساقط لحمه، وأن كثيرا من هذه الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود الله في إهلاك من يريد إهلاكه من البشر وأن هذا الحيوان الصغير الذي يسمونه الآن بالميكروب لايخرج عنها وهو فرق وجماعات لايحصي عددها إلابارئها، ولايتوقف ظهور أثر قدرة الله تعالى في قهر الباغين على أن يكون الطير في ضخامة رؤوس الجبال، ولا على أن يكون له ألوان خاصة به ولا على معرفة مقادير الحجارة، وكيفية تأثيرها: فلله جند من كل شيء "[2]

لقد أثارهذا الاستنباط حفيظة الكثير من النقاد وفتح الباب أمام سيل من الآراء ارتأينا عدم الخوض فيها والاكتفاء بماقاله سيد قطب: " إننا ندرك ونقدر دوافع والمدرسة العقلية التي كان الاستاذ الإمام – رحمة الله- على رأسها في تلك الحقبة ندرك ونقدر دوافعها إلى تضييق نطاق الخوارق والغيبيات في تفسير القرآن الكريم وأحداث التاريخ، ومحاولة ردها الى المألوف المكشوف من السنن الكونية، فقد كانت هذه المدرسة تواجه النزعة الخرافية الي تسيطر على العقلية العامة في تلك الفترة كما تواجه سيل الأساطير الإسرائيليات التي حشيت بها كتب التفسير والرواية في الوقت الذي وصلت فيه الفتنة بالعلم الحديث الى ذروتها، وموجة الشك في مقومات الدين إلى قمتها"[3]

و في الحقيقة إن الشيخ مهما كانت الدوافع والظّروف التي كانت وراء اعتقاده هذا التفسير

---

[1] – سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 8، ص 251

[2] – المرجع نفسه والصفحة نفسها،

[3] – المرجع نفسه. ص254

فإن النص القرآني هو من ساعده على ذلك إذ التنكير في هذه الآية يسمح له ولغيره بالفهم والاستنباط في حدود ماتسمح به اللغة فالقرآن لم يعرّف الطير و لم يذكره باسمه أو صفته، "فيجوز لك ان تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض والذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض" [1]، ولهذا الجواز وجهة نظر صحيحة؛لأن الذباب طير والبعوض طير والنص القرآني الكريم قد وقف عند كلمة الطير وحدها" [2] ومن أنواع الطيور مالايعلم عدده ولا وصفه إلا الله وهي قادرة على فعل ما يعجز البشر عن فعله، وقد تجلت فيها عظمة الخالق وقدرته إلا أنه لايجب الخروج عن دلالة اللغة وإلا صار الأمر مجرد تصورات لا أساس لها.

و من هذا يمكن القول إن التنكير حوى واختزن كل هذه المعاني وغيرها، وفتح الباب أمام النظر والاستنباط واكتشاف عطاءات القرآن وأبعاده المتجددة عبر الزمان فليس لأحد أن يزعم بأن الصواب فيما يراه هو وحده وأن تفسيره هو المقبول وتفسير غيره شطط وخروج عن الدين.

[1] –سيد قطب، المرجع السابق، ج8، ص 251

[2] – محمد رجب البيومي، البيان القرآني، الدار المصرية، ط2، 2005 م، ص 308

المبحث الثالث: ظلال المعاني:

ورد في لسان العرب "ظل النهار: لونه إذا غلبته الشمس. والظل نقيض الضح.وبعضهم يجعل الظل الفيء، قال رؤبة: كل موضع يكون الشمس فتزول عنه فهو فيء وظل. وقيل الفيء بالعشي والظل بالغداة. فالظل ما كان قبل الشمس والفيء ما فاء بعده.وجمع الظل: أظلال وظلال وظلول"[1]. وقد جعل الله تعالى للظل حركة وامتداد ا قال تعالى:(أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (2، ومنه فإن التعبير القرآني يمتاز بثراء معانيه وامتداد ظلاله، فهو يعبّر بالمفردة الواحدة عن معان وأبعاد كثيرة، كما تختزن صيغه دلالات جمة، والأمر يعود إلى الدقة في اختيار الألفاظ والجمل وحسن نظمها وسبكها، مما يجعل المعاني متكاثرة والدلالات متوالدة يدل بعضها على الآخر فتمتد ظلالها الوارفة إلى مسافات بعيدة والشواهد على ذلك كثيرة منها:

– قوله تعالى: (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ)[3] فقد جاء النهي صريحا عن إتباع خطوات الشيطان والمقصود بخطواته" طرائقه وأوامره كما أتبعها المشركون"[4] ُطريق الشيطان كما هو معروف هو طريق الغواية والزيغ والضلال، والخروج عن أوامر الله والابتعاد عن

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، مادة "ظل"

[2] سورة الفرقان، الآيتان 45، 46

[3] – سورة الأنعام، الآية 142.

[4] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 6، ص 192

طاعاته، والانشغال بالمعاصي والملاهي والمنكرات من الأقوال والأفعال.

و قد وردت آيات كثيرة تبيّن المراد من خطوات الشيطان الكثيرة والمختلفة منها ما ورد في قوله تعالى: (إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[1] فهذه بعض خطواته ودروبه التي حذر الله عباده منها، كما جاء ذكر بعض وساوسه في قوله تعالى: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ)[2] وقال تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ)[3]، وعداوة الشيطان لبني البشر قديمة متأصلة فقد سبق وأن فتن أبوينا وخدعهما قال تعالى: (يَا بَنِي آَدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآَتِهِمَا)[4].

و لا زال يتوعدنا فقال: (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)[5] فقد جاء التحذير من إتباعه في أكثر من موضع لأنه عدو بيّن العداوة فهذه بعض الظلال التي انبثقت عن كلمة "خطوات" وهي ظلال وارفة كما ترى "حيث جمعت فقرا وفحشاء وإضلال بعيدا وإيقاع عداوة وبغضاء وخمرا وميسرا وصدّا عن ذكر الله وعن الصلاة وعداوة وإضلالا مبينين وأن الشيطان مع ذلك كله يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير فمن سار في هذه الخطوات فإنما مآله أن يكون من حزب الشيطان الذي يدعوه ليكون من أصحاب السعير "[6] قال تعالى: (إِنَّ (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ)[7].

و الخطوات هي الوساوس التي يستدرج من خلالها الشيطان أتباعه، والتعبير بالخطوات غاية في البيان فالخطوة هي بداية كل طريق فطريق ألف ميل -كما يقال -يبدأ بخطوة فالأجدر بالمؤمن ألا يخطو هذه الخطوة الأولى في طريق الشيطان لأن الخطوات توصل إلى مسالك، وخطوات الشيطان ومسالكه تنتهي بالمرء إلى نهاية واحدة وهي الخروج من مناهج الفوز والفلاح إلى مناهج

---

[1] – سورة البقرة، الآية 169.

[2] – سورة البقرة، الآية 268

[3] – سورة المائدة، الآية91

[4] – سورة الأعراف, الآية 27.

[5] – سورة ص ,الآيتان82-83.

[6] – مختار عطية. المصدر السابق.ص219.

[7] – سورة فاطر, الآية6.

الزيغ والخسران.

و في قوله تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)[1] إيجاز آية في الإعجاز حيث جمعت ثلاثة أوامر في خطاب واحد، وهذه الأوامر زاخرة بمعان متعددة وظلال مديدة ودلالات عميقة.

فالأمر الأول: (خذ العفو) "أي ما يسهل قصده وتناوله، وقيل معناه تعاطي العفو عن الناس"[2]، "والعفو ضد الجهد، أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس وأخلاقهم وما أتى منهم وتسّهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا."[3]

قال الشاعر:

خذي العفو مني تستدي يمى مودتي ولاتنطقي في سورتي حين أغضب[4].

و العفو خلق عظيم به تدفن الأحقاد والضغائن وتستمر العلاقات والصلات، وتصفو القلوب وتخلص في مرادها النيات, وهو يشمل " ترك التشديد في كل ما يتعلق بالحقوق المالية، ويدخل فيه أيضا التخلق من الناس بالخلق الطيب، وترك الغلظة والفظاظة "[5].

و التعريف في لفظ العفو يفيد الاستغراق فهو يعم أنواع العفو وصوره المختلفة " ولا يخرج عن هذا العموم من أنواع العفو أزمانه وأحواله إلا ما أخرجته الأدلة الشرعية مثل العفو عن القاتل غيلة، ومثل العفو عن انتهاك حرمات الله، والرسول أعلم بمقدار ما يخص من هذا العموم وقد بينه الكتاب والسنة وألحق به ما يقاس على ذلك "[6]، والأمر بالعفو هو دعوة إلى اللين والرفق وترك القسوة والفظاظة فإن لله جبل النفوس على تقبل النصح بالحكمة والسياسة وقد أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك في قوله: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[7].

---

[1] – سورة الأعراف الآية199.

[2] – الأصفهاني. المفردات.مادة "عفا"

[3] - الزمخشري. الكشاف.ج2.ص544-545.

[4] – البيت من(الطويل)، ونسبه صاحب التحرير والتنوير لأبي الأسود الدؤلي، ورأى أنه اتبع استعمال القرآن، ونفى نسبته إلى حاتم الطائي أو أسماء بن خارجة الفزاري، ينظر التحرير والتنوير، ج 9 ص 226.

[5] – الفخر الرازي. التفسير الكبير.ج15.ص100.

[6] – الطاهر بن عاشور.التحرير والتنوير.ج9.ص227.

[7] – سورة النحل الآية125.

(و أمر بالعرف) وهو الأمر الثاني في الآية: والعرف: "بضم العين: المعروف، وكل جميل من الأفعال"[1]."و المعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل أو الشرع حسنه"[2].

فالعرف اسم جامع لكل ما تعارف المسلمون على حسنه من أخلاق، ومعاملات ونظام وآداب عامة تنظم شؤون حياتهم وتشيع بينهم الاحترام، وتقوي أواصر المحبة والترابط، والعرف هو نتاج تفاعل الدين والعقيدة مع فهومات الناس واستنباطاتهم وظروفهم الاجتماعية والاقتصادية ولقد تركت الشريعة العرف مخصوصا باصطلاح المسلمين مع بعضهم، وللفظة "العرف" ظلال أخرى منها " صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام وغضّ الأبصار، والاستعداد لدار القرار".[3]

و من دلائل الإيجاز في هذه الآية دلالة الأمر على النهي "فالنهي عن المنكر أمر بالمعروف، والأمر بالمعروف نهي عن المنكر، لأن الأمر بالشيء نهي عن ضده فالاجتزاء بالأمر بالعرف عن النهي عن المنكر من الإيجاز "[4] لكن من رحمة الله أن ذكر الأمر بالعرف لأنه مهم لإصلاح المجتمع المجتمع وفي انتشاره انحسار المنكر وهذا منهج دعوي رائع إذ يواجه الشر بنشر الخير بدل المواجهة مع قوم حديثي عهد بالجاهلية.

و أما قوله تعالى: : (وأعرض عن الجاهلين) فهذه دعوة إلى أدب رفيع وهو الصبر والحلم، والضرب صفحا عن سوء المعاملة التي يتلقاها المرء من الجهلة والمعاندين، والإعراض عن الجهلة فيه تأديب لهم إذ يدفع الإنسان إلى مراجعة نفسه، والبحث عن سبب إعراض الناس عنه، ويترك الباب مفتوحا والعلاقات مستمرة خلافا لما يكون عليه الأمر لو كان الرد بالمثل أو بالعقاب، " ففي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وتتريه النفس عن مقابلة السفيه بما يوتغ الدين ويسقط القدرة "[5]، ولقد وصف الله تعالى عباده الصالحين بهذا الخلق في قوله تعالى : (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)[6]. وعن أبي هريرة –رضي الله عنه –أن رجلا قال: يا رسول الله إن لي

---

[1] – محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه. دار الإرشاد للشؤون الجامعية. ط7، 1999م.مج3.ج9.ص93.

[2] – الراغب الأصفهاني، المفردات، مادة "عرف"

[3] – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج9.ص418.

[4] –الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 9 ص 228

[5] –أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 197

[6] – سورة الفرقان، الآية63.

قرابة، أصلهم ويقطعونيّ، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ، فقال: (لئن كنت كما قلت فكأنما تسفّهم المل ّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك.)[1].

والحديث عن الإيجاز في هذه الآية لا حدّ له فقد تضمنت قواعد الشريعة، فأمرت بمكارم الأخلاق ونهت عن كل قبيح من قول أو فعل، ودعت إلى اللين ونفي الحرج في الأخذ والإعطاء وأمور التكليف، كما تناولت الصفح والعفو وهما سبيلا التآلف والاستقرار والقضاء على كل خلاف أو شجار، فالآية قد أخذت بأطراف الدين؛ من أمر ونهي واستحسان.

و في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)[2] فقد جمعت هذه الآية ثلاثة أوامر وثلاثة نواهي واختتمت بوعظ، أما الأوامر فأولها: العدل: " وهو المساواة في المكافأة إن خيرا فخير، وإن شرا فشر[3]، والأمر الثاني الإحسان: " وهو أن يقابل الخير بأكثر منه والشر بأقل منه"[4]، والأمر الثالث: الثالث: إيتاء ذي القربى أي صلة الأرحام.

وهذه الأوامر الثلاثة تشعّ منها ظلال كثيرة، فالعدل مثلا هو أساس الملك وعمدة الاستقرار، وهو دليل قهر النفس وتهذيب نزعاتها وكبح جماحها حتى لا تقع في براثن الظلم والجور والتمييز، والعدل يشمل المساواة بين الناس في كل الحقوق المادية المعنوية وبين الكبار والصغار والأبناء والرجال، ولقد اختلف العلماء في تأويل العدل لما يحمله من ظلال ومعان كثيرة: " فقال ابن عباس: العدل لا إله إلا الله، وقال سفيان بن عيينة العدل هاهنا: استواء السريرة، وقال ابن عطية: العدل هو كل مفروض من عقائد وشرائع، وفي أداء الأمانات وترك الظلم والإنصاف، وإعطاء الحق، أما الإحسان فقيل هو النافلة، والإحسان أن تكون السريرة أفضل من العلانية وعن علي بن أبي طالب —رضي الله عنه– الإحسان التفضل "[5] وهو يشمل الإحسان إلى الناس، والإحسان إلى جميع الخلق من حيوان ونبات ,ويأتي الإحسان بمعنى الإخلاص " وهو إتقان العبادة

---

[1] الشيخ صفيّ الرحمن المباركفوري، منة المنعم شرح صحيح مسلم، دار السلام للنشر والتوزيع الرياض، ط1، 1999 م، ج4، ص 173 كتاب "البر والصلة والأدب"

[2]– سورة النحل، الآية90.

[3] – الراغب الأصفهاني.المفردات مادة "عدل"

[4] – المصدر نفسه.مادة" حسن"

[5] – القرطبي. الجامع لأحكام القرآن.ج12.ص411–412.

ومراعاتها، بآدابها المصححة والمكملة، ومراقبة الحق فيها، واستحضار عظمته وجلاله حالة الشروع وحالة الاستمرار وهو المراد بقوله: " أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[1].

الأمر الثالث في قوله تعالى: (وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى) تأكيد على مكانة القرابة وصلة الرحم وإثبات لحقوقهم المقررة شرعا وعرفا فهم الأولى بالزيارة والأحق بالنصيحة، والأجدر بالهدية والعطية، ففي وصلهم دوام المودة واستمرار الترابط بين الأسر والمجتمعات.

أما النواهي فأولها: النهي عن الفحشاء وهي"ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال" [2]، وثانيها النهي عن المنكر "وهو ما أنكره الشرع بالنهي عنه وهو يعمّ جميع المعاصي والرذائل والدناءات على اختلاف أنواعها "[3]، وثالثها البغي وهو"تجاوز الحق إلى الباطل أو تجاوزه إلى الشبه"[4]

"فالشرع الإسلامي أمر بمحاسن الأخلاق وأغرى العباد عليها وحذر من القبائح وتوعد عليها وما ذلك إلا لاكتساب الأخلاق الحميدة والتباعد عن الأخلاق الذميمة، قال الشيخ عبد الغني النابلسي: ولو لم التغيير في الأخلاق ما كان للأمر والنهي فائدة" [5] وهذا يؤكد وجوب استمرار الأمر والنهي في الدعوة إلى الله لأن الأحوال تتبدل والأخلاق عرضة للغزو والتغريب من قبل العدو الذي يتربّص بنا الدوائر.

و من الآيات التي أوجزت بظلالها معاني كثيرة قوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا)[6]، " فالآية هي العلامة الظاهرة"[7]، " والبيّنة الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة" [8]، فالآية البينة هي ما ما يعطيه الله لأنبيائه ورسله من معجزات تدل دلالة قاطعة على صدق دعواهم ونبواتهم، وهذه

---

[1] – المصدر نفسه.ص413.

[2] – الراغب الأصفهاني، المفردات، مادة" فحش"

[3] – القرطبي الجامع، لأحكام القرآن، ج10، ص167

[4] –الراغب، المفردات في غريب القرآن، مادة" نكر".

[5] –محمد الشاذلي ابن القاضي، مقال بعنوان (الإسلام يدعو إلى مكارم الأخلاق) مجلة الزيتونية، ج1، عدد4، أكتوبر 1940 م، ص5

[6] – سورة الإسراء الآية101.

[7] – الراغب الأصفهاني. المفردات.ص33.

[8] – المصدر نفسه.ص68.

الآيات البينات ورد ذكرها أيضا في سورة البقرة في قوله تعالى: (وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ)[1] وجاءت جملة دون تفصيل وهي تحمل دلالات وظلال كثيرة جاء تبيينها وشرحها في مواطن متفرقة من القرآن منها قوله تعالى: (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ)[2] وجاء ذكر أكثرها في سورة الأعراف عند قوله تعالى: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ)[3]، وفي آية أخرى: (وَلَقَدْ أَخَذْنَا أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ)[4].

فهذه التفاصيل حوتها وجمعتها كلمة آيات وسمحت باستنباط هذه الظلال التي كانت كل واحدة منها جانبا من المعنى الإجمالي لها فارتبط مفهوم الآيات منها بهذه الأشياء التسعة وهي (العصا، والسنون، واليد والدم والطوفان والجراد والعقل والضفادع وفلق والبحر).

- وفي قوله تعالى: (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا)[5] إيجاز زاخر بشتى المعاني والظلال المنبثقة من لفظة (أطوار)التي فسرت تفاسير عديدة ؛" يقال فعل كذا طورا بعد طور أي تارة بعد تارة وقوله: (وقد خلقكم أطوارا) قيل: هو إشارة إلى نحو قوله: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[6] وقيل: هو إشارة إلى نحو قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ)[7] واختلاف أي مختلفين في الخلق والخلق"[8].

فقوله تعالى (أطوارا) قد فسرها البعض بما تعاقب على الإنسان من أدوار خلقه، حيث كان

---

[1] – سورة البقرة الآية92.

[2] – سورة النمل الآية12.

[3] – سورة الأعراف الآية 133.

[4] – سورة الأعراف 130.

[5] – سورة نوح الآية13.

[6] – سورة غافر الآية67.

[7] – سورة الروم الآية 22.

[8] – الراغب. المفردات.مادة "طور"

نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم طفلا ثم صبيا ثم كهلا ثم شيخا، والأطوار دالة على حكمة الخالق وعلمه وقدرته فإن طور الخلق من طور النطفة إلى طور الجنين إلى طور خروجه طفلا إلى طور الصبا إلى طور بلوغ الأشد إلى طور الشيخوخة ثم طور الموت وما يلحقه بعد ذلك من مراحل لا يعلمها إلا الله، كل ذلك دليل على تمكن الخالق من كيفيّات الخلق والتبديل في الأطوار، و"قال بعضهم: هي إشارة إلى الأطوار السبعة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[1]، و قيل :اختلاف المناظر والأخلاق وتعدى طوره أي حاله الذي يخصه، وقيل إن الناس أطوار أي أصناف على حالات شتى. وقيل أراد بالأطوار: اختلاف المناظر والأخلاق، ومن طويل، وقصير، وقيل: من الألوان الهيئات والأخلاق والملل المختلفة وقيل من الصحّة والسّقم، وكمال الأعضاء ونقصانها والغنى والفقر"[2].

فانظر إلى الثراء الدلالي الكامن في هذه المفردة فهي تحوي كل هذه المعاني أو يزيد والحال أنها كلمة واحدة وهذه لعمري قمة الإيجاز.

-وفي قوله تعالى: ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾[3] دليل آخر على ما تحويه المفردة القرآنية من معان وظلال ؛فلفظة التكاثر" هي من المكاثرة أي التباري في كثرة المال والعزّ، ويقال عدد كثير وكثار وكاثر: زائد، ورجل كاثر إذا كان كثير المال، قال الشاعر[4]:

لست بالأكثر منهم حصى وإنما العزّة للكاثر[5]

و استعمال صيغة تفاعل هنا تدل على الاشتراك في الفعل وهو مكاثرة الناس بعضهم لبعض، لكن ما هذا التكاثر الذي ألهى الناس عن عبادة ربهم وذكر الموت وأحوال الآخرة ؟، فقد "أعرض عن ذكر المتكاثر به إرادة لإطلاقه وعمومه وأن ما يكاثر به العبد غيره، سوى طاعة الله ورسوله

---

[1] – سورة المومنون ,الآيات 12-13-14.

[2] – ينظر: الألوسي، روح المعاني.ج29.ص74. وزاد المسير في علم التفسير ج.8ص 371 على بن محمد الجوزي القرشي، ومحمد الامين بن عبد فسير حدائق الروح والريحان ج 30 ص 255 (بتصرف)

[3] – سورة التكاثر ,الآية 1.

[4] –البيت من (السريع) وقائله الأعشى، الديوان، دار صادر، بيروت (د ط)، 2008 م، ص 94

[5] – الراغب الأصفهاني. مادة "كثر".

وما يعود عليه بنفع في معاده، فهو داخل في هذا التكاثر، فالتكاثر في كل شيء من مال أو جاه أو رياسة أو نسوة أو حديث أو علم، ولاسيما إذا لم يحتج إليه، والتكاثر في الكتب و التصانيف وكثرة المسائل وتفريعها وتوليدها "[1]، "و التكاثر أن يطلب الرجل أن يكون أكثر من غيره، وهذا مذموم إلا فيما يقرّب إلى الله، فكاثر فيه منافسه في الخيرات ومسابقة إليها"[2].

فهذه الظلال وغيرها مستفادة من إطلاق اللفظ وعمومه وليس لنا أن نحددها بالمال والولد وهو ما ذهب إليه بعض المفسرين كالطبري والزمخشري والدكتورة عائشة بنت الشاطيء في قولها": والاستئناس بآية الحديد يكون التكاثر هنا في الأموال والأولاد" [3]، والآية هي قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾[4].

وبالرجوع إلى واقع الإنسان، والنظر إلى حاله تراه لم يعد يلهيه المال والولد فقط، بل راح يتنافس ويتكاثر في كل ما يراه سبباً لبسط النفوذ وإظهار التميّز والتفرّد، دون اعتبار لما هو حلال أو حرام، ولعل الإطلاق والعموم في لفظ التكاثر جعل مدلول التكاثر يتطور ويختلف عبر العصور والأمكنة؛ فأنت ترى الناس اليوم يتكاثرون في كل ما جدّ من متاع وزينة وتكنولوجيا ووسائل الراحة والرفاهية، فلفظ التكاثر اسم جامع يدخل فيه "التكاثر بالعدد وبالمال والجاه والأقرباء والأنصار والجيش وبالجملة فيدخل فيه التكاثر بكل ما يكون من الدنيا ولذاتها وشهواتها" [5]، فكل هذه الأشياء تلهي عن ذكر الله وعن التدبّر في أمر الآخرة والاستعداد لها.

من كل ما سبق يمكننا القول إن هذه الظواهر التي تجلى فيها إيجاز القصر من زاوية علم المعاني وإن تقاربت أو تداخلت أحيانا فيمكن الوقوف على الفروق الدقيقة بينها ؛فظاهرة الإجمال مثلا غالبا ما تكون بجمع أشياء مختلفة تحت حكم واحد دون تفصيل بتوظيف اسم جامع أو أكثر تارة، أو التعريف الدال على الاستغراق، أو جمع أطراف المعنى بذكر الشيء بأوصافه المختلفة كالنهي عن الإثم مطلقا ظاهره وباطنه وذكر أنواع الثمار والنعم. ..وفي هذه الظاهرة تتحد كل مكونات الجملة وعناصرها لضغط المعنى وتكثيفه، وعند الحديث عن ظلال المعاني يمكن القول إن

---

[1] – ابن قيم الجوزيه.كتاب الفوائد.ص56.

[2] –.المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[3] – عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، ج1.ص198.

[4] – سورة الحديد، الآية20.

[5] – الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج32.ص76.

الظاهرة تعود لما للمفردة من أبعاد ومعان ظاهرة وخفية؛ فبعض المفردات لا يقتصر مدلولها على معنى واحد بل لها ظلال تؤسس لثراء دلالي أكثر من مجرد شروحات أو تفسيرات، أما ظاهرة التنكير فإن الإبهام الكامن فيها من أكثر أسباب الثراء والتوسع في حصر احتمالات المعنى والأغراض البلاغية منه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث

دلالات إيجاز القصر من زاوية علم البيان.

المبحث الأول: الإيجاز بالصورة البيانية.

المبحث الثاني: دلالات الإشارة.

المبحث الثالث: دلالات الإيحاء.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: الإيجاز بالصورة البيانية:

لقد اختار القرآن الكريم التعبير بالصورة البيانية عن أغراضه المختلفة ؛عن المعاني الذهنية والحالات النفسية، والنماذج الإنسانية وحال تعاملها مع الإيمان بالله، وكذا مشاهد يوم القيامة ، والأمثال والقصص، ومختلف مواقف الجدل و البرهنة على صحة العقيدة وانتصار الإيمان على الكفر، ويعود السرّ في اعتماد القرآن على الطريقة التصويرية لقدرتها على التأثير في النفس البشرية من كل الجوانب فهي "تخاطب الحس والوجدان، وتصل إلى النفس من منافذ شتى : من الحواس بالتخييل ومن الحسّ عن طريق الحواس، ومن الوجدان المنفعل بالأصداء والأضواء، ويكون الذهن منفذا واحدا من منافذها الكثيرة إلى النفس، لا منفذها المفرد الوحيد"[1]، ومصطلح التصوير لم يكن مستعملا عند القدماء بل كانوا يستعملون مكانه أنماطه التي يظهر فيها :كالتشبيه ، والاستعارة، والمجاز،و في التعبير الحديث " تستعمل كلمة الصورة –عادة –للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسي,وتطلق أحيانا مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات "[2] ,ووردت الإشارة إلى هذا المصطلح عند الباقلاني في قوله:"و تصوير ما في النفس، وتشكيل ما في القلب، حتى تعلمه وكأنك مشاهده، وإن كان يقع بالإشارة، ويحصل بالدلالة والأمارة، كما يحصل بالنطق الصريح، والقول الفصيح، فللإشارات أيضا مراتب، وللّسان منازل، وربّ وصف يصور لك الموصوف كما هو على جهته لا خلف فيه، ورب وصف يبّر عليه ويتعداه ورب وصف يقصر عنه"[3]، كما وردت الإشارة إليه في قول الجرجاني وقد عزا ذلك إلى الجاحظ قبله :"و اعلم أن قولنا (الصورة)، إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا، فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة، فكان تبيّن إنسان من إنسان و فرس من فرس بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في ذاك. وليس العبارة عن ذلك بالصورة شيئا نحن ابتدأناه فينكره منكر، بل هو مستعمل مشهور في كلام العلماء ويكفيك قول الجاحظ : (وإنما الشعر صياغة وضرب من

---

[1] – سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، ص 195،

[2] –مصطفى ناصف ,الصورة الأدبية , دار الأندلس ,ط 3, 1983م,ص 3

[3] – أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، تح :أحمد صقر، دار المعارف، مصر، (د ط)1963م، ص 244 .

التصوير)"[1]، ويعتبر سيد قطب أكبر القائلين بالتصوير الفني في القرآن الكريم وأشهر الدارسين لهذه الظاهرة من خلال كتبه المتميزة كالتصوير الفني في القرآن الكريم ومشاهد القيامة في القرآن الكريم ,وتفسيره في ظلال القرآن، إذ استطاع بحسه الفني الدقيق أن يبرز مواطن الجمال والإعجاز في القرآن الكريم الكامنة في الطريقة التصويرية.

أما عن علاقة الصورة بالإيجاز فيمكن القول إن المعاني التي نستوحيها من الصورة البيانية تغني في حقيقتها عن ذكر الكثير من الألفاظ والعبارات، إذ أساس ربط العلاقة بين طرفي الصورة مبني على الأوصاف والمعاني المشتركة بينهما، وإخراجها في شكل صورة بيانية إيجاز، "فالطريقة التصويرية توجز التعبير وتختصر المساحات الواسعة والمسافات الطويلة، إذ أن الريشة القرآنية المعجزة ترسم الصورة شاخصة حافلة بالمعاني غنية بالدلالات، تغني بألفاظها القلائل عن الكثير من العبارات والفقرات "[2]، فالعلاقة الموجودة بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية تسهم قي تكثيف المعنى، كما يلعب التخييل والتجسيم دورا كبيرا في ربط العلاقة بين طرفي الصورة لأنّ "القرآن عادة لا يبسط المعنى الممثل له، وإنما يكتفي بالتلميح له ويترك الذهن يكدّ في البحث عنه "[3].ويشمل التطبيق في هذا المبحث : التشبيه والكناية والاستعارة والمجاز.

أ- إيجاز القصر بآليات التشبيه :

وهو كما عرّفه الرماني :"العقد على أن أحد الشيئين يسدّ مسدّ الآخر في حسّ أو عقل "[4]، و عرفه أبو هلال العسكري بقوله :"التشبيه الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه ناب منابه أو لم ينب "[5]، ويمكن الجمع بين تعريفات التشبيه في كتب البلاغة بالقول: إن التشبيه هو تمثيل شيء بشيء في الصفة أو الصفات التي يشتركان فيها والتي عادة ما تكون في

---

[1] – الجرجاني ودلائل الإعجاز، ص 508.

[2] – صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيّد قطب، شركة الشهاب، الجزائر، (د ت) ص275

[3] – بغدادي بلقاسم، المعجزة القرآنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط، د ت)، ص 265

[4] – الرماني، النكت في إعجاز القرآن ص 80

[5] – أبو هلال العسكري، الصناعتين ص 261

المشبه به أقوى، وفائدته إبراز المعنى في أقرب صورة، ومن هنا كانت الصلة وثيقة بين إيجاز القصر والتشبيه، "فهو يكشف عن المعنى المقصود مع ما يكتسب من فضيلة الإيجاز و الاختصار" [1]فعملية التشبيه تأتي عوضا عن كلام كثير وبديلا عن أوصاف متعددة حسيّة كانت أو عقليّة وهذا مكمن الإيجاز .

وهذه طائفة من التشبيهات التي وردت في القرآن الكريم وفي السور المكية منه على وجه الخصوص، و سنحاول استخراج مكامن الإيجاز، وإظهار جوانب الإعجاز فيها .

ومن أمثلة التشبيه في القرآن الكريم قوله تعالى : (وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِۖ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦ ([2]، ففي هذه الآية شبه الله سبحانه وتعالى المعرض عن آياته بالكلب الذي يلهث في حال الحمل عليه أو تركه، وهذا التشبيه من باب إخراج المعقول في صورة المحسوس حتى يكون إلى الأذهان أقرب و بالواقع ألصق، وهذا التشبيه ثري بالمعاني المختزنة بين جوانب الصورة من ذلك "أن هذا الرجل كالكلب في صفته هذه و هي أقبح حالاته وأخسّها فهو لإخلاده وميله إلى الدنيا واتباعه هواه يكون كذلك في أسوإ حال فهو في هم دائب وشغل شاغل في جمع عرض الدنيا وزخرفها ,يعنى بخسيس أمورها وجليلها كشأن عباد الأهواء و طلاب الأموال ترى المرء منهم كاللاهث من الإعياء والتعب وإن كان ما يعنى به حقيرا لا يتعب ولا يعيي وتراه كلما أصاب سعة و بسطة في الدنيا زاد طمعا فيها "[3] ,ومن وجوه الشبه بينهما أيضا " أن الكلب لا يطيعك في ترك اللهث على حال و كذلك الكافر لا يجيبك إلى الإيمان في رفق ولا عنف "[4], كما يكشف التشبيه أغوار نفس الكافر الذي يعتقد في رفضه الإيمان، والعمل بمقتضيات

---

[1] – شمس الدين أبو عبد الله محمد المعروف بابن قيم الجوزية(ت751هـ)، كتاب الفوائد المشوق إلى علو القرآن وعلم البيان، صححه محمد بدر الدين النعماني، مطبعة السعادة مصر، ط1، 1327 هـ، ص 54 .

[2] سورة الأعراف، الآيتان 175 176

[3] أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ج 9 ص 109

[4] أبو هلال العسكري ، المصدر السابق ، ص 262

الشرع أنه يدفع عن نفسه التكاليف ويبعدها عن الزيغ والضلال، بل إن نفسه تتأجج نارا وتتآكل حقدا على الدين فهو يتخبط في حيرة من أمره ويعيش غليانا دائما ؛"من سوء الحال و اضطرام القلب ودوام القلق و الاضطراب وعدم الاستراحة بحال من الأحوال "[1]، وفي تشبيهه بالكلب إشارة إلى انحطاطه ودناءته ونزوله على أدنى مراتب الحيوانية بفقدانه القدرة على التمييز وإدراك الحقيقة وسعيه الحثيث وراء شهواته وأهوائه، فانظر كيف أوجز التشبيه كل هذه المعاني وغيرها بفضل ما اختزنته الصورة من إشارات وأوجه شبه , ولو لم يكن التعبير عنها بالتشبيه لاستلزم الأمر بسطا وإطنابا ثم لا يكون أبلغ ولا أوجز، كما كان لاختيار المشبه به دور في هذا الفيض من المعاني وتقريبها من الأفهام ؛ فالكلب ضروري في حياة أهل البادية وهم أعلم الناس بصفاته وسلوكاته .

ومن أيضا قوله تعالى : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨﴾[2]، وهو من باب تشبيه المعقول بالمحسوس، فقد شبه سبحانه وتعالى أعمال الذين كفروا يوم القيامة بالرماد الذي عبثت به الريح فتطاير في كل مكان، " وأعمال الكفرة ؛ المكارم التي كانت لهم من صلة الأرحام وعتق الرقاب، وفداء الأساري، وعقر الإبل للأضياف، وإغاثة الملهوفين، والإجارة وغير ذلك من صنائعهم، شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير أساس من معرفة الله تعالى والإيمان به، وكونها لوجه : برماد طيرته الريح العاصف "[3]

ومن وجوه الشبه بين المشبه والمشبه به في هذه الصورة الاشتراك في النهاية والنتيجة من عدم الانتفاع وانعدام الوزن والقيمة, فهذه الأعمال لا ينتفع بها صاحبها يوم القيامة تماما مثل الرماد وهي عديمة الوزن لا اعتبار لها ولا تثبت على الميزان يوم القيامة مثل الرماد الذي تنسفه أضعف ريح، والاستفادة من هذه الأعمال آنية أي في الدنيا فقط كالنار ينتهي مفعولها باانطفائها فلا شيء يرجى من رمادها، كما يدل التشبيه على خسارة الكافرين وحسرتهم على أعمالهم التي لم

[1]– الألوسي، تفسير روح المعاني، ج 9 ص 115

[2] – سورة إبراهيم، الآية 18

[3] – الزمخشري، الكشاف، ج 3 ص371

ينتفعوا بها و تشتد الحسرة عندما يكون الأوان قد فات و لم يعد الوقت وقت استدراك فقد آلت إلى رماد كما الأشياء والنفائس إذا صارت رمادا أصبح من المستحيل استرجاعها .

ومن التشبيهات القرآنية الزاخرة بالمعاني والإشارات، قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾[1]، فقد شبه الله تعالى الدنيا و زينتها وبهجتها بالأرض التي سقاها الغيث فأنبتت من كل زهر وأعطت كل ثمر وافتتن الناس بها حتى أتاها أمر الله فأصبحت في خبر كان، ولقد اجتهد الإمام السيوطي رحمه الله في إظهار ما تميز به هذا التشبيه من إيجاز فقال :"في هذه الآية عشر جمل وقع التركيب من مجموعها بحيث لو سقط منها شيء لاختل التشبيه إذ المقصود تشبيه حال الدنيا في سرعة تقضّيها وانقراض نعيمها واغترار الناس بها بحال ماء نزل من السماء وأنبت أنواع العشب وزيّن بزخرفها وجه الأرض كالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة حتى إذا طمع أهلها فيها، وظنوا أنها مسلمة من الجوائح أتاها بأس الله فجأة فكأنها لم تكن بالأمس، وقال بعضهم وجه تشبيه الدنيا بالماء أمران ؛أحدهما أن الماء إذا أخذت منه فوق حاجتك تضررت، وإن أخذت قدر الحاجة انتفعت به فكذلك الدنيا، والثاني أن الماء إذا طبقت عليه كفك لتحفظه لم يحصل فيه شيء فكذلك الدنيا "[2]، ووجه الشبه كما ترى كله عبر وعظات منها ترك الانشغال بالدنيا وعدم الاعتداد بها لأن مصيرها إلى الزوال والعمل لدار الخلود والقرار، وضرورة اليقين بأن قدرة الله فوق كل قدرة، وتسليم الأمر كله إليه ، وفي اختيار المشبه به دلالات عديدة، فالعرب في البادية أحوج الناس إلى المطر، وأدراهم بفضلها وأثرها على الأرض والكائنات الأخرى فأرزاقهم وأقواتهم مرتبطة بتزولها، فهم أكثر الناس إدراكا لأبعاد هذا التشبيه وما يوجزه من معان .

وتشبيهات القرآن لا تقتصر صورها وعناصرها على ما تراه العين في الطبيعة والبيئة الصحراوية فحسب بل توظف عناصر من عالم الغيب، ومن غير ما يألفه الناس و هذا زيادة في

---

[1] – سورة يونس، الآية 24

[2] – السيوطي الإتقان في علوم القرآن ج2 ص42

الدلالة، وحتى يذهب العقل بخياله في استنباط أكبر قدر من المعاني والعبر من هذه الصورة، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ طَلْعُهَا ﴿٦٤﴾ كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ [1]، فقد طلع شجرة الزقوم برؤوس الشياطين وهذا التشبيه أثار عقول العرب آنذاك ولا زال، ومبعث ذلك غرابة طرفي الصورة، "فمعلوم أن الذين خوطبوا بهذه الآية من المشركين لم يكونوا عارفين بشجرة الزقوم، ولا برؤوس الشياطين، ولا كانوا رأوهما، ولا واحدا منهما ."[2]

وقال سيّد قطب :"والناس لا يعرفون رؤوس الشياطين كيف تكون ولكنها مفزعة ولا شك، ومجرد تصورها يثير الفزع والرعب فكيف إذا كانت طلعا يأكلونه ويملأون منه البطون ، لقد جعل الله هذه الشجرة فتنة للظالمين فحين سمعوا اسمها سخروا وقالوا : كيف تنبت في أصل الجحيم ولا تحترق؟ قال قائل منهم –وهو أبو جهل بن هشام –يسخر ويتفكه :يا معشر قريش هل تدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد؟ قالوا :لا، قال : عجوة يثرب بالزبد، والله لئن استمكنا منها لترقمنها تزقمنا ,ولكن شجرة الزقوم هذه شيء آخر غير ذلك الطعام الذي كانوا يعرفونه "[3]،فعلى قدر غرابة الشيء والاعتقاد ببشاعته يزداد الخوف والفزع من عذاب الله وجحيمه وتندفع النفس نحو طاعته وتقواه والعرب تستعمل الشياطين في كل ما هو غريب ومخيف

ومن التشبيهات التي تصور مشاهد غيبية بأشياء من الواقع قوله تعالى : ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ [4].

جاء في معنى القصر أنه "القصر من هذه القصور، وقيل القصر جمع قصرة وهو الغليظ من الشجر، وقرئت كالقصر– بفتح الصاد– جمع قصرةٍ أي كأنها أعناق الإبل والجمالات بكسر الجيم وضمها يعني أن الشرر كالجمال السود يقال للإبل التي هي سود تضرب على الصفرة:إبل

---

[1] سورة الصافات، الآيتان 64، 65 .

[2] الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ج 19، ص 553.

[3] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 23، ص 2988.

[4] سورة المرسلات الآياتان، 32، 33

صفر "[1] وقال الرازي :"اعلم أن الله تعالى شبه الشرر في العظم بالقصر ، وفي اللون والكثرة والتتابع وسرعة الحركة بالجمالات الصفر، وقيل :إن ابتداء الشرر يعظم فيكون كالقصر ثم يفترق فتكون تلك القطع المتفرقة المتتابعة كالجمالات الصفر"[2] وهذا التشبيه يزرع في النفس الخوف والوجل؛ فإذا كان الشرر الذي يعتبر أصغر ما يتطاير من النار بهذا الحجم فكيف بالنار وقوتها وسعتها وشدة لهيبها .

وفي قوله تعالى : ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ [3]، فقد شبه القمر في آخر أيامه بالعرجون القديم والجامع بينهما التدرج في المراحل و انتهاء الصلاحية وعدم الاهتمام به، فالقمر تترقبه العيون عند مطلعه وتشرئب الأعناق نحوه والعرجون كذلك يتعلق به صاحبه ويتتبع مراحله من بداية طلعه ثم يصير قنوانا فبلحا إلى أن يصير رطبا جنيا ثم تمرا وهي آخر مراحله وبعد جني ثماره يرمى و ينتهي دوره ، فتأمل ثراء هذا التشبيه وما أوجز من معان، وفي هذا إشارة لنهاية كل بداية وهذه من سنن الله في خلقه.

ومن التشبيه قوله تعالى : ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ [4]، فقد شبه سعة الجنة وعرضها بعرض السماء والأرض وفي هذا دلالة على عظمة الجنة وما أعده الله فيها لعباده المتقين وفي هذا التشبيه ترغيب وحث على التسابق للظفر بهذه الجنة، وتشويق لما فيها من خيرات تسلب القلوب والأفئدة، والتشبيه بعرض السماء والأرض غاية في البيان فهما أعظم ما يراه الإنسان في هذا الوجود، وفي ذكر العرض بدل الطول لطيفة بيانية، "فالله تعالى شبه عرض الجنة بعرض السماوات السبع والأرضين السبع ولاشك أن طولها أزيد من عرضها فذكر العرض

---

[1] – أبو اسحاق إبراهيم بن السري الزجّاج (ت 311 هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تح :عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط1، 1988م ج 5ص 268

[2] الرازي، التفسير الكبير ج 30 ص 277

[3] سورة يس الآية 39

[4] سورة الحديد الآية 21

تنبيها على أن الطول أضعاف ذلك"[1]

وفي قوله تعالى: (وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَٰلِ ﴿٢٢﴾ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ([2]فقد شبه حور العين باللؤلؤ في جماله وجذابته وتأثيره في النفوس وكذا في صفائه ونفاسته إذ لم يعلق به تراب و لم تشبه شائبة، فهؤلاء حور عين مصونات خالصات بعيدات عن كل ما يشينهن .

وفي قوله تعالى :(يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ ﴿٤﴾ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ (3 وهذا تشبيه لمشهد من مشاهد يوم القيامة وهو غني بالمعاني والإيحاءات المنبعثة من وجوه الشبه الكثيرة، قال الزجاج :"الفراش ما تراه كصغار البقّ يتهافت في النار، وشبه الناس في وقت البعث بالجراد المنتشر والفراش المبثوث لأنهم إذا بعثوا يموج بعضهم في بعض كالجراد الذي يموج بعضه في بعض". [4]

وهذا وصف في غاية الدقة حيث دل بالفراش المبثوث على كثرتهم وحركتهم في هذا الزحام الممزوج بالفزع والقلق والاضطراب لشدة هول ذلك اليوم ويكتمل المشهد بوصف حال الجبال التي صارت (كالعهن المنفوش) و"(العهن):الصوف"[5] ، و"النفش فك الصوف حتى ينتفش بعضه عن بعض"[6] ففي هذا اليوم تنعدم العظمة والشموخ، وما كان محل إعجاب وقوة ، أصبح في أضعف صورة وأسوأ حال .

وفي قوله تعالى: (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ([7] تشبيه لما آل إليه أصحاب الفيل –أبرهة وجنده–

---

[1] الفخر الرازي ، المصدرنفسه، ج 29 ص 230

[2] سورة الواقعة الآيتان 22 23

[3] سورة القارعة، الآيتان 4، 5

[4] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ص 355

[5] المصدر نفسه والصفحة نفسها

[6] الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 32 ص 72

[7] سورة الفيل، الآية 5

وجنده- فقد"جعلهم كورق الزرع الذي جزّ وأكل، أي وقع فيه الآكال "[1] وهذا جزاء من ادعى الكبرياء واستباح الحرمات، فهم في أهون حال وأبخس صورة وهي بقايا ما تتركه البهائم من ورق الزرع بعد أن قضت منه مأربها، و التشبيه هنا يصور قدرة الله وشدة انتقامه من المكابرين والمعاندين .

ومن خلال ما سبق ندرك جليا علاقة التشبيه بالإيجاز وقدرته على جمع الكثير من المعاني وبأقرب صورة وأقدرها على الدلالة و رسم الصورة كما هي، كما نلاحظ التنويع الحاصل في أنواع المشبه به بين المحسوس والمعقول ليلائم مختلف المستويات والبيئات، وهذا يؤكد رسالة القرآن العالمية المقنعة والمعجزة لكل الناس.

ب- إيجاز القصر بالصورة الاستعارية :

عرفها أبو هلال العسكري بقوله :"الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما ان يكون شرح المعنى وفضل الابانة عنه أو تأكيده والمبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ أو يحسن المعرض الذي يبرز فيه "[2]، وهذا من أحسن التعاريف وأجمعها حيث بين أصل الاستعارة والأغراض البلاغية التي من أجلها تستعمل .

ونقل السيوطي قول بعضهم:" حقيقة الاستعارة أن تستعار الكلمة من شيء معروف بها إلى شيء لم يعرف بها وحكمة ذلك إظهار الخفي و إيضاح الظاهر الذي ليس بجلي أو حصول المبالغة أو المجموع ".[3]

وللاستعارة أركان ثلاثة ؛ مستعار وهو المشبه به، ومستعار منه وهوالمشبه، ومستعار له وهو المعنى الجامع، وترتبط الاستعارة بالإيجاز كونها تستعمل "لقصد المبالغة في التخييل والتشبيه مع الإيجاز"[4]

---

[1] الزجاج، المصدر نفسه، ص 364

[2] أبو هلال العسكري ، الصناعتين، ص 295

[3] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج 2 ، ص 44

[4] الزركشي البرهان في علوم القرآن ج3، ص 433

ومن أمثلة الاستعارة في القرآن الكريم قوله تعالى: (وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا)[1]، ففي هذه الاستعارة شبه الولد بالطائر وحذف المشبه به وأتى بشيء من لوازمه وهو الجناح المراد بها خفض الجانب والذل لهما، وهذه دعوة إلى التلطف مع الوالدين وتليين الجانب لهما، واستعمال الجناح غاية في البلاغة "فإن الجناح للذلّ مناسب فإن الطائر إذا وهى وتعب بسط جناحه وألقى نفسه إلى الأرض ".[2]

و للإمام ابن باديس –رحمه الله–إضافة رائعة بقوله :"شبه الولد في سعيه وحنوّه وعطفه على والديه بالطائر، في ذلك كله على فراخه، وحذف المشبه به وأشير إليه بلازمه وهو خفض الجناح لأن الطائر هو ذو الجناح، وإنما يخفض جناحه حنوا وعطفا وحياطة لفراخه فيكون في الكلام استعارة بالكناية"[3],والجناح هو قوة الطائر وهو سبيله إلى النجاة والمنع من كل ما يتهدده وهو للإنسان كل ما يرمز إلى القوة بدنية كانت أم مادية وخفض الجناح يعني التنازل عن كل ذلك والتغلب عن هذه النزعات مقابل خدمة الوالدين.

وفي قوله تعالى :(فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ)[4]، فالمعنى المتبادر من الآية هو الأمر بالتبليغ بكل ما يوحى إليك، وتكمن الاستعارة فى لفظة (اصدع) والصدع "الشق في الأجسام الصلبة كالزّجاج والحديد ونحوهما "[5]، واستعير هنا لما هو معنوي : "فالمستعار منه الزجاجة ، والمستعار الصدع وهو الشق والمستعار له عقوق المكلفين، والمعنى صرح بجميع ما أوحي إليك وبين كل ما أمرت به وإن شق ذلك على بعض القلوب فانصدعت، والمشابهة بينهما فيما يؤثره التصديع في القلوب فيظهر أثر ذلك على الوجوه من النقيض و الاستنباط، ويلوح عليها من علامات الإنكار و الاستبشار، كما يظهر ذلك على ظاهر الزجاجة المصدّعة المطروقة في باطنها،

---

[1] سورة الإسراء، الآية 24

[2] الزركشي، المصدر نفسه، ص 434

[3] – ابن باديس عبد الحميد مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، دار البعث قسنطينة (د ط)، 1982م، ص 104

[4] سورة الحجر، الآية 94

[5] الراغب الأصفهاني، المفردات، ص 276

فانظر إلى جليل هذه الاستعارة، وإلى عظيم إيجازها، وما انطوى عليه من المعاني الكثيرة ."[1]

وفي هذا دلالة واضحة على ضرورة الجهر بالدعوة جهرا يبلغ حد التأثير في النفوس التي باتت جامدة كالزجاج، وكلمة اصدع أبلغ من أي كلمة في هذا الموضع لما لها من جرس قوي يهز النفوس ويشقها لأن "الصدع بالأمر لابد له من تأثير كتأثير صدع الزجاجة و التبليغ قد يصعب حتى لايكون له تأثير فيصير بمنزلة ما لم يقع "[2], فلا بد من تكرار الدعوة حتى تصدع العقول وتتغلغل في أعماقها.

وفي قوله تعالى : ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[3]، فهذه الاستعارة تبرز معنى ذهنيا في صورة محسوسة حيث استعار القذف والدمغ من الماديات لحقيقة معنوية وهي انتصار الحق على الباطل، " وحقيقته بل نورد الحق على الباطل فيذهبه ..والقذف أبلغ من الإيراد..لأن فيه بيان شدة الوقع وفي شدة الوقع بيان القهر وفي القهر هاهنا بيان إزالة الباطل على جهة الحجة لا على جهة الشك و الارتياب والدمغ أشد من الإذهاب لأن في الدمغ من شدة التأثير وقوة النكاية ما ليس في الإذهاب "[4]، وترسم هذه الاستعارة أمامك مشهدا حيا متحركا فالحق كتلة تقع على الباطل فتشجّه وتدكّه فإذا هو ميت لا حراك له .

وفي قوله تعالى:﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾ [5] ,آية بيانية رائعة ففيها استعار السلخ من الماديات الملتحمة عادة كنزع الجلد عن اللحم ليصف تداخل الليل و النهار وفي هذا دلالة على تلاحم الليل بالنهار، وعملية السلخ هنا عملية دقيقة، ففيها يفصل الأمران دون بقاء أثر أحدهما في الآخر، وهذا من دلائل عظمة الله وقدرته .

---

[1] ابن أبي الأصبع المصري، بديع القرآن تح د حفني محمد شرف, دار نهضة مصر ,ط 2 ,(د ت) ص 22

[2] الرماني, النكت (ضمن ثلاث رسائل), ص 87

[3] سورة الأنبياء الآية 18

[4] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 300

[5] سورة يس ,الآية 37

وفي قوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾[1]، حيث استعار العقم للريح لانعدام النفع فيها ولكراهة الناس لها ككرههم للعقيم، " ويمكن أن يقال إنما سمي عقيما لأنه لم يبق أحدا من القوم كما أن العقيم لا يخلف نسبا و سمي الريح عقيما لأنها لم تأت بمطر ينتفع به ويبقى له أثر من نبات وغيره كما أن العقيم من النساء لا تأتي بولد يرجى ."[2]

وفي قوله تعالى : ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨﴾[3]، "والشهيق طول الزفير و هو رد النفس و الزفير مده وأصله من جبل شاهق أي متناهي في الطول "[4]، فاستعار هذه الصفات من الإنسان للنار " وحقيقة الشهيق ها هنا الصوت الفظيع وهما لفظتان, والشهيق لفظة واحدة فهو أوجز على ما فيه من زيادة البيان، وتميز حقيقته تنشق من غير تباين : والاستعارة أبلغ ..لأن التميز في الشيء هو أن يكون كل نوع منه مباينا لغيره وصايرا على حدته و هو أبلغ من الإنشقاق لأن الإنشقاق قد يحصل في الشيء من غير تباين"[5] , وهذه الأوصاف تصور الغليان المخيف والغيظ الشديد الذي ملئت به جهنم," وفيه بيان عجيب وزجر شديد لا تقوم مقامه الحقيقة "[6]

وفي قوله تعالى : ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾[7]، استعار لفظة (طغى) التي تصف تجاوز الماء للحد المعتاد، وهي تدل على حصول الطوفان وحلول العقاب , " والاستعارة أبلغ لأن طغى علا قاهرا، وهو مبالغة في عظم الحال"[8]وهو نوع من العقاب وكأني بالماء يصب جام غضبه

---

[1] سورة الذاريات ,الآية 41

[2] أبو هلال العسكري المصدر نفسه ص 300، 301

[3] سورة الملك الآيتان 7، 8

[4] الراغب، المفردات، مادة"شهق "

[5] أبو هلال العسكري المصدر السابق، ص 299

[6] المصدر نفسه والصفحة نفسها .

[7] سورة الحاقة، الآية 11

[8] الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص87

غضبه وقوته على هؤلاء الكفار ويعلو عليهم مثلما تعالوا على الله , و ينجي الله عباده المؤمنين من تلك الأهوال بحملهم على ظهر السفينة.

وفي قوله تعالى : (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ [1] حيث استعار الذوق من الطعام للعذاب والألم وفي هذا زيادة في الشعور بالألم، "والاستعارة أبلغ، لأن إحساس الذائق أقوى لأنه طالب لإدراك ما يذوقه، ولأنه جعل بدل إحساس الطعام المستلذ إحساس الآلام، لأن الأسبق في الذوق ذوق الطعام"[2] وجعل الذوق للعذاب هو زيادة في العذاب والألم فهم سيعرفوه ويدركوا طعمه الخاص "فللذوق فضل على غيره من الحواس .. ألا ترى أن الإنسان إذا رأى شيئا و لم يعرفه شمه فإن عرفه وإلا ذاقه لما يعلم أن للذوق فضلا في تبيين الأشياء " [3]، ولفظة (لنذيقنهم) توحي بجرسها بشدة هذا العذاب وثقله، كما تعني الإرغام والإكراه على الفعل، إنهم اليوم غير مخيرين كما كانوا من قبل، ففعل الذوق واقع عليهم لا محالة طوعا أو كرها ومؤكد بمؤكدين " اللام" و"النون ".

وفي قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ [4]، فهذه الاستعارة تصور حالة التذبذب التي يعيشها هؤلاء وهم يسيرون على غير هدى هائمون تائهون في شعب شتى ومن غير منهج صحيح "والمراد منه الطرق المختلفة كقولك أنا في واد وأنت في واد وذلك لأنهم قد يمدحون الشيء بعد أن ذموه وبالعكس، وقد يعظمونه بعد أن استحقروه وبالعكس وذلك يدل على أنهم لا يطلبون بشعرهم الحق ولا الصدق أما محمد صلى الله عليه وسلم فإنه من أول أمره إلى آخره بقي على طريق واحد وهو الدعوة إلى الله تعالى والترغيب في الآخرة والإعراض عن الدنيا"[5].

---

[1] سورة السجدة ، الآية 21

[2] الرماني المصدر نفسه ص 93 94

[3] أبو هلال العسكري المصدر السابق ص 303.

[4] سورة الشعراء، الآية 225.

[5] الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج 24 ص 175

وفي قوله تعالى: (وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ)[1] فالعرض هنا مستعار للدعاء والتعبير بالعرض فيه إشارة إلى كثرة الدعاء والالحاح فيه فالإنسان بطبعه جزوع كثير الدعاء في حال الشدة و العسر , وهذا يكشف الأزمة النفسية المشتعلة بداخله فهي التي تدفعه إلى طلب العون والفرج من خالقه وإقراره بضعفه وعجزه أمام القدرة الإلهية .

وهذه وقفة أخرى مع بلاغة الاستعارة في القرآن الكريم في قوله تعالى : (فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا)[2]، ففي هذه الصورة تجلّت قدرة الله تعالى ؛ حيث منع عن هؤلاء الفتية حاسة السمع حتى لا تؤثر فيهم الأصوات الخارجية من غير أن يصيبهم صمم أو يلحق آذانهم أذى "لأنه إذا ضرب عليها من غير صمم دل على عدم الإحساس من كل جارحة يصح بها الإدراك، ولأن الأذن لما كانت طريقا إلى الانتباه ثم ضربوا عليها لم يكن سبيل إليه "[3] فهم بذلك معزولون عن عالم الكفر الذي فرّوا منه فتحققت لهم بذلك الأمنية مع الحماية والتكريم.

وفي قوله تعالى : (وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٱلَّذِيٓ ۝ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ)[4] , معنى الآية ا: "أي حططنا عنك ذنبك ، (ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ (أي حمله على النقض، وهو صوت الانتقاض والانفكاك لثقله. قال أهل اللغة: أنقض الحمل ظهر الناقة إذا سمعت له صريرا من شدة الحمل وسمعت نقيض الرجل ؛أي صريره "[5] فالأنبياء كما لا يخفى مغفوروا الذنوب، ومرفوعوا المكانة . ووصف الذنب بالثقل الذي يوضع يدل له وقعا في النفوس ووزنا يوم القيامة .

ج- إيجاز القصر بإشارات الكناية :"الكناية لفظ أطلق وأريد لازم معناه مع جواز

---

[1] سورة فصلت، الآية 51

[2] سورة الكهف، الآية 11

[3] الرماني، المصدر السابق ص 94

[4] سورة الشرح، الآيتان 2, 3

[5] أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي (ت بعد 880 هـــ)، اللباب في علوم الكتاب، تح محمد سعد رمضان حسن ومحمد متولي الدسوقي حرب، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1، 1998 م، ج 20، ص 399

إرادة المعنى الأصلي "[1]، وترتبط الكناية بالإيجاز كونها تأتي نيابة عن المكنى عنه ودلالة عليه ، وتسهم الكناية في تكثيف المعنى بما تختزنه من لازم المعنى، ففي قول العرب (فلان كثير الرماد) : كناية عن الكرم هو اختصار؛" فإنه ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة إحراق الحطب تحت القدور، ومنها إلى كثرة الطبائخ، ومنها إلى كثرة الأكلة، ومنها إلى كثرة الضيفان، ومنها إلى المقصود "[2], فهذه المعاني توجز بإشارة الكناية لها وهو ما يصطلح عليه البعد الكنائي و هو مكمن الإيجاز.

ومن أمثلة الكناية في القرآن الكريم قوله تعالى : (وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ (3، فهذه كناية عن ندم وحسرة بني إسرائيل، وخوفهم من عقاب موسى وغضبه عليهم بعد أن خالفوا ما عاهدوه عليه؛ بأن لا يغيروا ولا يبدلوا في الدين شيئا، وهنا " أصل الكناية أن المجرم إذا أدركه الجنود أسرعوا فأسقطوا بعنف في يديه القيد الحديدي حتى لا يفرّ فإذا فعلوا به ذلك ارتخت أعصابه ووهنت عزائمه وأيقن أنه مسوق للعذاب وهؤلاء الذين اتخذوا العجل الذهبي الذي عبدوه أحسّوا بمثل هذا لما رأوا من بعيد موسى عليه السلام راجعا إليهم ومعه الألواح، كأنه قد حصل سقوط قيد حديدي في أيديهم، وسيلاقون عقابهم "[4]، وهذه تدل على حالة من الذهول والفشل والخيبة تخور معها الأعصاب وتنهزم العزائم" لأن من شأن من اشتدّ ندمه وحسرته أن يعضّ يده غما، فتصير يده مسقوطا فيها ؛لأن فاه قد وقع فيها"[5] ولاينتهي السقط في اليد بل يمتد تأثيره إلى النفس وإلا فما يضرهم ذلك "كما تقول للذي يحصل على شيء – وإن كان مما لا يكون في اليد قد حصل في يده من هذا مكروه تشبه ما يحصل في القلب وفي النفس بما يرى بالعين "[6]، وفي هذا إشارة إلى تعمدهم هذا

---

[1] علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة مع دليلها، دار المعارف، (د ط) و(د ت) ص125

[2] الخطيب القزويني، التلخيص في وجوه البلاغة ، ص 342

[3] سورة الأعراف، الآية 149

[4] عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني، البلاغة العربية، أسسها، علومها، وفنونها، الدار الشامية، بيروت، ط 1، 1996م، ج 2 ص148

[5] الزمخشري، الكشاف ج 2 ص 510

[6] الزجاج ، المصدر السابق، ج2، ص 378

بأيديهم، فاليد التي كانت سببا في هذا الكفر هي من يقع فيها السقط أولا، ثم يمتد إلى النفس التي كانت وراء الوساوس.

وفي استعمال مادة (فعل) في القرآن الكريم بعد كنائي إذ تأتي اختصارا لكثير من الأحداث، كما في قوله تعالى : (قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ[1]، كناية عن تحطيمه– عليه السلام – أصنامهم وإهانتها وتعليق المعول في رقبة الصنم الأكبر وما رافق ذلك، بعد أن كانت في نظرهم إلها يعبد ولكل خير يطلب، وكأني بهم بهروا لشدة ما رأوا، أو من باب إخفاء ما حدث لآلهتهم فيستعظموا أن يقولوا في حقها أنت من حطمها وردّها حجارة تداس بالأقدام

والأمر كذلك في قو له تعالى هَلۡ :(قَالَ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ[2]، وهذا كناية عن كل ما فعلوه به من قصة إلقائه في الجب وبيعه وما لفّقوه من زور، فانظر كيف دل على كل ذلك بقوله (ما فعلتهم)، ولعل الغرض من عدم ذكر ذلك هو تفادي تهييج الأحزان من جديد وإثارة العداوة بين الإخوة فاكتفى بالإشارة إليه دون تفصيل، فتأمل فضل الكناية على الإيجاز.

ونفس الكلام يقال عن قوله تعالى: (فَعَلۡتَكَ وَفَعَلۡتَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩[3]، أي كناية عن" قتلك القبطي إذ هو نفس لا يحل قتله "[4]، فالقصة بتفاصيلها اختصرت في كلمة (فعلتك)

ومنه أيضا قوله تعالى : (وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا[5]، كناية عن عن كل ما شاهده منه من أفعال هي بأمر الله من قتل الغلام وإقامة الجدار وخرق السفينة ...

---

[1] سورة الأنبياء، الآية 62

[2] سورة يوسف، الآية 89

[3] سورة الشعراء الآية 19

[4] الضحاك، تفسير الضحاك (ت 105 ه) جمع وتحقيق محمد شكري أحمد الزاويتي، دار السلام، ط1، 1999 م ج 1، ص 633

[5] سورة الكهف، الآية 82

ومن أمثلته كذلك قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ)[1] أي تصبحوا نادمين على ظلمكم الناس بغير حق إشارة إلى ما ينجم عن ذلك من عداوة، وقطيعة وربما فتنة أو خصومة.

وفي قوله تعالى : (أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ([2]، كناية عن كل ما وقع في قصتهم من أحداث عاقب الله بها أصحاب الفيل وهي إرسال الطير ترميهم بالحجارة حتى جعلتهم كورق الزرع المأكول .

ومن الكنايات الزاخرة بالإيجاز قوله تعالى : (وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠﴾ [3]، " أي كأنما فرغ من لبها لما تداخلها من الخوف، و قيل فارغا من ذكره أي أنسيناها ذكره حتى سكنت واحتملت أن تلقيه في اليم، وقيل فارغا أي خاليا إلا من ذكره لأنه قال: (إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ("[4]، فمن الاختلاف في التفسير كان الاختلاف في توجيه الكناية ؛فيحتمل أن يكون فؤادها في حالة من الراحة والسعادة لأنها نسيت ولدها بأمر الله ويحتمل أن يكون فارغا من أي طعم للحياة، وأي معنى للطمأنينة لأن الخوف والحزن شغلا فؤادها . ويرجح القول الأول فهي "كناية عن طمأنينتها على ولدها وسكينتها و استمتاعها بمشاعر السعادة لان من شان فراغ الفؤاد من الافكار والعواطف المثيرة للقلق والاضطراب والخوف أن تصاحبه السكينة والطمأنينة ومشاعر السعادة أما قول الله عز وجل بعد هذه الكناية :)إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ(، فهو رجوع بالبيان إلى حال أم موسى قبل أن تضعه في الصندوق، وتلقيه في اليم إذ صعب عليها أن تباشر بنفسها إلقاء ولدها في اليم، ورأت أن احتمال هلاكه في اليم قريب من احتمال ذبحه بأيدي جنود فرعون، فجاء الربط على قلبها مانعا

---

[1] سورة الحجرات، الآية 6

[2] سورة الفيل، الآية 1

[3] سورة القصص، الآية 10

[4] الراغب الأصفهاني والمفردات مادة "فرغ"

لها من أن تظهر أمرها، وممدا لها بالثبات لتنفيذ ما أوحى الله لها به "[1] و نرى أن هذا القول أصوب لأن الله تعالى طمأن أم موسى فوعدها بقوله: (وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ(2، فهي على يقين وبصيرة مما جعلها مطمئنة عليه.

وفي قوله تعالى: (يُنَشَّؤُا۟ وَمَن فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ(3، وهذه كناية عن موصوف وهن البنات اللائي يتربين في حظوة ورعاية ورقة على خصال تضمن لهن حسن العشرة ودوامها؛ فيتعلمن كيف يأسرن قلوب أزواجهن من جمال مظهر وحلاوة منطق وحسن تدبير " فأشار بنشأتهن في الحلية إلى أنهن ناقصات فيحتجن إلى حلية يكملن بها وإنهن عيّيات فلا يبن عن حجتهن وقت الخصومة مع أن في قوله تعريضا بما وضعت له الحلية من يفترشهن ويطأهن وتعريضا بان هن لا ينشأن في الحرب والطعان والشجاعة فذكر الحلية التي هي علامة الضعف والعجز والوهن "[4]

وقال السيوطي-رحمه الله- " كنى عن النساء بأنهن ينشأن في الترفه والتزين الشاغل عن النظر في الأمور و دقيق المعاني ولو أتى بلفظ النساء لم يشعر بذلك والمراد نفي ذلك عن الملائكة".[5]

وفي قوله تعالى : (فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ (6،كناية عن معان خفية، وأخلاق زكية، فقد كنّ بهذا الوصف عن جمال نساء الجنة وكمال أخلاقهن، فقصر

---

[1] حبنكه الميداني، البلاغة العربية، ص 146

[2] سورة القصص، الآية 7

[3] سورة الزخرف، الآية 18

[4] ابن قيم االجوزية، بدائع التفسير، جمع يسري السيد محمد، ومراجعة صالح أحمد الشامي، دار ابن الجوزي، ط 1، 1427هـ، ج 2 ص 437

[5] السيوطي الإتقان في علوم القرآن، ج2 ص 47

[6] سورة الرحمن الآية 56

الطرف جمال ظاهري يوحي بطهارة النفس وعفتها وشرفها وعدم امتدادها لغير الأزواج .

وننتقل إلى وقفة أخرى عند قوله تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[1]، فهي كناية عن منعهم من الهداية عقوبة لهم وفي هذا كما قال الزركشي –رحمه الله – :" تسليّة للنبيّ – صلى الله عليه و سلم – والمعنى :لا تظن أنك مقصر في إنذارهم فإنا نحن المانعون لهم من الإيمان ، فقد جعلناهم حطبا للنار، ليقوى التذاذ المؤمن بالنعيم، كما لا تتبين لذة الصحيح إلا عند رؤية المريض"[2]، وفي الجزء الثاني من الآية كناية كذلك عن منعهم من الوصول إلى سبيل الهدى" قال ابن عباس : منعهم من الهدى لما سبق في علمه ."[3]

د- إيجاز القصر بدلالة المجاز : المجاز من قولهم "جاز الشيء يجوزه إذا تعداه وعدل عنه، فاللفظ إذا عدل به عما يوجبه أصل الوضع فهو مجاز على معنى أنهم جاوزوا به موضعه الأصلي، أو جاوز هو مكانه الذي وضع فيه أوّلا "[4]، واستعمال لفظ المجاز يؤدي من المعاني الكثيرة ما تعجز عنه ألفاظ الحقيقة، لذا يكثر اللجوء إليه بغرض الإيجاز" فالمعنى الذي استعملت العرب المجاز من أجله ميلهم إلى الاتساع في الكلام وكثرة معاني الألفاظ ليكثر الالتذاذ بها...ولذلك كثر في كلامهم حتى صار أكثر استعمالا من الحقائق ".[5]

ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَـٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾[6]، فحياة الأرض تكون بما ينزل عليها من مطر؛

---

[1] سورة يس الآيتان 8، 9

[2] الزركشي، البرهان، ج2، ص 302

[3] ابن قيم الجوزية، بدائع التفسير، ج 2 ص 358

[4] ابن قيم الجوزية، كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلوم البيان، ص 11

[5] المصدرنفسه، ص 10

[6] سورة فاطر، الآية 9

فيجلب معه الخصب والخضرة والنبات والأزهار والثمار وما ينتشر عليها من كائنات تتكاثر بوجود الكلأ وأسباب البقاء فتعم الحياة الأرض بعد أن كانت ميتة ؛ لا نبات ولا زرع ولا مرعى فيها، فكل هذه المعاني- وما تخفيه أكثر- اختصرت في هذا المجاز .

ومنه أيضا قوله تعالى :)فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا([1] ففي هذه الآية أثبت للجدار الإرادة "وليس للحائط إرادة ولا للموت ولكنه إذا كان في هذه الحال من ربه فهو إرادته.ومجاز(أن ينقض) يقع، يقال:انقضت الدار إذا انهدمت وسقطت ".[2]

وفي قوله تعالى : (هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ)[3]

فنزول الرزق من السماء بالصفة التي نعرفها مجاز وحقيقته أن الذي ينزل من السماء هو الماء؛ فالرزق الذي نأكله يمر بمراحل من نزول المطر، ونبات ونضج إلى أن يصير رزقا يؤكل مع اختلاف أنواعه، كل هذا اختصر بهذا المجاز، ولك أن تقدر كم كان يكفي من الألفاظ لأداء هذه المعاني مجتمعة.

وفي قوله تعالى : (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ سَنَدْعُ ﴿١٧﴾ ٱلزَّبَانِيَةَ)[4]، وهذا المجاز من باب إطلاق المحل وإرادة وإرادة الحال فيه، والمقصود فليدع من بداخل النادي من عشيرة وأنصار وأصدقاء وندماء مخلصين يقفون إلى جانبه في هذه الشدة، فانظر كيف أوجز كل ذلك باستعمال المحل وقصد من يحل فيه .

وفي قوله تعالى : (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا)[5]، وفي هذه الآية إشارة إلى

---

[1] سورة الكهف الآية 77

[2] أبوعبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت 210 هـ)، مجاز القرآن، تعليق د محمد فؤاد سزكين (د ط) مكتبة الخانجي مصر (د ت)، ج1، ص 411.

[3] سورة غافر الآية 13 .

[4]- سورة العلق، الآيتان 17، 18.

[5] -سورة الإسراء الآية 23.

إلى بر الوالدين والنهي المطلق عن أبسط ما يؤذي الوالدين من قول أو فعل، وكلمة (أفّ) ليست المقصودة لذاتها فحسب، وإنما لما توجزه من إظهار قلق نفسي وتعب بدني وضيق صدر لا يليق في حق الوالدين وهم في هذه المرحلة الحساسة من العمر، فهي أدنى ما يعبر والمراد العموم " وفائدة هذا المجاز التنبيه بالأخف على الأشد، وتدريب المخاطبين على أن يعملوا عقولهم في فهم النصوص ليقيسوا الأشباه والنظائر بعضها على بعض، وليعلموا أن النهي عن الإضرار أو الإيذاء الأخف يدل بداهة على ما هو أشد منه ."[1]

وفي قوله تعالى : (وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ)[2]، أي: يعصر عنبا ليصبح خمرا، فقد اختصر مراحل تحضير الخمر وهذا باعتبار المقصود من عصره العنب.

وفي قوله تعالى : (وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ)[3]، الذي يفكّ ويحلّ عادة هو الغلّ المحيط بالرقبة وليست الرقبة، فهذا من باب إطلاق اللفظ وإرادة ما جاوره، والمقصود بفك الرقبة هو تحرير الإنسان بكامله من الرق ومن قيود الاستعباد، فيصبح حرا في أقواله و أفعاله و فيما يفعله بنفسه وماله، وفي توظيف الرقبة إيجاز ثان لأنها تشمل الذكر والأنثى ودون تحديد أو تمييز .

وفي قوله تعالى : (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾)[4]، علا "أي عظم وشرف وغلب عليها وطغى"[5]، فهو يأمر جنده بذبح الأبناء واستحياء النساء والإفساد في الأرض، وإسناد الفعل له هو من باب نسبة الفعل للآمر به .

وقوله تعالى : (وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ)[6]، أي ": تنبت

---

[1]– حبنكه الميداني، البلاغة العربية .ص 278.

[2]– سورة يوسف، الآية 36.

[3]– سورة البلد، الآيتان 12، 13.

[4] سورة القصص، الآية 5

[5] أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج2، ص 97

[6] سورة المؤمنون، الآية 20

زيتونها وفيه الزيت "[1]، فذكر الدهن والمقصود الثمار التي بداخلها الزيت، وهذا من باب إطلاق الحال والمقصود محله، والذي ينبت في الأصل هو الشجرة بأوراقها وزيتونها وليس الدهن فذكر آخر شيء في العملية وهو الزيت ليختصر بذلك بقية المراحل وفي هذا كما لا يخفى إشارة إلى بركة هذه الشجرة وما تنتجه من ثمر وزيت .

وفي قوله تعالى : ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ ۝ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[2]، فنوح عليه السلام جرّب هؤلاء وأيقن أن لا فائدة ترجى منهم و لا من أبنائهم فإنهم سيصبحون عند بلوغهم كفارا كعادة آبائهم، فقد أوجز بهذا كل مراحل عمرهم وأخبر بنتيجتهم قبل ميلادهم وهذا من باب تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه.

وقوله تعالى : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ ۝ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[3]، "في بناء الفعل للمجهول تركيز للاهتمام بالحدث، بصرف النظر عن محدثه، وفي الإسناد المجازي أو المطاوعة تقرير لوقوع الأحداث في طواعية تلقائية إذ الكون كله مهيأ للقيامة على وجه التسخير."[4] كما يدل البناء للمجهول على قوة الله وعظمته وجبروته وقد سبقت الإشارة إليه في سورة هود، وفي (أخرجت) نسب الفعل للأرض، و(أثقالها) "أي ما في بطنها من كنوز وأموات "[5]واختلاف صيغة صيغة الفعل بين الآيتين يؤكد أهمية وخطورة الحدث في الفعل الأول .

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج4 ، ص223

[2] سورة نوح، الآيتان 26، 27

[3] سورة الزلزلة، الآيتان 1، 2

[4] عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني ص 81

[5] الزمخشرى، أساس البلاغة، تح عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، (د ط)، 1989 م، مادة" ثقل "

المبحث الثاني: دلالات الإشارة:

يعرّف علماء البيان الإشارة بقولهم :"أن تطلق لفظا جليّا تقصد به معنى خفيّا وذلك من ملح الكلام وجواهر النثر والنظام "[1]، وعرّفها ابن رشيق بقوله: "وهي في كل نوع من الكلام لمحة دالة، واختصار وتلويح يعرف مجملا، ومعناه بعيد من ظاهر لفظه"[2]، فالإشارة إذن هي دلالة اللفظ القليل على المعنى الخفي الكثير بطريقة مختصرة وذكية تلمح إلى المعنى دون أن تصرح به، فهي بذلك "بلاغة عجيبة تدل على بعد المرمى وفرط المقدرة، وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرز، والحاذق الماهر، ؛فمن ذلك قول زهير:

فإني لو لقيتك واتجهنا لكان لكل منكرة كفاء

فقد أشار له بقبح ما كان يصنع لو لقيه، هذا عند قدامة أفضل بيت في الإشارة "[3]

ومن أنواع الإشارات الكناية والتمثيل والتعريض والتلويح والرمز، و اللمحة، ومنها اللغز وهو أشدها خفاء وبعدا، كما عدّ ابن رشيق القيرواني من أنواع الإشارة التفخيم والإيماء قال :" فأما التفخيم فكقوله تعالى: (القارعة ما القارعة)، وقد قال كعب بن سعد الغنوي (يرثي أخاه) :

أخي ما أخي لا فاحش عند بيته ولا ورع عند اللقاء هيوب

وأما الإيماء، فكقوله تعالى : (فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ(فأمأ إليه وترك التفسير . وقال كثيّر:

تجافيت عني حين لا لي حيلة وخلّفت ما خلّفت بين الجوانح "[4]

---

[1] ابن قيم الجوزية، كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلوم البيان، ص 125

[2] ابن رشيق، العمدة، ج 1، ص 513

[3] المصدر نفسه والصفحة نفسها .

[4] –المصدر نفسه، ص 515

كما جعل ابن رشيق اللحن من قبيل الإشارة وعرّفه بقوله:" هو كلام يعرفه المخاطب بفحواه، وإن كان على غير وجهه وقال تعالى :(ولتعرفنّهم في لحن القول)[1]"[2].

والمتأمل في شواهد الإشارة يدرك أن المراد منها هو إخفاء المعنى وترك التصريح به لأغراض كثيرة يقصدها القائل ويفهمها عنه اللبيب الحذق، وهذه الظاهرة اصطلح عليها في الدرس البديعي بظاهرة الغموض وهي "ظاهرة فنّية تقتضيها سياقات خاصة وتتصل بقيّم إيمانية، أوضحها: الصبر، والتماس الحكمة، واتخاذ الحيطة و، و الإكبار أي احترام الكبير، وترك الفحش، واتقاء الظالم....والعلاقات الخاصة بين الرجل والمرأة، والعلاقات الخاصة بين الشركاء في التجارة..وكلها تتصف بالذكاء والإصابة في القول والفعل، فالإخفاء لضرورة ولحكمة "[3]

ومن أمثلة الإشارة في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ﴾[4] فهذه نهاية فرعون وجنوده لما اتبعوا موسى بعد أن أمره الله بشق طريق في البحر يبسا ولا يخاف دركا و لا يخشى فأهلكهم الله بالغشيان و الغرق، واقتضت الحكمة الربانية عدم تفصيل ما غشي فرعون و جنوده من أنواع العذاب والعقاب فقوله تعالى: (ما غشيهم) إشارة إلى أنواع وأصناف كثيرة من العذاب يحار الناس في تخيلها وإدراكها وحصرها، وهذا البعد الإيحائي يزيد من ضخامة وهول ما غشيهم ويظل خيال القاريء عبر الزمان يرسم لها صورا سرعان ما تحل محلها صورا أخرى يراها كفيلة بتصوير المشهد، فهذه العبارة مع وجازتها تعدّ من "باب الاختصار و من جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة أي :غشيهم ما لا يعلم كنهه إلاّ الله "[5]، وما يزيد من هول الموقف ما عزز الله تعالى به نبيه موسى من معجزة شق البحر و استدراج فرعون لدخوله هو وجنوده حتى تعظم العقوبة ويكون عقاب الله أشد، ولعل الإبهام الذي أحاط بنوع

---

[1] سورة محمد، الآية 30.

[2] ابن رشيق، المصدر السابق ص522.

[3] – أحمد أحمد فشل، علم البديع رؤية جديدة، دار المعارف، (د ط)، 1996 م، ص193

[4]– سورة طه، الآية، 78.

[5]– الزمخشري، الكشاف، ج 4، ص 99

العذاب هو مكمن الإشارة ومبعث التخيّل بحيث "لا يمكن أن يصل النّص إلى هذا التأثير الرائع والقدرة الإيحائية لو خصص الفاعل وحدّد وأزيل إجماله وإبهامه ...لأنه والحالة هذه سوف ينحصر في أمر معيّن و لا ينفسح للنفس مجال التوسع في أن نتخيل ما يمكن أن يوحيه النص من احتمالات ودلالات تنسجم مع سياقه "[1]

ومن المواطن الثرية بالإشارات، ما جاء في بيان ما وعد الله به عباده المتقين ؛من جنّات ونعيم مقيم، في قوله تعالى : (أَوْلِيَآؤُكُمْ نَحْنُ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ) "[2]، فهل لأحد أن يحصي ما تشتهيه الأنفس وتصبو إليه من شهوات ورغبات مادية ومعنوية خصوصا إذا كان المنعم أكرم الأكرمين ؟، وتتسع دلالة الإيحاء باتساع مدلول الآية بقوله تعالى: (وَلَكُم فِيهَا مَا تَدَّعُونَ) فهم يحظون بتلبية رغباتهم وما يتمنونه زيادة على ما يجدونه في الجنّة؛ من شهوات و خيرات حسان، وأشياء أخرى تسمو عن الماديات كالنظر لوجهه تعالى والفوز برضوانه وقربه في دار الخلد " فألمح إلى كل ما تميل النفوس إليه من الشهوات، وتلذّ الأعين من المرئيات، لتعلم أن هذا اللفظ القليل جداّ عبّر عن معان كثيرة لا تنحصر "[3]

ومثله قوله تعالى : (وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ)[4]، فقد أشارت إلى نعم كثيرة وملاذ وفيرة وفيها إشارة إلى كمال المتعة من اقتران شهوة النفس بلذة العين مع الخلود.

وفي قوله تعالى : (لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ)[5] ففي هذه الآية الكريمة إشارة إلى براءة وطهارة السيدة عائشة – رضي الله عنها– مما نسب

---

[1] مجيد عبد المجيد ناجي، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1984 م ص130

[2] – سورة فصلت آية :31

[3]– ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير، ص 202

[4] – سورة الزخرف الأية 71

[5]- سورة النور الآية 12

إليها كذبا و زورا فيما عرف بحادثة الإفك واكتفى بوصف القصة بالإفك و لم يصرح بذكر اسم السيدة عائشة توقيرا لها على أن يقترن ذكرها بهذا الإفك فالآية "تدل على براءة الصدّيقة بأبلغ وجه وأعظمه مع تأديب وتعليم لكل من سمع خبرا أوأتته وشاية عن أحد حيث إن المقام هنا مقام تنزيه الطاهرة أم المؤمنين فكان ينبغي أن يقال : لولا إذ سمعتموه كذبتموه أو استبعدتموه أو نحو ذلك "[1]

وفي قوله تعالى : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾[2]، ففي الآية الكريمة إشارة إلى أن هذه النعم خالصة لعباد الله المؤمنين لا يشاركهم الكافرون فيها كما هو الحال في الدنيا .

وفي قوله تعالى : ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾[3]، "أشار سبحانه إلى عدم اكتمال إيمانه حيث إن العتو والكبر حملاه أن جعل بني إسرائيل بمنزلة الإناث "[4]، ففرعون لكفره وعناده اعتبر الإيمان دليل خوف وضعف فوصف هؤلاء المؤمنين بالإناث حيث قال :)ءَامَنَتْ)وفيه إشارة أخرى إلى احتقار فرعون لقومه وتقليله من شأنهم لما آمنوا.

وفي قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ﴾[5]إشارة إلى بلوغهم حد اليأس في البحث عن أخيهم بعد أن استنفدوا جهودهم في ذلك وفي قوله (نجيا) إشارة إلى تشاورهم وتناجيهم

---

[1]– محمد أبو اليسر عابدين، الإيجاز في آيات الإعجاز، تح : محمد كريم راجح، دار البشائر للطباعة والنشر، ط1، 1994 م، ص 192

[2] – سورة الأعراف الآية 32

[3] – سورة يونس الآية 92

[4] – أبو اليسر عابدين المرجع نفسه ص175

[5] – سورة يوسف الآية 80

حول الموضوع، "وأفرد نجيا لصلوحه للمفرد والجمع، إشارة إلى توحيد كلمتهم في ما يقولون "[1]، وتفضيل المفرد هو دليل الإشارة فانظر إلى دقتها وشدة خفائها .

وفي قوله تعالى: (وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ [2]) في ذكر" الواو" هنا إشارة إلى الجنة وعدد أبوابه فالواو كما هو مقرر هي واو الثمانية فانظر كيف أشار بحرف واحد إلى كلام كثير .

وفي قوله تعالى : (فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ)[3]، إشارة إلى عفتهن وحسن أدبهن وبعدهن عن الخيانة وقناعتهن بأزواجهن فلا تمتد أعينهن إلى ما حرم الله، "وقصور الطرف في الأصل موضوعه العفاف على جهة التوابع والإرداف ...وذلك أن المرأة إذا عفت قصرت طرفها على زوجها ..فكان قصور الطرف ردفا للعفاف و العفاف ردف و تابع لقصور الطرف "[4]

وفي قوله تعالى : (فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾ [5] ، "ما أوحى :أي من الأمور العجيبة التي لا لا تفي بها العبارة"[6]، وفي إبهام الموحى به إشارات كثيرة لا يمكن الجزم بها، " وقال سعيد بن جبير الذي أوحي إليه هو: (أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴿١﴾ (، وقيل: أوحى إليه أن الجنة حرام على الأنبياء ، حتى تدخلها، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك ." [7]

---

[1] -محمد أبو اليسر عابدين المصدر نفسه ص 184

[2] سورة الزمر الآية 73

[3] سورة الرحمن الآية 56

[4] أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين ص 385

[5] سورة النجم الآية 10

[6] محمد الأمين الأرمي العلوي الهرري، تفسير حدائف الروح والريحان، ج 28، ص111

[7] المصدر نفسه ص 111، 112

وفي قوله تعالى : ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾[1]، إشارة إلى تكريم الإنسان وتخصيصه بالعلم دون سائر المخلوقات ويكمن الإيجاز في اتساع دلالة (ما لم يعلم) حيث تشمل كل ما منّ الله به على البشر؛ من علوم مختلفة، ومعارف شتى عبر العصور والأزمنة "فيتسع الإطلاق لكل ما كسب الإنسان ويكسب من العلم، وهو الذي استأثر بشرف العلم الكسبي واختص به دون غيره من الكائنات "[2]، فإن الإيحاء في هذه الآية لا حصر له تشمل كل ما جهله الإنسان قبل أن يعلّمه الله إياه لقوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٧٨﴾[3]، ونفي العلم مطلقا عن الإنسان يثبت كون العلم كله من الله ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٣١﴾[4]، وقوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ۝١١٣﴾[5]، فأصل العلم من الله وكل زيادة تحصل فيه فبمنّه وعطائه وتوفيقه، وهو الذي زوّد الإنسان بالعقل والسمع والبصر وكل أدوات التعلم، "فكل علم في الذهن فبتعليمه حصل وكل لفظ في اللسان أوخط في البنان فبإقداره وخلقه وتعليمه، وهذا من آيات قدرته وبراهين حكمته لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ."[6]

ومن الشواهد القرآنية المفعمة بالإيحاءات والإشارات الخفيّة التي يذهب الذهن في تقديرها كل مذهب – وأنى له أن يحيط بها– ما جاء في ذكر نعم الله –عز وجل– على رسوله صلى عليه

---

[1] سورة العلق الآية 5

[2] عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني، ج2 ، ص24

[3] سورة النحل، الآية 78

[4] سورةالبقرة ، الآية 31 .

[5] سورة النساء، الآية 113 .

[6] ابن قيّم الجوزية ، الضوء المنير على التفسير، جمع: علي الحمد المحمد الصالحي (د ت) مكتبة دار السلام، (د ط, دت)ج 6، ص417.

وسلم وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝﴾[1]، فقد تعدّدت الأقوال في وصف وتحديد هذا العطاء فمن قائل:" أعطاه في الجنة ألف قصر في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم "، وقيل :" إن ذلك في الآخرة يعطيه حيى يرضيه في أمته، وفي ما أعده له من الكرامة ، ومن جملته نهر الكوثر الذي حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف وطينه مسك أذفر "[2] وفي قول "تعني الشفاعة، ونقل عن ابن عباس : من رضا محمد أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار."[3] والقائلون بهذه الأقوال يعتقدون أنهم بهذه التوصيفات يؤدون المراد، والأمر عكس ذلك فإن التحديد يضيّق المعنى ويقلل من العطية، كما أن التخصيص يحتاج إلى دليل بالإضافة إلى كون السياق يفيد العموم، " وهو أن يعطيه فيرضى وهذا يعمّ ما يعطيه من القرآن، والهدى، والنصر وكثرة الأتباع، ورفع ذكره وإعلاء كلمته، وما يعطيه بعد مماته وما يعطيه في موقف القيامة ، وما يعطيه في الجنة."[4] فالآية تتسع إلى كل ما منّ به الله سبحانه على حبيبه – صلى الله عليه وسلم – من عطايا عطايا حتى يصل إلى غاية الرضا، وفي استعمال(سوف) إشارة إلى استمرار العطاء في المستقبل وهذا زيادة في شرفه ومكانته –صلى عليه وسلم– و ردا على الذين قالوا إن محمدا هجره ربه ، "والبيان إنما يتسق هنا ويتكامل بلفظ (سوف) إيناسا للرسول المصطفى بأنه كان وسوف يظل موضع عناية ربه :في أمسه وغده، في أولاه وأخراه ... "[5]ولا زال ذكره خالدا في النفوس ورسالته ورسالته تستهوي القلوب، فهذه الآية على إيجازها أوحت بمعاني كثيرة لايدرك حقيقتها إلا الله وحده.

وفي قوله تعالى :﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ وَحُصِّلَ ۝ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝﴾[6]، تأتي حصّل

---

[1] سورة الضحى، الآية 5

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج14 ص383

[3] المصدرنفسه، ص384

[4] ابن قيّم الجوزية، المصدر نفسه، ج 6، ص396.

[5] عائشة عبد الرحمن، المصدر السابق ، ج 1، ص 41

[6] سورة العاديات ، الآيتان 9، 10

في اللغة من:" حصل تراب المعدن : ميز الذهب منه وخلصه"[1]إشارة إلى جمع الأعمال وتمييزها، والتحصيل لما في الصدور إيذان بكشف المستور وإظهار المطوي المضمر " والإشارة إلى الصدر لعلها إشارة إلى القلب أيضا فما ينويه الإنسان وما يضمره من خير أو شر أو إيمان أو نفاق محله الصدر ولما كان محل التحصيل الصدر كان الشيطان حريصا على الوسوسة فيه لقوله تعالى : (ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ) [2].

وفي قوله تعالى : (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا [3]، وفي هذه الآية إشارة إلى بر الوالدين والنهي المطلق عن أبسط ما يؤذي الوالدين من قول أو فعل، وكلمة (أفٍ) ليست المقصودة لذاتها فحسب، وإنما لما توجزه من إظهار قلق نفسي، وتعب بدني، وضيق صدر لا يليق في حق الوالدين وهم في هذه المرحلة الحساسة من العمر، فهي أدنى ما يعبر به والمراد العموم "وفائدة هذا المجاز التنبيه بالأخف على الأشد، وتدريب المخاطبين على أن يعملوا عقولهم في فهم النصوص ليقيسوا الأشباه والنظائر بعضها على بعض، وليعلموا أن النهي عن الإضرار أو الإيذاء الأخف يدل بداهة على ما هو أشد منه ."[4]

ومن أنواع الإشارة التعريض ومنه قوله تعالى:إِنَّكَ (ذُقۡ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ [5]؛ "أي الذي كان يقال له هذا، أو يقوله، وهو أبو جهل ؛ لأنه قال :"ما بين جبليها –يعني مكة – أعز مني ولا أكرم"[6]

وفي الإشارة إليه دون ذكر اسمه حطّ من قيمته إذ كان يعتبر نفسه من سادة القوم ومخاطبته

---

[1] الزمخشري، أساس البلاغة، مادة" حصل "

[2] سورة الناس، الآيتان 5، 6

[3] سورة الإسراء، الآية 23

[4]–حبنكه الميداني، البلاغة العربية .ص 278

[5]- سورة الدخان الآية 49

[6] ابن رشيق العمدة، ج 1، ص 517

بأنه العزيز الكريم من باب التهكم والاستهزاء فهل حاله هذه تدل على أنه كريم عزيز؟.

وفي قوله تعالى : (وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ)[1]، قيل إشارة إلى "النساء لأن المراة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الأرائك ويدل عليه قوله تعالى في الآية الموالية : (إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً (، ولا يخفى ما في هذه الإشارة من أدب رفيع يحفظ كرامة المرأة وعزّتها.

[1] سورة الواقعة، الآية 34

المبحث الثالث : دلالات الإيحاء :

تمتاز المفردة القرآنية بقدرتها على الإيحاء بمعان كثيرة فهي تجعل القارئ لا يقف عند ظاهرها بل تفرض عليه الغوص في معانيها الباطنية و أن يجول بمخيلته في فضاءاتها الدلالية المختلفة فيكتشف ما تخفيه من أبعاد وأسرار، وهذا ما يجعلها حيّة أبدا لأن القارئ يفاجأ كل مرة بمعنى جديد، وأفق يتسع كلما كانت القراءة عميقة ومتبصّرة "والأديب البليغ هو من يستنفد ما للألفاظ من معان، أضفاها عليها الزمان فتثير في النفس أعمق الإحساسات، وتملأ الخيال بشتى الصّور ."[1]

ونتناول في هذا المبحث بعض المفردات التي جاءت على صيّغ صرفية معيّنة ونربط هذا بالدلالات والإيحاءات الكامنة وراء تفضيل هذه الصيغة عن غيرها، ونعتمد في ذلك على معاني الصيغة الواردة في فصيح كلام العرب كما نستثمر البعد الإيحائي للمفردة كالبعد النفسي والبعد الديني بأبعاده المختلفة، والأمثلة على ذلك في القرآن كثيرة منها :

قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢﴾[2]، فقد اجتمعت ألفاظ كثيرة وهي (زلزلة، شيء عظيم، تذهل، مرضعة ، تضع، سكارى) لتوحي بهول قيام الساعة وشدة الموقف الذي يفوق قدرة البشر؛ حيث تذهب منه العقول وتشرد الأذهان، وتسقط الحامل جنينها دون تمام، وتنعدم وقته المشاعر والعواطف ، فهل لك أن تتخيل أمًا تتخلى عن ولدها ناهيك عن كونها مرضعة؟، وقد أبدع الزمخشري –رحمه الله– في تبيين سّر اختيار التأنيث هنا فقال :"فإن قلت : لم قيل مرضعة دون مرضع، قلت :المرضعة هي التي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي و المرضع التي من شأنها أن ترضع، وإن لم تباشر

---

[1]– أحمد أحمد بدوي، من بلاغة الكلمة، مكتبة نهضة مصر، (د ط)، 2005 م، ص 11، 12

[2]– سورة الحج، الآيتان 1، 2

الإرضاع في حال وصفها به، فقيل :مرضعة، ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه، وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة"[1]وهذه المفردات في مجملها تصوّر حركات مادية مع ما تحدثه من تأثيرات نفسية، فالذهول مثلا :"هو الذهاب عن الأمر مع دهشة"[2]، ومنظر الناس وهم سكارى بغير سكر يكشف عن نفسيات مختلة، "ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وطيّر تمييزهم وردّهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه "[3] ويستمر الإيحاء بما تثيره هذه المشاهد من تصورات وحالات من الحيرة والتفكر والخوف تدفع المؤمن بالعودة إلى تقوى الله ليأمن هذا الشيء العظيم .

وفي قوله تعالى : ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [4]، و(كظيم) من ":كظم الغيظ حبسه، ومنه كظم البعير إذا ترك الإجترار"[5]، وجاء في لسان العرب: "كظم الرجل غيظه إذا اجترعه أي :ردّه وحبسه"[6] وهي توحي بما تختزنه أنفس هؤلاء من كره وبغض شديدين للأنثى يخفي تحته خوفا من الفقر، وما قد تلحقه من عار، كما تدل على حبهم الشديد للذكور ؛إذ يعتبر الولد المعين على تحصيل الرزق والمدافع عن العرض والحمى .والفارس في ساحات الوغى .

ويجتمع في هذه الآية الإيحاء النفسي مع الإيحاء الحسّي فسواد الوجه يكشف ويترجم الغمّ والكظم المخبوء في أعماق النفس، "فمن حالهم أن أحدهم إذا قيل له:قد ولدت لك بنت، اغتم واربدّ وجهه غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب "[7]، وصيغة المبالغة في كظيم توحي أيضا بهذه

---

[1] –الزمخشري، الكشاف، ج 4، ص173، 174

[2] –المصدر نفسه، ص 174.

[3] –المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[4] – سورة الزخرف، الآية 17

[5] –الراغب، المفردات، مادة "كظم"

[6] –ابن منظور، لسان العرب، مادة "كظم"

[7] – الزمخشري، المصدر نفسه، ج5، ص 432

الحسرة الشديدة التي تلازم أحدهم عندما يخيب أمله من فوات الولد الذكر . فهذه الآية على إيجازها شخصت حالة نفسية، وفضحت وضعية ثقافية، وعرفا اجتماعيا فاسدا أملته الظروف الاقتصادية والاجتماعية.

وفي قوله تعالى : ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [1]، فكلمة جاثية تعني :"جالسة على الركب "[2]، وهذه الهيئة توحي بما تكون عليه الأمم يوم القيامة من خوف وذلّ وانكسار، وخشوع وسكون مطبق، وجوّ تملؤه المهابة والحيرة، والتفكّر في المصير، فهذه المعاني والإيحاءات مستفادة من وضعية الجلوس التي يفرضها هول ذلك اليوم .

ونظير هذا في قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝﴾ [3]، " فالمجرمون ينقطعون في الحجة انقطاع يئسين من رحمة الله، والمبلس الساكت المنقطع في حجته، اليائس من أن يهتدي إليها، تقول: ناظرت فلانا فأبلس أي انقطع وأمسك ويئس من أن يحتج "[4] ، لا أعتقد أن لفظة أخرى يمكن أن تنوب هذه اللفظة هنا فهؤلاء المجرمون ما عساهم أن يقولوا، وقد رأوا ذنوبهم محضرة أمامهم، وجوارحهم شاهدة عليهم؟، فهم واجمون صامتون حائرون لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا الدفاع عنها، "فهذه الصورة بحالتها النفسية الواسعة، تنطق بحقيقتها لفظة (يبلس) حيث الاستسلام، وأن ليس هناك محيص من الفرار، إنها تنطق بحركة نفسية، صامتة ، مباغتة ، مبكتة ."[5]

وتتجلى قوة الإيحاء في القوة التعبيرية الكامنة في المفردة كما في قوله تعالى : ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝﴾[6]. فلفظة أحصنت ثرية بما يكفي

---

[1] –سورة الجاثية ، الآية 28 .

[2] –الزمخشري، الكشاف، ج 4، ص 435.

[3] – سورة الروم، الآية 12.

[4] – الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ، ج4، ص179.

[5] – عمر السلامي، الإعجاز الفني في القرآن، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس ، (د ط)، 1980 م، ص95

[6] – سورة الأنبياء الآية 91 .

لتحقيق المعاني المرادة، وهي من :"امرأة حصان وحاصن، ويقال حصان للعفيفة ولذات حرمة "[1]، بمعنى المرأة المتعففة الحاصنة فرجها ، وهي توحي بأن فرجها محميّ ومحروس ويمتنع الوصول إليه كالحصن المنيع، وهو في غاية الطهارة والعفة، وفي هذا قطع لكل ما أثير حولها من افتراءات واتهامات، ولو تخيّرت مكان أحصنت لفظا آخر ك (حمت أو حفظت)، فمدلولات هذه الألفاظ آنية، خلاف الحصن فإنه يختار له الموقع المنيع، ولا تغفل عن حراسته أعين الجند، مما يوحي أن مريم ابنة عمران أعدّت لهذا الأمر العظيم، فلفظة أحصنت جمعت "إحصانا كليا من الحلال والحرام "[2]، كما قالت)أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠([3]

وفي قوله تعالى : (يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ([4]، توحي الآية بعظمة الخالق الذي خضع له كل شيء، كما توحي بسعة جهنم وقوتها ولك أن تتخيل بقية الإيحاءات ؛ من أناس يتعذبون بما لا يعلم وصفه وشدته إلا الله، ونار غاضبة متأججة شرهة لم تشبع بل تطلب الزيادة، " وطلب جهنم الزيادة يجوز أن يكون استكثارا للداخلين فيها و استبعادا للزيادة عليهم لفرط كثرتهم، أو طلبا للزيادة غيضا على العصاة"[5].

وفي قوله تعالى : (لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ وَأَنتَ ١ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٢([6]، الملفت للانتباه في هذه الآية هو استعمال صيغة (حلّ) و لم يقل وأنت حال أو أنت مقيم، وهذه الصيغة قصدت في الاستعمال دون غيرها لاحتوائها دلالات عديدة اجتهد المفسرون في تحديد المراد منها ونحن نكتفي بالتر القليل فمنها :أنها تأتي بمعنى الحال والمقيم والمقصود هو تعظيم مكة " فالله تعالى

---

[1]– الراغب الأصفهاني، المفردات، مادة "حصن" .

[2] الزمخشري، الكشاف ج 4، ص 163.

[3] سورة مريم، الآية 20.

[4] سورة ق، الآية 30.

[5] الزمخشري، المصدر نفسه، ج 5، ص 602.

[6] سورة البلد، الآيتان 1، 2 .

أقسم بها لما جمعت من الشرفين شرفها بإضافتها إلى الله تعالى، وشرفها بحضور رسول الله صلى الله عليه وسلم وإقامته فيها فصارت أهلا ليقسم بها "[1]، ومن معاني الحل أنها تأتي بمعنى اسم المفعول :أي مستحل فعلى هذا يكون المعنى : وأنت مستحل قتلك لا تراعى حرمتك في هذا البلد الحرام الذي يأمن فيه الناس على دمائهم وأموالهم والذي يأمن فيه الطير والوحش "[2]

وقيل :" وأنت حل بهذا البلد مما يقترفه أهله من المآثم متحرّج بريء منها "[3] والمعاني المتكاثرة لهذه اللفظة ترجع كلها لهذه الصيغة فلو قال : حال أو مقيم لما أوحت كل هذه الإيحاءات الكثيرة؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم حال بها وحلّ و بريء مما يفعله أصحابها، وكان دمه حلال عند كفارها، بل جعلوا لمن يقتله مالا كثيرا، فتأمل كيف أوجزت هذه الصيغة كل هذه المعاني والأبعاد .

هذا وقد يساهم الجانب الإيقاعي الصوتي للّفظة في إحداث دلالات و إيحاءات هي ما يمكن أن نسميه بالإيحاء بالجرس، فكثيرة هي المفردات القرآنية التي أغنت بجرسها عن المعنى اللغوي المعهود لها، ذلك أن للجرس إيحاء يسهم في توضيح دلالاتها و إظهار أبعادها وهذا راجع " لأصوات الحروف التي تأتي على سمت الأحداث المعبر بها عنها "كقولهم خضم و قضم فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والغثاء والقضم للصلب اليابس نحو قضمت الدابة شعيرها، وفي الخبر قد يدرك الخضم بالقضم أي قد يدرك الر خاء بالشدة، واللين بالشظف وعليه قول أبي الدرداء : (يخضمون ونقضم، والموعد الله) فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتها لليابس حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث، ومن ذلك قولهم : النضح للماء ونحوه والنضخ أقوى من النضح ؛ قال الله سبحانه : ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾، فجعلوا الخاء –لرقتها — للماء الضعيف و الخاء —لغلظها– لما هو أقوى منه "[4]، " فالجرس هو موافقة الأصوات لما يقابلها من أحداث وحركات صيغت محاكاة لها "ونحن لا ينبغي أن ننظر إلى الجرس في ذاته لأن العبرة بأهميته

[1] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج 8، ص 470.

[2] – فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار، ط3، 2003م، ص245

[3] – الألوسي، روح المعاني، ج 30، ص 134

[4] - أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، (د ط، د ت)، ج 2، ص 157، 158

في الإشعار بالحدث وتصويره للنفس عن طريق حكاية صوته ولذا فكثيرا ما يرتبط الجرس بالإيحاء"[1]، "والبلاغة لا تعتد بالجرس- على قيمته – إلا عندما يؤدي دورا فعالا في تحقيق الغرض من الكلام عن طريق تهيئة النفس وإثارة الخيال نحو المراد فتتلقاه النفس مقبولا كتلقي من لها به إلف ومودة "[2],ولعل من بلاغة الجرس أنه يشترك في إدراك مراده المتعلم وغير المتعلم سواء فهم المراد من اللفظ أو لم يفهم فيتحقق بذلك الغرض ويفهمه الجميع .

والمراد من استعمال هذه الألفاظ ذات الجرس القوي ليس الجرس في حد ذاته وإنما ما يبعثه هذا الوزن والجرس من إيحاءات وما يعطيه من إشارات، ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى : (فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾[3] "أي: أهلكهم وأزعجهم وقيل الدمدمة حكاية صوت الهرة ومنه دمدم فلان في كلامه، وتقول للشيء يدفن دمدمت عليه :أي سويت عليه فيجوز أن يكون معنى فدمدم عليهم فسوى عليهم الأرض بأن أهلكهم فجعلهم تحت التراب "[4]، وعند التأمل في جرس دمدم نجده يحدث اهتزازا وضغطا في الفم يعقبهما تخيل حركة هذا الفعل وما يمكن أن تكون عليه الدمدمة في الواقع دون أن ننسى أن المدمدم هو الله، فهي توحي بشدة هول ما حدث بالقوم و بقدرة الله تعالى، كما توحي بشناعة ما كانوا عليه من طغيان وعصيان استحقوا به هذه الدمدمة التي كانت نتيجتها في قوله تعالى (فسواها) أي فسوى عليهم الأرض، فقوة الجرس في دمدم كفيلة بتخيّل شدة غضب الله تعالى، و قوته وقدرته على الانتقام بأعتى أنواع العذاب، ولو تخيرت ما شئت من المفردات فلن تحصل على هذه الإيحاءات مجتمعة ، لأن جرس دمدم يوجز ويختزن في بنائه هذه المعاني وغيرها مما لا يعلمه إلا الله .

ومنها أيضا قوله تعالى : (فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾[5]، "

---

[1] – محمد إبراهيم شادي، البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، الشركة الإسلامية للإنتاج والتوزيع والإعلان، الرسالة، ط1، 1988 م، ص 28

[2] – المرجع نفسه، ص 30.

[3] – سورة الشمس، الآية 14.

[4] – الرازي، التفسير الكبير، ج31 ص، 196.

[5] – سورة الشعراء، الآيتان 94، 95.

الكبكبة تكرير الكبّ، وجعل التكرير في اللفظ تكريرا في المعنى، كأنه :إذا ألقي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها كأني بكلمة (كبكبوا) تصّور بجرسها المتولد عن تكرار الحرفين (كب) حركة الدوران والتقلب في دركات جهنم ألا ترى أن الماء وهو يحدث الصوت يتدفق إلى الأرض بشدة مما يوحي إلى شدة المعاملة التي يتلقاها هؤلاء ثم إن الماء الذي يدفّق عادة هو الماء الذي لا قيمة له كأن يكون قذرا أو نجسا مما يعكس قدر وقيمة هؤلاء ألا ترى أن الماء إذا كان عذبا طاهرا صبّ بعناية في أواني تليق به .

قال سيد قطب عن كلمة كبكبوا :"وإنك لتسمع من جرس اللفظ صوت دفعهم وسقوطهم بلا انتظام، وصوت الدبدبة الناشيء من الكبكبة كما ينهار الجرف فتتبعه الحروف فهو لفظ مصور بجرسه لمعناه"[1].

كما يعتبر الدكتور سعيد رمضان البوطي من أكبر المهتمين بهذا النوع من الدراسة الصوتية فهو يعتبر هذا النوع من البناء أحد مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم :"فإذا تأملت في الكلمات التي تتألف منها الجملة القرآنية رأيتها تمتاز بجمال توقيعها في السمع، وباتساقها الغريب مع المعنى حتى لكأنك تشتم منها رائحة المعنى المطلوب، أو لكأنّ فيها إشراقا تلمح فيه صورة المعنى أمام عينيك، ومن أمثلته على ذلك قوله تعالى: (ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا)[2]، قال عنها :"أفلا تبصر وأنت تقرأ كلمة(أغطش)منتبها إلى طبيعة حروفها ووقعها في أذنك، أنها تقدم لك المعنى في تلافيف حروفها قبل أن تقدمه لك في معناها المحفوظ"[3].

و من ذلك قوله تعالى في سورة طه : (قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ٧١)[4]، وفي هذه الآية يظهر غضب فرعون على بني إسرائيل كما يكشف عن فنون

[1] – سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 1956م، ص 114

[2] –سورة النازعات، الآيات من 27- 29

[3] – محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، مكتبة الفارابي، دمشق، ط5، 1977 م، ص 175، 177 (بتصرف)

[4] - سورة طه الآية 71

العذاب التي اختارها لتعذيبهم ففي استعمال صيغة (لأفعلنّ) بما فيها من تشديد وثقل في النطق ونبرة قوية ختمت بها المفردة توحي بشدة هذا الوعيد وثقل العذاب المسلط عليهم وصيغة (فعّل) تفيد التكثير تقول :قطّع اللحم إذا جعله قطعا كثيرة فهي تجسم هذا العذاب وتصور كيفيته ويزيد الوعيد خطورة باستعمال (أشد) و(أبقى) وبها يعبّر عن قوته وقدرته عليهم وهي صيغة تفضيل فهو يتوعّدهم بالهلاك بالعذاب الشديد لأنه في نظره هو ربهم الأعلى وفي هذا كله كشف لنفسية فرعون الذي كان مملوء بجنون العظمة والكبرياء والتجبر وادعاء الألوهية.

وفي قوله تعالى : ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤﴾ [1]، وفيها يتوعد الله سبحانه هذا الكافر الذي اعتدّ بماله وأعرض عن الإيمان بنار جهنم، واستعمال صيغة (لينبذنّ) بما فيها من تشديد ورنة قوية، ودخول لام التوكيد على الفعل المضارع كل هذا يجسد شدة وقوة هذا العذاب ، والتعبير ب(لينبذنّ) له دلالات كبيرة فتقول:" نبذ الشيء من يده : طرحه ورمى به "[2]، فهذا المنبوذ يرمى في جهنم أشد ما يكون الرمي والطرح، والرمي يكون عادة لما لا حاجة به أو لا قيمة له، وهذا يوحي بغضب الله تعالى على هذا الكافر التافه والمكروه الذي لا يصلح إلا حطاما لجهنم، وفي استعمال الحطمة دلالة أخرى :"فالحطم كسر الشيء مثل الهشم، والحطام ما يتكسر من اليبس"[3]، وفيه إشارة إلى ما يؤول إليه حال الكافر في النار، فاختيار هذه المفردة يوحي بشدة العذاب الذي تيبس منه الأجساد وتتكسّر.

وفي قوله تعالى : ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ۝١٧﴾ [4] اختيرت صيغة البناء للمجهول للإخبار عن حال الإنسان من كفر وإعراض وتطاول وتجاهل لما أمر به، وكفران كامل لما أنعم الله به عليه ، و لم هذا مقصودا وحده بل فيها، " دعاء عليه وهي من أشنع دعواتهم، لأن القتل غاية شدائد الدنيا وما أكفره تعجب من إفراطه في كفران نعمة الله "[5] كما توحي بغضب الله تعالى على

[1] سورة الهمزة الآية 4

[2] – الزمخشري، أساس البلاغة، مادة" نبذ "

[3] – الراغب، المفردات، مادة "حطم "

[4] سورة عبس، الآية 17

[5] الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج 31، ص 60

الكافر الذي استوجب الدعاء عليه .

وفي التعبير ب (ما أكفره) إشارة إلى تناهي الكافر في كفره من كفر وجود الله ووحدانيته إلى جحود النعم وغيرها من أنواع الكفر المختلفة .

وفي قوله تعالى : ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ مَآ ۝ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝﴾[1]، فتبّت من التبّ و تعني : "الاستمرار في الخسران، وتبّت يدا أبي لهب أي استمرت في خسرانه"[2]، فالخسارة كما هو معلوم لن تفارقه فهذا خبر قطعي من الله وقد أكد الفعل بمثله و (تبّ)" أي وكان ذلك وحصل، لكن لماذا خاطب الله أبا لهب بالكنية، والكنية تكرمة قلت فيه ثلاثة أوجه : أن يكون مشتهرا بالكنية دون الاسم والثاني أنه كان اسمه عبد العزّى فعدل عنه إلى كنيته، والثالث :أنه لما كان من أهل النار ومآله إلى نار ذات لهب وافقت حال كنيته فكان جديرا بأن يذكر بها "[3]

ولعل الخسران الدائم في الدنيا والآخرة الذي تعبر عنه لفظة "تبّ "ليس له من مآل إلا النار ذات اللهب .وليس من لفظ يمكن أن يعوض أو ينوب هذه اللفظة فهي توحي بغضب الله تعالى على هذا الطاغية وما أعده له من نار ذات لهب، وفي نسبة التبّ لليد إشارة إلى ماكان قد فعله أبو لهب من أعمال عدائية ضد النبي صلى عليه وسلم والإسلام فاليد هي من يباشر التنفيذ .

وفي قوله تعالى : ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝﴾[4]، فالدع "الدفع الشديد وأصله أن يقال للعاثر دع دع"[5]وفيها وصف للقسوة و سوء المعاملة التي تصل إلى حد الدفع الشديد وربما الضرب والشتم مما يوحي بالتعالي والكبر والدناءة، وهذا ناتج عن تكذيبه بالجزاء فلو " آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشي الله تعالى وعقابه، ولم يقدم على ذلك فحين أقدم

---

[1] سورة المسد، الآيتان 1، 2

[2] الراغب، المصدر نفسه، مادة "تب "

[3] الزمخشري، الكشاف، ج 6، ص 455، 456، بتصرف(

[4] سورة الماعون ، الآيتان 1، 2

[5] الراغب، المصدر السابق، مادة "دع "

على ذلك : علم أنه مكذّب "[1] فتأمل كيف ربط سوء المعاملة بانعدام الإيمان فالإيمان بالجزاء يدفع المرء لفعل الخير لأنه يعلم يقينا أنه محاسب على أفعاله إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، والتضعيف في (يكذبّ) يفيد استغراق وقت أطول من كذب وهذا يوحي باستمرار الرجل في تكذيبه بالدين وإكثاره في ذلك.

ومن أعظم الدلائل على عناية القرآن الكريم بالجرس لأبعاد إيحائية ابتكاره لصيّغ جديدة " جاءت مناسبة للمعنى الديني الجديد على المفاهيم العربية "[2] ؛كأسماء اليوم الآخر فمن أسمائه الحاقة، والقارعة والواقعة والصّاخّة والطامّة، فهي مشتقة من أفعال عربية معروفة إلا أن الصيغة التي جاءت عليها تؤثر في الأذن بشدة وتبعث في النفس الخوف والفزع وتدفعه إلى التفكر في هذا اليوم وأهواله واستحضار قدرة الله وعظمته ومن ثم الإنابة والرجوع إليه .

وهذه الأسماء كما ترى جمعت بين المد الطويل، والحروف القوية كحروف الاستعلاء من قاف وصاد وطاء، بالإضافة إلى التضعيف كما في الحاقّة والصّاخّة والطامة، وهذه العوامل الثلاثة تحدث في النفس هزة وفي الأذن رنة، يقول الدكتور محمد المبارك عن كلمة الحاقة " هي الكلمة الجديدة التي تعبر هنا عن يوم القيامة و الحساب، وتتكرر فيها هذه القاف المشددة التي تقرع السمع قرعا، والمسبوقة بالمد الطويل الممهد لها، والمبرز لشدتها، والمختومة بالهاء التي تنطفىء عندها شدتها "[3].

ويقول سيد قطب في تفسير قوله تعالى :(فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ([4] "والطامة لفظة مصورة بجرسها لمعناها، فهي تطمّو تعمّوتطغى على السماء المبنيّة والأرض المدحورة " [5]ويقول عن الحاقة :"الرنة المدوية في القاف، والهاء الساكنة بعدها سواء أكانت تاء مربوطة يوقف عليها

---

[1] الزمخشري، المصدر نفسه، ص 440

[2]– أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والنفسير ، دار المكتبي، ط1، 1994 م، ص 217

[3] – المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[4] سورة النازعات، الآية 34

[5] سيد قطب، مشاهد القيامة، ص 189

بالسكون، أو هاء للسكت مزيدة لتنسيق الإيقاع "، ولعل غرابة الصيغة في هذه الأسماء وما حوته من شدة وثقل في النطق ناتجين عن المدود الطويلة والتضعيف الذي لحق بعض الحروف إضافة إلى طبيعة الحروف المستعملة كالطاء والقاف والصاد والخاء وهي حروف الاستعلاء تمتاز بالقوة والتفخيم يوحي بشدة هذا اليوم وطوله وثقله وهذه الأسماء بجرسها تعطي إيحاءات وإشارات متعددة حول خصوصية يوم القيامة وشدة وغرابة أهواله .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خـــاتمـــة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن دراسة ظاهرة الإيجاز بالقصر في القرآن الكريم وبالأخص في السور المكية ممتعة وثرية ولا يمكن أن تستوفي حقها مهما تعاقبت الأجيال وتعددت الدراسات فسيظل القرآن زاخرا بمكنوناته مبهرا بعطاءاته فهو الكتاب الوحيد الذي لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي صلاحيته، وقد توصلت من خلال هذا البحث المتواضع إلى النتائج الآتية :

1-أن الإيجاز بنوعيه وارد في اللغة العربية، وفي القرآن الكريم، وفي الأحاديث النبوية الشريفة.

2-يظهر الإيجاز ويتحقق في كل جوانب الحياة الأدبية والاقتصادية والسلوكية وهو مقصد شرعي.

3-ورود الإيجاز في القرآن الكريم جريا على سنن العرب وتحديا لهم وهم أرباب الفصاحة والبيان .

4-يقابل الإيجاز في البلاغة النبوية ما أوتيه النبي صلى الله عليه وسلم من جوامع الكلم التي ظهرت في البيان النبوي من تشبيهات، واستعارات، وكنايات، ومجازات، وإشارات؛ مادية ومعنوية .

5- كثرة الإيجاز في السور المكية على وجه الخصوص ؛أمر اقتضته المرحلة الأولى للدعوة الإسلامية، وكذا طبيعة المجتمع المكي، فهو دليل إعجاز لا دليل عجز كما يروّج خصوم القرآن، فقد ثبت التحدي وانتفت المعارضة .

6- يظهر الإيجاز في أشكال مختلفة كظاهرة الإجمال وكذا في التنكير كما تمثل ظلال المعاني أكبر دليل على الإيجاز لما تبسطه من دلالات متوالدة .

7- تمثل الصور البيانية المختلفة كالتشبيه والكناية والاستعارة جانبا مهما من الإيجاز فهي تغني بما تفرضه من خيال وتجسيم عن كثير من الألفاظ والتعابير وهذا هو الإيجاز الذي يدركه جل الناس .

8- تعتبر الإشارة والإيماءة من أكثر شواهد الإيجاز إيجازا ولا يدركها إلا أرباب الصنعة وفطاحلة البيان.

9- يسهم جرس المفردة في اختزان كثير من الدلالات والإيحاءات وإثارة الفكر والخيال نحو استنباط المعاني الكامنة في جرس ووزن المفردة .

10- تسهم بعض الصيغ والأوزان الصرفية بتركيبتها الخاصة في إثارة كثير من الإيحاءات التي لا توحي بها الصيغ العادية .

11- وفي النهاية يمكن القول إن الإيجاز منهج يصلح لكل جوانب الحياة المادية والفكرية والأدبية.

فهذه أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي لظاهرة الإيجاز في أنماط التعبير المختلفة ولقد حاولت قدر الإمكان إخراج الظاهرة من دائرة الدراسات التي كانت تحصر الموضوع في النظرة الكلاسيكية، ولا أدعي فهما و لا إبداعا وإنما هي مساهمة متواضعة في حاجة إلى مواصلة وإتمام .

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الفاتحة		
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ	7-1	70
سورة البقرة		
الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ	2-1	39
الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ	5-1	41
وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ	31	133
وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ	60	42
قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ	71	38
عَٰهَدَهُۥٓ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ قُلْ	80	43
مُّؤْمِنِينَ كُنتُمْ قَبْلُ إِن ٱللَّهِ مِن فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ	91	43
وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ	92	103
بِكُفْرِهِمْ ٱلْعِجْلَ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِم	93	40
وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ	143	74
إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ	169	98
ٱلْأَلْبَٰبِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْقِصَاصِ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ	179	24-18-16
ٱلْحَرَامُ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ	194	24
الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ	268	98
سورة العمران		
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟	118	32

سورة النساء		
حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ	23	40
وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم	96	72
وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا	113	133
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾	176	31
سورة المائدة		
حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ	03	40
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ	06	42
إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ	33	66
وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ	38	66
عَلَيْهِمْ وَكَتَبْنَا فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ	45	25
إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ	91	99
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ	105	34
سورة الأنعام		
وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ.....	03	73
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ	35	51
وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا	99	73
بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ ۖ	101	86
وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا	120	74
وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ	142	98
فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ	149	37

وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَ	151	74
سورة الأعراف		
وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَـٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝	04	55
يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ	27	99
يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا	31	74
قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْق	32	-131-75
قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ	33	65
وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ	46	89
أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ	54	75
ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ	55	76
وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ	130	-104
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ	133	104
:(وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ	149	121
:(وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ	176-175 -	111
خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ	199	99
سورة الأنفال		
وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ	39	66
سورة التوبة		
وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ	30	66
فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ	82	38
سورة يونس		

إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ	24	112
وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ	42-43	77
فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ	71	34
وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ	92	132
سورة هود		
وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ	44	77
وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ	92-93	42
سورة يوسف		
يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَٰطِـِٔينَ	29	34
وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ	36	127
وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُون	45	36
يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ	46	"36
وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ	54	35
وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ	82	40
قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ	85	-31
فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا	80	132
:(قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ(	89	122
سورة إبراهيم		
وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ	04	54
مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ	18	-112
سورة الحجر		

وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعۡلُومٌ	04	32
وَلَقَدۡ آتَيۡنَاكَ سَبۡعًا مِنَ الۡمَثَانِي وَالۡقُرۡآنَ الۡعَظِيم	87	70
(فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ	94	117
سورة النحل		
بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ	44	
(وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا	78	133
إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ	105	
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ	90	-102
ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ	125	100
سورة الإسراء		
وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا	24	135-117
وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَاۚ	59	38
وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ	101	103-40
سورة الكهف		
فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ	11	120
فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ	77	126
وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبًا	79	38
وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ	82	123
سورة مريم		
إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا	3	76
أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾	20	140

سورة طه		
طه ۝ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ	2-1	34
لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى	06	79
قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ	18	80
قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ	71	143
(فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ(	78	130
فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا	96	55
سورة الأنبياء		
بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا	18	118
أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا	30	73
قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ(667	62	122
لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَاۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ	90	76
وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا	91	139
سورة الحج		
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ	2- 1	137
۩ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ	77	64
سورة المؤمنون		
وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ	14-12	105
وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبۡغٖ لِّلْأٓكِلِينَ	20	127
سورة النور		

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ	20	43
سورة الفرقان		
وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾	30	33
أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ	-45 46	98
وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا	63	101
سورة الشعراء		
وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ	19	122
فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ	-94 95	142
وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ	208	32
أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾	225	120
سورة النمل		
وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ	12	104
وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ	17	81
لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا	21	43
سورة القصص		
إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا	5	127
وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا	7	124
وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ	10	123
وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ	24-23	36
وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ	45-44	42
سورة الروم		

لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ	04	40
وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾	12	139
وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي	22	104
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً	54	89
سورة السجدة		
وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا	12	43
:(وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ	21	119
سورة سبأ		
أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ	11	38
سورة فاطر		
إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ	06	99
وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا	9	125
سورة يس		
يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ	2-1	33
إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ	9-8	125
وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ	27-22	41
(وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ	37	118
وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ	39	114
وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ	40	40
سورة الصافات		

أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ	16	67
إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي	-65-64	113
سورة ص		
فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ	32	35
ٱلطَّرْفِ أَتْرَاب وَعِندَهُم قَٰصِرَٰت	52	38
قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ	82	99
سورة الزمر		
لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ	04	37
وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا	71	32
وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ	73	132
سورة غافر		
هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا	13	126
يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِمَنِ الْمُلْكُ	16	71
وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ	60	57
هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا	67	104
سورة فصلت		
إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا	08	82
إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا	31-30	131-81
مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا	46	39
وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ	51	120
سورة الشورى		

يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١	11	95
سورة الزخرف		
وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا	17	138
أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٍ	18	124
وَمَا نُرِيهِم مِّنۡ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكۡبَرُ مِنۡ أُخۡتِهَا	48	38
وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ	49	38
وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ	71	131
وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨	88	33
سورة الدخان		
(ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ	34	133
(ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ	49	135
سورة الجاثية		
وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ	24	67
وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ	28	139
سورة الأحقاف		
إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ	13	17
سورة محمد		
فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ	04	35
فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً	04	48
ولتعرفنّهم في لحن القول	30	129
سورة الحجرات		

أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَـٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ	02	43
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ	06	123
سورة ق		
قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ	3 -2-1	43
يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن	30	140
سورة الذاريات		
وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ	41	118
سورة الرحمن		
(فِيهِمَا مِن كُلِّ فَـٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ	52	83
فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ	56	132-125
سورة الواقعة		
لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ	19	15
: (وَحُورٌ عِينٞ ۝ كَأَمۡثَـٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ	-23-22	115
وَفَـٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ	32	83
وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ	34	136
فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ۝ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ	83	35
سورة الحديد		
هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ	03	86
اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي	20	106
:(سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ	21	115
سورة الطلاق		

وَٱلَّـٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشْهُرٍ	05-04	39
سورة التحريم		
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ	06	81
سورة الملك		
إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧	8-7	119
سورة الحاقة		
إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَـٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ	11	119
سورة نوح		
وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا	13	104
وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا	26 -25	128
سورة القيامة		
(كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ۝٢٦ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ	27-26	35
وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ۝٢٨	28	36
سورة المرسلات		
إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ۝٣٢ كَأَنَّهُۥ	33-32-	114
سورة النازعات		
ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨ وَأَغْطَشَ	29-27-	143
(فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ	34	145
سورة عبس		
:(قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧	17	144
سورة الفجر		

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢	02	90
وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا	22	40
سورة البلد		
لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣	3-1	140-91
مَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ	13 -12	127
سورة الشمس		
فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا	13	34
فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا	14	141
سورة الضحى		
﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ	-2-1	37
﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ	05	134
سورة الانشراح		
وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ	3-2	121
فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦	6-5	93
سورة العلق		
عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ	05	133
فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ	18 -17	126
سورة البينة		
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ	07	82
سورة الزلزلة		
إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا	2 -1	128

سورة العاديات		
:(۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾	9- 10	135
سورة القارعة		
(يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ	4-5-	115
سورة التكاثر		
أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ	01	105
سورة العصر		
وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ	1-3	84
سورة الهمزة		
كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾	04	143
سورة الفيل		
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ	01	123
وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ	03	94
فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ	05	116
سورة الماعون		
أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾	01	145
سورة الكوثر		
إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿1﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ	03-01	84
سورة المسد		
تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ	1	144
سورة الإخلاص		

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿1﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ		85-67
سورة الناس		
ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦	-6 -5	135

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى	11
كنت أصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم فكانت	11
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت	11
أنا أفصح العرب بيد أنني من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر	51
بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب وبينما أنا نائم رأيتني أتيت	52
...هذه بلاغة	11
(إذا قلت فأوجز	53
نحن معاشر الأنبياء فينا بكاء	53
كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يسرد الكلام كسردكم هذا	53
إنما الأعمال بالنيات	53
الدين النصيحة	53
المرء مع من أحب	53
بعثت في نفس الساعة	53
الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات	56
أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك	53
أرأيتم لوأن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات	55
مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد	56
ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال	56
المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة	57

ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع	57
من وقيّ شرّ مابين لحييه ومابين رجليه دخل الجنّة)	58
خير المال عين ساهرة لعين نائمة	58
إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي	59
أحد جبل يحبنا و نحبه	59
الخيل معقود في نواصيها الخير والأجر والمغنم إلي يوم القيامة	59
إنا أمة أمية لا تكتب ولا تحب والشهر هكذا وعقد الإبهام في ثلاثة والشهر	60
أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا إشارة بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئًا	60
لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج	60

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأبيات الشعرية الواردة في البحث

البيت	صاحبه
و بالنوارس من ورقاء قد علموا أحلاس خيل على جرد **أبابيل**	مجهول
خل جنبيـــك لـــرام*** وامض عنه بســـلام مت بدا ع الصمت خير*** لك من داء الكلام	أبو نواس
تعصي الإله وأنت تظهر حبه** هذا محال في القياس بديع لوكان حبك صادقاً لأطعته** إن المحب لمن يحب يطيع	محمود الوراق
تضع الحديث على مواضعه وكلامها من بعده نزر	ابن الأحمر
أحلام نوم أو كظل زائل** إن اللبيب بمثلها لا يخدع	الحسن رحمه
ومن لم يصانع في أمور كثيرة** يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله** على قومه يستغن عنه ويذمم	زهير بن أبي سلمى
لولا عطاءهن كريم وجز	رؤبة
على حَزَابي جُلالٍ وَجْز	رؤبة
تراه كأن الله يجدع أنفه** وعينيه إن مولاه ثاب له وفر	
أما وي، ما يغني الثراء عن الفتى** إذا حشرجت يوما وضاق بها	حاتم الطائي
حتى إذا ألقت يدا في "كافر"[668] ** وأجن عورات الثغور ظلامها	لبيد
في اخضرارٍ من اللباس على أصفر ** فر يختال في صريغة ورس	البحتري

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ** فلم يبق إلا صورة اللحم والدم وكائن ترى من صامت لك معجب ** زيادته أو نقصه في التكلم	زهير بن أبي سلمى
ومن لم يصانع في أمور كـــثيرة يضرّس بأنياب ويوطأ بمنسم	زهير
خذي العفو مني تستديمي مودتي ** و لاتنطقي في سورتي حين	أبو الأسود
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد	زهير
وإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء	زهير
ولو شئت أن أبكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع	الخريمي
ولست بمستبق أخا لا تلمّه على شعث أي الرجال المهذب	النابغة
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه : لا يذهب العرف بين الله و **الناس**	الحطيئة
لست بالأكثر منهم حصى ** و إنما العزة للكاثر	مجهول
فإني لو لقيتك واتجهنا لكان لكل منكرة كفاء	زهير
فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي.	امرؤ القيس
أ نبئت أن رســـول الله أوعـــدني والعفو عند رسول	كعب بن
أخي ما أخي لا فاحش عند بيته و لا ورع عند اللقاء هيوب	كعب بن
تجافيت عني حين لا لي حيلة وخلّفت ما خلّفت بين الجوانح	كثيّر
أبى لي أن أطـــيل قصـــدي إلى المعنى وعلمي بالصّواب	ابن حازم
سماحة ذا و برّ ذا ووفاء ذا ونائل ذا إذا صحا و إذا سكر	امرؤ
كل عذر من كل ذنب ولكن أعوز العذر من بياض العذار	البحتري
إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل	السموأل
إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا	جرير

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

01 أحمد أحمد بدوي، من بلاغة الكلمة، مكتبة نهضة مصر 2005 م .

02 أحمد أحمد فشل، علم البديع رؤية جديدة، دار المعارف، (د ط)، 1996 م

03 الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري برواية أبي ذر الهروي عن مشايخه الثلاثة السرخسي والمستملي والكشميهني،، تقديم وتحقيق عبد القادر شيبة الحمد، ط1 ,1421هـ – 2001م.

04 أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تح :عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت, ط1, 1983 م

05 أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والنفسير ، دار المكتبي، ط1، 1994 م

06 أسامة بن منقذ، لباب الآداب..تح:أحمد محمد شاكر . دار الجيل . بيروت ط1, 1991م.

07 أسامة بن منقذ.تح:د. أحمد البرهان في وجوه البيان بدوي و د.حامد عبد المجيد.مطابع الحلبي (دط) 1960 م.

08 أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجّاج (ت 311 هـ)، معاني القرآن و إعرابه، تح:

عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب ط1, 1988 م

09 ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن ، تح د حفني محمد شرف، دار نهضة مصر, ط 2 (د ت)

10 ابن أبي الإصبع. تحرير التحبير. د.حفني محمد شرف. لجنة إحياء التراث الإسلامي. القاهرة (د ط),1983م.

11 ابن أبي الأصبع، بديع القرآن مكتبة نهضة, مصر.(د ط), 1957 م.

12 الأعشى، الديوان ,دار صادر, بيروت (د ط), 2008 م

13 مريء القيس، الديوان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف,ط3, 1984م

14 ابن باديس عبد الحميد، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، دار البعث قسنطينة,(د ط) 1982 م.

15 بغدادي بلقاسم، المعجزة القرآنية ، ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر(دط، دت)

16 أبو بكر البيهقي (ت458هـ)، سنن البيهقي الكبرى تح :محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة,(د ط), 1994م

17أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف مصر(د ت),1963م.

18 ابن بلبان، صحيح ابن حبّان، مراجعة الشيخ شعيب الأرناؤوط، بيروت,(د ط), 1993 م

19 الجاحظ. الحيوان. تح: عبد السلام هارون. مطبعة الحلبي ,ط2, 1965 م

20 جرير بن عطية، الديوان، شرح :إيليا الحاوي ,دار الكتاب اللبناني,ط1 , 1982م

21 أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن،، تح:د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ط1, 1422هـ - 2001م

22 جلال الدين السيوطي، معترك الأقران،، دارالكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، (1408 هـ-1988م

23 جلال الدين السيوطي، الدر المنشور في الفسير بالمأثور، تح : عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات الإسلامية القاهرة,ط1 ,2003م.

24 الإمام حافظ الدين أبو البركات عبد الله بن أحمد المعروف بحافظ الدين النسفي، كشف الأسرار شرح المصنف على المنار،، دار الكتب العلمية، - بيروت- لبنان,(د ط, د ت)

25 أبو الحسن الرامهرمزي (ت 576هـ)، في أمثال الحديث ، تح :أحمد عبد الفتاح تمام، مؤسسة الكتب الثقافية ,بيروت,(د ط), 1409هـ

26 أبو الحسن بن عيسى الرمّاني، النكت في إعجاز القرآن في ثلاث رسائل في إعجاز القرآن،، تح: محمد خلف الله أحمد ود.محمد زغلول سلام، دار المعارف، ط3, 1676م

27 أبو الحسن علي بن أبي بكر الهيثمي. موارد الظمآن.. تح: محمد عبد الرزاق حمزة.دار الكتب العلمية بيروت.

28 أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي (ت بعد 880 هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تح محمد سعد رمضان حسن و محمد متولي الدسوقي حرب دار الكتب

العلمية بيروت,ط1, 1998م

29 حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي ..الأدب القديم ... دار الجيل بيروت.ط1, 1986م.

30 زهير بن أبي سلمى. ديوان، شرح حمدو طماس دار المعرفة بيروت ط1، 2006 م.

31 أبو السعود بن محمد العمادي الحنفي تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،، تح:عبد القادر أحمد عطا، مطبعة السعادة مكتبة الرياض الحديثة.

32 سمير أبو حمدان. الإبلاغية في البلاغة العربية ، منشورات عويدات الدولية . بيروت.ط1991.1م.

33 سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، ، ط 7، 1982 م.

34 سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط1،1985 م.

35 سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 1956م

36 شمس الدين أبو عبد الله محمد المعروف بابن قيّم الجوزية (ت 751هـ) ، كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلوم البيان . صححه محمد بدر الدين النعماني مطبعة السعادة, مصر،ط1, 1327هـ

37 شهاب الدين محمد الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث – بيروت– لبنان.

38 شوقي ضيف. البلاغة تطور وتاريخ. دارالمعارف مصر,ط3, 1977 م.

39 صفيّ الرحمن المباركفوري، منّة المنعم شرح صحيح مسلم،دار السلام للنشر والتوزيع الرياض ,ط1, 1999 م.

40 صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيّد قطب، شركة الشهاب، الجزائر، (دط، د ت)

41 الضحاك، تفسير الضحّاك، (ت 105 هـ) جمع وتحقيق : محمد شكري أحمد الزاويتي دار السلام,ط1, 1999 م

42 ضياء الدين بن الأثير المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشرالفجالة ,القاهرة، ط2. 1983م

43 طرفة بن العبد، الديوان ، دار صادر، بيروت، (دط) (دت)

44 عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء، التفسير البياني للقرآن الكريم، ، دار المعارف ,ط7,(د ت)

45 عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الازرق، دراسة قرآنية لغوية وبيانية ,دار المعارف,ط3 ,(د ت)

46 الإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي،تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: علي محمد معوض و عادل محمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان،ط1 سنة 1418هـ -1997م.

47 أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي(ت303هـ)، السنن الكبرى، تح عبد الغفار سليمان النداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت 1991 م

48 عبد الرحمن بودرع. الإيجاز وبلاغة الإشارة البيان النبوي..مطبعة الخليج العربي , ط1, 2009م

49 عبد الرحمن حسن حبنّكه الميداني، البلاغة العربية، أسسها، علومها، وفنونها، الدار الشامية، بيروت, ط1, 1996 م

50 عبد الرزاق المناوي، فيض القدير..المكتبة التجارية الكبرى مصر.

51 عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية رسالة دكتوراه، الناشر مكتبة وهبة.ط1 ، 1413 هـ، 1992م

52 عبد الفتاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار عمار، ط1, 1421هـ – 2000م.

53 عبد الفتاح لاشين، من أسرار التعبير في القرآن صفاء الكلمة, دار المريخ للنشر، (د ط) , 1983م.

54 عبد الفتاح لاشين. المعاني في ضوء أساليب القرآن. دار المعارف(د ط), 1978 م.

55 عبد القادر حسين، فن البلاغة..مطبعة الأمانة,(د ط), 1977 م.

56 عبد القاهر الجرجاني. أسرار البلاغة في علم البيان تصحيح ومراجعة :الشيخ محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية ، لبنان، ط 1، 1988م

57 عبد الله الجربوع، الأمثال القرآنية القياسية... الجامعة الإسلامية,ط1, 2003.م. .

58 عبد الله درّاز، النبأ العظيم ,مطبعة السعادة بمصر, . (د ط) , 1960 م

59 أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزيه، بدائع الفوائد، تح: علي بن

محمد عمران، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع.

60 أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت256 هـــ)، صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر)، تح مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير,ط 3, 1987 م

61 أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح:د.عبدالله بن عبد المحسن التركي وشار في تحقيق هذا الجزء: محمد رضوان عرقسوسي وغياث الحاج أحمد، مؤسسة الرسالة، ط1، 1427 هـــ - 2006م.

62 أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي مجاز القرآن (ت 210 هـــ)، تعليق د محمد فؤاد سزكين ,مكتبة الخاخنجي مصر (دط,د ت)

63 عز الدين علي السيّد. الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية . .دار إقرأ بيروت,ط2, 1986 م

64 ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز..دار الخير بيروت-لبنان-.ط2 1428هـــ-2007م.

65 ابن عقيل الأشموني شرح ألفية ابن مالك تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـــدار احياء التراث العربي .لبنان. ط2,(دت)

66 الإمام الحافظ علاء الدين مغلطاي ابن قليج بن عبد الله الحنفي (ت 762هـــ)، شرح سنن ابن ماجة، تح : كامل عويضة، ، مكتبة نزار مصطفى الباز, ط1 ,1999م

67 أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ، كتاب الأمالي، الناشر وزارة الثقافة الجزائرية بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007 م

68 علي الجارم و مصطفى أمين ، البلاغة الواضحة مع دليلها، دار المعارف (د ط) و(د ت)

69 أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه.، تح الدكتور محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت.ط 1سنة 1988 م.

70 علي بن اسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تح: عبد الستار أحمد فراح، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ط1, 1958 م .

71 على بن محمد الجوزي القرشي. زاد المسير في علم التفسير(د ط, دت)

72 عمر السلامي، الإعجاز الفني في القرآن، (د ط) مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس ، 1980م

73 غازي عناية، هدى الفرقان في علوم القرآن.، دار الشهاب باتنة, (د.ط). (1988م)

74فاضل صالح السامرائي ، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل،دار عمار,ط3, 2003 م

75 أبو الفتح عثمان بن جنّي، الخصائص، تح محمد علي النجار المكتبة العلمية المكبتة العلمية (د ط,د ت) .

76 الإمام فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، ط1، 1401 هـ – 1981م

77أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب،، دار المعارف.(د ط، دت)

78أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت544 هـــ)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تح علي محمد البجاوي دار الكتاب العربي، (د ط) , 1977م

79أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة –بيروت– لبنان.

80أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة ، تح: عبد الرحيم محمود, دار المعرفة، بيروت،(د ط), 1989م

81ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف.

82القزويني، التلخيص في وجوه البلاغة.ط1.دار الفكر العربي.

83 القزويني. الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق : محمد عبد المنعم خفاجي

84ابن قيم االجوزيّة، بدائع التفسير، جمع يسري السيد محمد، ومراجعة صالح أحمد الشامي، دار ابن الجوزي، ط1، (د ت)

85ابن قيّم الجوزية، الضوء المنير على التفسير، جمع: علي الحمد المحمد الصالحي، مكتبة دار السلام، (د ط، دت)

86ابن قيّم الجوزية، كتاب الفوائد.. تحقيق فواز أحمد زمرلي دار ابن حزم .ط1، 2002م.

87 كعب بن زهير، الديوان، قراءة وتقديم د محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ط1 1995م

88 مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت817هـــ).القاموس المحيط، تح: أبو الوفا

نصر الهوريني المصري الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت، ط2، 2007 م

89 مجيد عبد المجيد ناجي. الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.ط1, 1984.م.

90 محمود الوراق، الديوان ، جمع ودراسة وتحقيق : د وليد القصاب, مؤسسة الفنون ,ط1, 1991 م .

91 محمد أبو اليسر عابدين، الإيجاز في آيات الإعجاز، تح محمد كريم راجح ، دار البشائر للطباعة والنشر، ط1، 1994 م .

92 محمد إبراهيم شادي ، البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، الرسالة، ط1، 1988م.

93 محمد الأمين الأرمي العلوي الهرري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، تح:د.هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، ط1، 1421هـ – 2001م.

94.محمد الصغير بنّاني، النظريات اللسانية و الأدبية والبلاغية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983م

95.محمد الطاهر بن عاشور، ا تفسير التحرير والتنوير، لدار التونسية للنشر والتوزيع، طبعة سنة، 1984م.

96.محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي المعروف بالجوهري، مختار الصحاح،، عنى بترتيبه محمود خاطر، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1 (1424هـ-2003م).

97محمد بن عبد الله بن بهادر،بدر الدين، أبي عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن

تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة بيروت، ط 2 (1391 هـ -1972 م).

98.محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، شرح وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط 1 (1413هـ- 1993م).

99.محمد رجب البيومي، البيان القرآني. .الدار المصرية اللبنانية، ط2، 2005 م.

100.محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، مكتبة الفارابي، دمشق، ط5، **1977** م

101محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ، تح : هاني الحاج، المكتبة التوفيقية مصر(د ط، دت)

102.أبو محمد عبد الله الدّارميّ (ت225هـ)، سنن الدّارميّ، تح :أحمد فواز زمرلي و خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1407 هـ.

103.محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، مطبعة وهبة القاهرة، ط2، 1997 م،

104.محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: د. عبد الفتاح الحلو، راجعه مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت,(د ط), 1406هـ- 1986 م.

105. محمد ناصر الدين الألباني، مختصر صحيح الإمام البخاري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، ط1، 2002م

106 .محمود بن عمر الزمخشري، الفائق في غريب الحديث..تح: علي محمد البجاوي

ومحمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر لبنان.ط3، (د ت)

107. محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، دار اليمامة ودار ابن كثير للطباعة والنشر بيروت سورية، ط7، (1420هـ - 1999م

108.مختار عطية. الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز ار المعرفة الجامعية السويس.(د.ط) (1997م)

109.مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261 هـ) صحيح مسلم، مراجعة محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت (د ط)، 1954م .

110.مصطفى شاهر خلوف، أسلوب الحذف في القرآن وأثره في المعاني والإعجاز، دار الفكر،ط1، 1430هـ-2009م.

111.مصطفى صادق الرافعي إعجاز القرآن والبلاغة النبوية..دار الكتب العلمية لبنان، ط 2، 2003م

112.منّاع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط3، 2000م،

113.مصطفى ناصف , الصورة الأدبية ,دار الأندلس ,ط3,1983م

114. النابغة الذبياني، .الديوان ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، 1985 م

115.الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت807هـ)، موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان تح :حسين سليم الداراني و عبده علي الكوشك، دار الثقافة العربية، دمشق، ط1،

1992، م

116.نور الهدى باديس. بلاغة الوفرة وبلاغة الندرة.. المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط1، 2008م

117.أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر. تح د.مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1984م

118.ابن وهب.تح: حفني شرف.دار الكتب العلمية بيروت، (د ط)، 1982 م.

119.يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب الخديوية طبع بمطبعة المقتطف بمصر(1222هـ - 1914م.

120.أبو يعقوب يوسف بن طاهر الخويي، فرائد الخرائد في الأمثال..تح:د. عبد الرزاق حسين. دار النفائس.الأردن.(د ط,دت)

121.أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السّكاكي، مفتاح العلوم، تح :عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية لبنان,ط1, 2000م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمـــة.....	أ - هـــ
الفصل الأول:الإيجاز في كلام العرب والبلاغة النبوية	
مدخل : الإيجاز ظاهرة فكرية وحضارية.....	8
المبحث الأول:تعريف الإيجاز.....	13
لـــغة.....	13
اصطلاحا.....	14
المبحث الثاني:أقسام الإيجاز في الدرس البلاغي.....	26
إيجاز القصر.....	26
الإيجاز بالحذف.....	29
المبحث الثالث: الإيجاز في كلام العرب والبلاغة النبوية.....	44
الإيجاز في كلام العرب.....	44
الإيجاز في البلاغة النبوية.....	51
الفصل الثاني:دلالات إيجاز القصر من زاوية علم المعاني	
مدخل: خصائص الخطاب القرآني	63
المبحث الأول:ظاهرة الإجمال.....	69
المبحث الثاني:دلالات التنكير.....	88
المبحث الثالث:ظلال المعاني.....	98

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث:دلالات إيجاز القصر من زاوية علم البيان

المبحث الأول: الإيجاز بالصورة البيانية..... 109
لمبحث الثاني:دلالات الإشارة 129
المبحث الثالث:دلالات الإيحاء 137
خاتمة..... 148

الفهارس

فهرس الآيات..... 151
فهرس الأحاديث 166
فهرس الأبيات الشعرية..... 168
فهرس المصادر والمراجع..... 170
فهرس الموضوعات 183

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الكريم المنان، خالق الإنسان و معلمه البيان، منزل القرآن معجزا للإنس والجان فهو الحجة الخالدة مدى الزمان، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على أفضل الرسل والأنام سيدنا محمد المؤيد بأعظم برهان وعلى آله وصحبه أولي الفضل والإحسان .

أما بعد :

فإن قضية الإعجاز البياني في القرآن الكريم رافقت البدايات الأولى للدرس البلاغي الذي عني بإظهار جوانب الفصاحة والبيان في النص القرآني واستنباط القواعد التي تجمع ذلك فتعددت الجهود وتسابق الأقران ونهل الكل من المعين و لم ينضب، فكان أسلوب القرآن ونظمه وما فيه من النكت البيانية محل اهتمام الدارسين من المفسرين و البلاغيين ومبعث ذلك أن القرآن نزل بلسان العرب حروفه وكلماته من جنس ما ألفوه من الحروف والكلمات إلا أنه جاء متحديا لهم في جنس ما برعوا فيه من فنون القول وأساليب البيان .

والدارس لأساليب القرآن الكريم يلحظ ظاهرة بارزة فيه تتمثل في الإيجاز بنوعيه الحذف والقصر وهذا جريا على سنن العرب في كلامها، فلقد عرفت العربية الإيجاز وهو مكمن بلاغتها وسّر فصاحتها، ميدان تباريها وهو أسلوبها في التعبير، وطريقتها في العيش، والعرب آنذاك أمة أمية يندر فيهم من يعرف القراءة والكتابة، كل اعتمادهم في تناقل أشعارهم وأخبارهم على الحفظ و الرواية، فكان الإيجاز ضرورة أملتها ظروف البيئة العربية انعكست على أساليبهم الخطابية وفنونهم البيانية.

ومن خلال دراستي لأسلوب القرآن الكريم استوقفني أسلوب الإيجاز وبهرني بما رأيته فيه من ثراء المعنى وعمق الدلالة، وظهوره في مختلف الأساليب البلاغية، والصور البيانية، وبعد طول بحث و تدبر تبين لي كثرة ورود هذه الظاهرة في السور المكية على وجه الخصوص بمظاهر مختلفة، وفي شتى ألوان البيان، فرحت أتتبع الحديث عنها في كتب البلاغة والإعجاز، فسرني في البداية ما وجدته من إشارات

ذكرها الجاحظ في كتابيه الحيوان والبيان والتبيين، ثم اهتديت إلى الرسائل الثلاث في إعجاز القرآن فوجدت فيها بعض ما كنت أصبو إليه، واستزدت فهما بما ذكره أبو هلال العسكري في كتابه كتاب الصناعتين، وكذا كتاب الإيجاز والإعجاز لأبي منصور الثعالبي، وما قاله الزركشي في البرهان والسيوطي في كتابيه الإتقان في علوم القرآن ومعترك الأقران في إعجاز القرآن، وما تناثر من نتف وإشارات أتت على ذكرها كتب البلاغة، فلا ينكر فضل هذه المصادر الأولى بحال من الأحوال ؛فقد كانت القناديل التي أضاءت الدرب وكشفت الطريق رغم ما يمكن أن توصف به من قلة الشواهد والبعد عن الدراسة الممنهجة والمفصلة، إلى أن وجدت دراسة حديثة للدكتور مختار عطية حيث تناول الظاهرة بالتطبيق والتفصيل وفي أشكالها المختلفة التي شملت علمي المعاني والبيان فاستفدت منها بشكل كبير وتفتقت من خلالها أمامي جوانب مختلفة هي ذات صلة وطيدة بموضوع الإيجاز .

وعلى الرغم من هذه الدراسات رأيت أن الموضوع ما يزال يحتاج الكثير من البحث والتمحيص و النظر من أجل كشف درره ومعرفة أسراره، والظفر بكنوزه وعجائبه التي لا تنقضي في ظل ما تشهده الدراسات اللغوية والأدبية الحديثة من تطور و اتساع، وهذا ما دفعني إلى البحث في هذا الموضوع الذي يلامس جانبا مهما من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم فاخترت له العنوان الآتي :

الإيجاز بالقصر في السور المكية وأثره في بيان إعجاز القرآن الكريم

وانطلقت في معالجته من طرح الإشكاليات الآتية :

- ما هي الدواعي وراء كثرة ورود الإيجاز بالقصر في السور المكية ؟

- هل تعود كثرة الإيجاز بالقصر في السور المكية إلى تأثر القرآن بالبيئة والوسط على حدّ زعمهم أن القرآن لما كان في مكة بين الأميين جاءت آياته وسوره قصيرة، و لما وجد في المدينة بين مثقفين مستنيرين جاءت سور المدني و آياته طويلة فالإيجاز أثر للانحطاط ومنه الطعن في أسلوب القرآن ومصدره بوجود تفاوت في بيانه وبلاغته بين مكيّه ومدنيّه.

- هل الإيجاز في القرآن الكريم دليل بلاغة وإعجاز أم دليل عيّ وعجز ؟

- ما هي مكامن وجوانب الإعجاز البياني في أسلوب الإيجاز بالقصر ؟

- ما هي أهم الفنون البلاغية والبيانية التي تجلى فيها الإيجاز بالقصر بشكل أكبر ؟

ومن خلال ما سبق عرضه من إشكاليات يعتبر خصوم القرآن البعض منها شبها ت تقدح في أسلوب القرآن وبيانه يظهر جليا ضرورة القيام بهذا البحث المتواضع دفاعا عن القرآن وخدمة له، ورغبة في المساهمة في دراسته وإبراز أحد أهم جوانب الإعجاز فيه، ومن جهة أخرى إثراء مجال البحث في الدرس البلاغي ولو بالترر القليل، ورسمت لذلك أهدافا أرجو أن أوفق في تحقيقها ولعل أهمها :

1- تحديد ضوابط مميزة لإيجاز القصر .

2- عرض أقوال دارسي الظاهرة قديما و حديثا .

3- التعرف على شواهد أخرى للظاهرة تضمنتها السور المكية .

4- التعرف على الأنماط البلاغية والصور البيانية التي ظهر فيها إيجاز القصر.

والدوافع وراء تجسيد هذه الأهداف هي :

- قلة الدراسات الأكاديمية التي تناولت الإيجاز بالقصر بالشكل المطروح في هذا البحث .

- التشرف بدراسة القرآن الكريم والمساهمة في إبراز جانب من جوانب إعجازه.

- علاقة البحث بمختلف علوم اللغة من نحو وبلاغة وأسلوبية وهي تتداخل فيما بينها لتحقيق الإيجاز.

ولإنجاز هذا البحث والإجابة عن الإشكاليات المطروحة فيه ولتحقيق الأهداف المحددة له رأيت أن أقرب مناهج البحث التي تناسب هذا الموضوع هو المنهج الاستقصائي التحليلي الذي كان وفق الخطوات الآتية:

-تحديد مظاهرالإيجاز في مختلف جوانب الحياة الأدبية والاقتصادية والحضارية وهذا في المدخل، يليه عرض أقوال العلماء وتعريفاتهم وتقسيماتهم للإيجاز ثم دراسة الظاهرة في البيان النبوي وكذا في كلام

العرب شعره ونثره وذلك في الفصل الأول لأصل إلى الدراسة التطبيقية في الفصلين الثاني والثالث بالكشف عن صور حضور الظاهرة في السور المكية ,و قد توزعت هذه الدراسة على النحو الآتي : مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة .

المقدمة : طرحت فيها إشكالية الموضوع، والأهداف المراد تحقيقها ، ودوافع الاختيار، والخطة، و أهم المصادر والمراجع، والمصاعب التي واجهتني .

أما الفصل الأول فقد افتتحته بمدخل يليه ثلاثة مباحث :

-.ففي المدخل تطرقت إلى مظاهر الإيجاز باعتباره ظاهرة فكرية و حضارية,و في المبحث الأول تعريف الإيجاز لغة و اصطلاحا عند المتقدمين و المتأخرين من البلاغيين والأسلوبيين , وفي المبحث الثاني أقسام الإيجاز و تطرقت فيه لنوعي الإيجاز إيجاز القصر وأهم الفنون والأغراض التي برز فيها , والنوع الثاني وهو إيجاز الحذف وأهم الشواهد عليه من القرآن و الحديث النبوي الشريف وكذا الشعر العربي الفصيح ,و في المبحث الثالث تحدثت عن إيجاز القصر في كلام العرب والبلاغة النبوية ؛جعلت الجزء الأول منه للإيجاز في كلام العرب شعره ونثره فدرست نماذج من الشعر العربي وبيّنت مواطن الإيجاز فيها إلى جانب نماذج من النثر شملت الخطب والأمثال والحكم و التوقيعات, وخصصت الجزء الثاني منه للبلاغة النبوية تحدثت فيه عن الإيجاز وجوامع الكلم وقمت بتطبيقات على جملة من الأحاديث النبوية في أغراض بلاغية مختلفة كالتشبيه والكناية والاستعارة والمجاز ثم تحدثت عن دلالة الإشارة في الحديث النبوي الشريف .

وأما الفصل الثاني وفيه مدخل حول خصوصية الخطاب القرآني وهو في ثلاثة مباحث أولها تناولت فيه ظاهرة الإجمال وفي المبحث الثاني دلالات التنكير وفي المبحث الثالث ظلال المعاني.

-و جاء الفصل الثالث هو الآخر في ثلاثة مباحث خصصت المبحث الأول لدراسة الإيجاز بالصورة البيانية و المبحث الثاني لدلالات الإشارة وفي المبحث الثالث دلالات الإيحاء.

ثم ختمت البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة.

وقد اعتمدت طيلة هذا البحث على جملة من المصادر أغلبها كتب التفسير؛ كتفسير الكشاف ,و تفسير ابن كثير والتفسير الكبير و التحرير والتنوير وروح المعاني والتفسير البياني للدكتورة عائشة عبد الرحمن، ومن كتب اللغة والأدب كتابي الجاحظ البيان والتبيين والحيوان والعقد الفريد لابن عبد ربه،بالإضافة إلى ما سبق ذكره من كتب البلاغة وعلوم القرآن قديمها وحديثها وبعض الدراسات الحديثة و أهمهاكتاب الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز للدكتور مختار عطية، وخصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية للدكتور عبد العظيم المطعني وغيرها من المصادر والمراجع .

ومن بين الصعوبات التي اعترضتني خلال البحث قلة أو انعدام الدراسات الأكاديمية الموسعة في هذا الموضوع عدا بعض الإشارات الخفيفة على صفحات الانترنت والتي تميزت بالسطحية والبعد عن التحليل العميق وفقدان المنهجية الواضحة.

وفي الأخير أرجوا أن أكون قد وفقت في دراسة الموضوع وتغطيته على الشكل الذي رسم له أملا في أن يكون إلى جانب البحوث التي تثري المكتبة العربية وتساهم ولو بالقدر القليل في تبيين وإظهار الإعجاز القرآني.

كما لا أنسى أن أتقدم بالشكر الخاص لأستاذتي الفاضلة الدكتورة سكينة قدّور على تفضّلها بالإشراف على هذا البحث و ما قدمته لي من دعم وتوجيه وما وفّرت لي من مراجع كانت لي المرشد والمعين، وأصل شكري لها بشكري وتقديري لكل من علّمنا ودرّسنا في رحاب هذه الجامعة الموقرة . فالله أسأل أن يوفقنا و إياهم إلى ما فيه الخير والصلاح فهو ولي ذلك والقادر عليه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

الفصل الأول

الإيجاز في كلام العرب والبلاغة النبوية

مدخل: الإيجاز ظاهرة حضارية و فكرية.

المبحث الأول: تعريف الإيجاز.

المبحث الثاني: الإيجاز في كلام العرب

المبحث الثالث: الإيجاز في البلاغة النبوية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مدخل: الإيجاز ظاهرة حضارية و فكرية

البلاغة عملية لغوية و خاصيّة إنسانية اختص الله تعالى بها بني البشر جميعاً، وهي وليدة تفاعل الإنسان مع العالم الخارجي، والتواصل معه في مختلف الأحوال والمقامات لما يناسب كل مقام من أساليب الخطاب التي تحقق غاية البلاغة من تواصل وتأثير، فليست البلاغة سوى المطابقة لمقتضى الحال مع الفصاحة، وهي بذلك تراعي أحوال المتلقين ومستوياتهم الاجتماعيّة، والمعرفيّة، والاقتصادية، والنفسيّة إن أمكن إذ لكل مقام مقال يناسبه؛ وتتحقق صفة البلاغة في أنواع التراكيب وأساليب الخطاب كما تتحقق أيضا بدلالة الإشارة ؛لأن البلاغة متصلة بالغرض الإنساني، وهي تحت سيطرته ولخدمته تساير أحواله، وتواكب متغيراته، فلكل موقف البلاغة التي تناسبه، فللحرب بلاغتها وللسلم بلاغته، وللصغير بلاغته، وللكبير بلاغته، والبلاغة لا تعني الكلمات فقط بمقدار ما تعني الموقف لذا كان اجتماع هذه الأمور كلها من فصاحة ومراعاة لأحوال المخاطبين وما يناسبهم ضرورياً لتحقيق الإبلاغية المنشودة من كل خطاب .وبالرجوع إلى موضوع الإيجاز في البلاغة العربية فإن ارتباطه الوثيق بها جعل صحار بن عياش العبدي يعدّه حداً وتعريفاً لها لمّا سأله معاوية–رضي الله عنه–:"ما تعدّون البلاغة فيكم؟قال: الإيجاز"[1]. ولهذه الإجابة ما يبرّرها بالنظر في معالم الحياة والبيئة العربية آنذاك، فالإيجاز لم يكن قضيّة بلاغية فقط، ولكن قضية فكرية وحضارية واجتماعية واقتصادية، في مظاهر مختلفة:

1- الإيجاز كنمط للعيش أملته الطبيعة الصحراوية[2]:

إن حياة الحلّ والترحال وعدم الاستقرار التي تميّزت بها البادية العربية وما رافقها من شظف وقلّة، وبعد عن الزخارف ومختلف مظاهر التوسع في المأكل والمشرب والملبس جعلت نفس الأعرابي ميّالة إلى الاختصار والإيجاز في كل شيء، و في أعز ما تشتهيه النفس، فقد نقل الجاحظ (ت255هـ) أخباراً عن العرب تدعو إلى الاستغراب، فقد طلّق أبو الخندق امرأته أم الخندق

---

[1] – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين.تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط 7 .1998م. ج 1 ص96.

[2] – للتوسع ينظر محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، 1983م، ص247 ، 263(بتصرف).

فقالت له: "أتطلّقني بعد طول الصحبة، فقال:ما دهاك عندي غيره" [1]، فتطليق الرجل زوجته أم الخندق كان بداع الاختصار لهذه الحياة، وما نراه إلا مولعاً بحياة الحلّ و الترحال والرغبة في التجديد، كما كان للصمت المطبق الذي تميزت به الصحراء العربية انعكاسه على منطق أصحابها فولّد لديهم رغبة في تقليل الكلام و التزام الصمت واجتناب الفضول، وقد نقل الجاحظ أشعارا توصي بذلك كقول بعضهم[2]:

خلّ جنبيــك لــرام وامض عنه بســلام

مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام

إنما المسلــم من ألــ جم فاه بلجام .

وقول ابن أحمر:[3] **تضع الحديث على مواضعه وكلامها من بعده نزر.**

ومنها أيضا قول عبد الله بن عمر عندما سئل أن يدعو الله فدعا بقوله:" اللهم أرحمنا وعافنا وارزقنا. فقال له رجل:لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن، فقال:"نعوذ بالله من الإسهاب " [4] فاكتفى بالإيجاز في مقام الدعاء وهو مقام الإكثار والتوسع في طلب الحاجات المختلفة، وما ذلك إلا تأثّراً بنمط العيش وطبيعة الحياة، " فقد أورثت البدوي مواجهة الطبيعة في كل آن –وهي سريعة التبدل، والتلوّن، ولا يؤمن جانبها– حضور البديهة والذكاء اللّماح كما أورثته الإحساس الدقيق، والشعور المرهف، ولهذا كان أدبه أدب البديهة يترع نزعة الإيجاز بعيداً عن التركيب العلمي والترتيب المنطقي"[5].

2– الإيجاز وسيلة تعليمية بديلة عن الكتابة والتدوين:

إن اعتماد العرب في تناقل آدابها من أشعار، وخطب، وأمثال وغيرها على المشافهة في غياب الكتابة والتدوين يعطي تفضيل الإيجاز على الإطالة ما يبرّره، فالأشعار والخطب القصار هي

---

[1] – الجاحظ، المصدر نفسه، ج3.ص15.

[2] –المصدر نفسه، ج1.ص269.والبيت منسوب لابن هانيء الأندلسي، ينظر العقد الفريد أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت 328 هـــ)، تح:عبد المجيد الترحيني ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983 م، ج2 ص 303

[3] –المصدر نفسه، ج1، ص276

[4] –المصدر نفسه، ص 97

[5] – حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجيل بيروت، ط 1، 1986 م، ص94.

الأعلق في الأذهان، والأنسب للحفظ، والمشافهة كما جاء في جواب الحطيئة عن سؤال ابنته ":ما بال قصارك أكثر من طوالك، فقال: لأنها في الآذان أولج، وبالأفواه أعلق"[1].

فالإيجاز يسهلّ حفظ و تثبيت المعارف والعلوم، والقدرة على إيصالها إلى مختلف الأوساط، فهو منهج تربوي وعلمي ناجع، وما وجود هذه التهذيبات و التلخيصات التي شملت أضخم الكتب والمدّونات إلا دليل قاطع على ذلك.

3- الإيجاز مظهر من مظاهر الاقتصاد:

يعتمد الإيجاز على التقليل في عدد الكلمات والحروف لتحقيق أكبر عدد من المعاني، فهو اقتصاد في اللفظ مقابل فيض كبير في المعنى، وهذا مبدأ اقتصادي بحت، وقد كانت طلائع الإشارة إلى هذا المعنى عند الجاحظ في معرض حديثه عن خصائص كلام الرسول صلى الله عليه وسلم الذي "لم يسمع الناس بكلام قط أعمّ نفعاً، ولا أقصد لفظاً" [2]، وقد أشار الجاحظ لمصطلح الاقتصاد في موضع آخر بقوله:"وفي الاقتصاد بلاغ" [3]. ويقصد الإيجاز وقلة الحروف والألفاظ مع الوفاء بالمعنى فالإيجاز في نظره"هو حسن الإفهام وقلة عدد الكلام" [4]، ويستلهم هذا المعنى الاقتصادي ابن رشيق بقوله:"الإيجاز إجاعة اللفظ وإشباع المعنى" [5].

4-الإيجاز أسلوب الهجاء والرثاء والاستعطاف:

إن ارتباط الإيجاز بهذه الأغراض يعود إلى طبيعة المقام الذي يقال فيه، فهو مقام حزن وقلق وانفعال وغضب، نقل الجاحظ" أنه قيل لأعرابي: ما بال المراثي أجود أشعاركم؟قال:لأنّا نقول وأكبادنا تحترق" [6]. ثم إن الغرض من الهجاء والرثاء هو انتشار هذه الأشعار للتذكير بالخصال الحميدة للرجل والبكاء عليه، أو التشهير بذميم صفاته، ونشر هناته ولا سبيل لانتقال هذه

---

[1]- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت395هـ).كتاب الصناعتين الكتابة والشعر. تح: د.مفيد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت، ط 2، 1984م، ص194.

[2] - الجاحظ. البيان والتبيين.ج2.ص17.

[3] - المصدر نفسه.ج1.ص255.

[4] - المصدر نفسه.ج2.ص17.

[5] - أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت 456 هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح الدكتور محمد قرقزان، دار المعرفة بيروت، ط1، 1988 م، ج2.ص241.

[6] - الجاحظ، البيان والتبيين.ج2.ص320.

الأشعار غير الإيجاز، فهي في غالبها لا تتعدى بضعة أبيات، فقد قيل لعقيل بن علقمة لم لا تطيل الهجاء؟ قال: يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق".[1]، وقيل لأبي المهوش: لم لا تطيل الهجاء ؟ قال:" لم أجد المثل النادر إلا بيتاً واحداً و لم أجد الشعر السائر إلا بيتاً واحداً"[2].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه-:" من خير صناعات العرب الأبيات يقدّمها الرجل بين يدي حاجته يسترزل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم"[3].

وفي هذه الأغراض يتم التركيز على أهم الأمور وأظهرها وأولاها في نظر المتكلم.

5 – الإيجاز مظهر من مظاهر التديّن:

جاءت دعوة الإسلام بالنهي عن الإسراف والفضول، والاشتغال بما زاد عن الحاجة وذلك للتفرّغ للمهم من أمور الحياة، والاشتغال بالعبادة، فقد روي عن النبي صلى لله عليه وسلم أنه قال: (ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى)[4]، وهذا منهج عام يشمل جوانب الحياة كلها فقد نهى نهى صلى الله عليه وسلم عن الإسراف في المأكل والمشرب و الحديث و العبادة ؛كالنهي عن الوصال في الصوم، والإسراف في الماء عند الوضوء وغيرها، ودعا إلى الاقتصاد والتوسّط في البذل والإنفاق بما لا يجاوز الحاجة، وقد جاءت الأحاديث الكثيرة تبيّن هذا المنهج القويم الذي جعل من الإيجاز أسلوبا حياتيا ومقصدا شرعيا، من ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة قال: "كنت أصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا "[5]، كما نهى صلى لله عليه وسلم عن كثرة الكلام في قوله: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)[6]، وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يقول لآخر"كفاك الله ما أهمك" فقال النبي صلى الله عليه وسلم:"...هذه بلاغة"[7].

---

[1] -المصدر نفسه، ج1.ص207.

[2] – المصدر نفسه ، والصفحة نفسها..

[3] – المصدر نفسه.ج2.ص320.

[4] صحيح ابن حبّان بترتيب ابن بلبان، مراجعة الشيخ: شعيب الأرناؤوط، بيروت، (د ط)، 1993 م، ج 8، ص 121

[5] – مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261 هـ) صحيح مسلم، مراجعة محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت، (د ط)، 1954م، ج 2، ص 591 باب" تخفيف الصلاة والخطبة "

[6] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت256 هـ) صحيح البخاري، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط3، 1987م ، ج5، ص 2376 .

[7] – أبوهلال العسكري. الصناعتين.ص180.

فالإيجاز من منظور شرعي هو ضدّ الإسراف والتبذير وتجاوز الحدّ في القول والعمل وسائر التكاليف الشرعية، وهو السبيل إلى توخي الصدق وتحري الحقيقة والنجاة من السقط.

6 – المحافظة على نشاط المتلقي:

إن قدرة الاستيعاب محدودة، والمحافظة على انشداد وتركيز السامع هي غاية كل مخاطب، لذا فإن الكلام الموجز أقرب إلى النفس، وأبلغ تأثيراً فيها " فهو يندغم فيها ويعلق على جوانبها بحيث يعود من الصعب إزالته من الذاكرة"[1]. وهذا ما أشار إليه أبو هلال العسكري في قوله:" إن للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية وما فضل عن مقدار الاحتمال دعا إلى الاستثقال وصار سبباً للملال فذلك هو الهذر والإسهاب والخطل"[2]، والمتلقي لا يزال قادراً على الاستيعاب والاستماع والتركيز ما لم يصر الكلام إلى إطناب وتكرار ممجوجين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] – سمير أبو حمدان. الإبلاغية في البلاغة العربية، منشورات عويدات الدولية. بيروت.ط1، 1991م..ص129.

[2] – أبو هلال العسكري.المصدرنفسه .ص180-181.

المبحث الأول: تعريف الإيجاز:

أ- لغة:

يأتي الإيجاز في اللغة بمعنى: " وجز الكلام وجازة ووجزاً وأوجز: قلّ في بلاغة، وأوجزه اختصره، وكلام وجز: خفيف، وأمر وجز و واجز ووجيز وموجز وموجزٌ، و الوجزُ: الوحي؛يقال أوجز فلان إيجازاً في كل أمر، وأمرٌ وجيزٌ، وكلام وجيزٌ، أي خفيف مقتصر، قال رؤبة:

لولا عطاء من كريم وجز

أبو عمرو: الوجزُ السريع العطاء، يقال: وجز في كلامه وأوجز؛ قال رؤبة:

على حَزَابيّ جُلالٍ وَجْز

يعني بعيراً سريعاً.

وأوجزت الكلام قصرته، وفي حديث جرير: قال له عليه السلام: (إذا قلت فأوجز)، أي أسرع واقتصر. وتوجّزت الشيء: مثل تنجَّزته، ورجل ميجازٌ: يوجز في الكلام والجواب، وأوجز القول والعطاء: قلّله وهو الوجز؛ قال: ما وجز معروفك بالرماق، ورجل وجز: سريع الحركة فيما أخذ فيه والأنثى بالهاء"[1].

-كما ورد في القاموس المحيط: "الوجز: السريع الحركة والسريع العطاء، والخفيف من الكلام والأمر. وأوجز الكلام: قلَّ، وأوجز كلامه: قلّله وهو ميجازٌ، وأوجز العطية: قلّلها . وتوجَّز الشيء تنجَّزه والتمسه"[2]

فالمصطلح يدل إجمالاً على التخفيف والتقليل، والسرعة والاقتصاد ، وكلها من جنس

---

[1] – ينظر:أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار المعارف، ط1، (د، ت).مادة " وجز" ، وعلي بن اسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة تح: عبد الستار أحمد فراح، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ط1 1958 م، مادة "وجز" .

[2] – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت817هـ).القاموس المحيط، تح: أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي ، دار الكتب العلمية بيروت، ط 2، 2007 م، مادة "وجز".

الإيجاز والإيحاء وهذه الأمور تشمل القول والفعل.

ب اصطلاحا:

يدرس البلاغيون مصطلح الإيجاز ضمن مباحث علم المعاني الذي هو أحد علوم البلاغة الثلاثة، وللموضوع ارتباط وثيق بالدراسات البيانية والبحوث البلاغية الرامية إلى إظهار مواطن الإعجاز البياني للنص القرآني وإبراز إبداعه وتفوقه في فنون القول وأساليب الخطاب، والذي يعنينا في هذا المبحث هو تتبع تطور المصطلح عند القدماء والمحدثين، وذكر التعاريف المتعددة التي رآها أصحابها كفيلة بتبيين حقيقة الإيجاز، وأنواعه، وإظهار مكامن الحسن فيه .

1 – عند القدماء:

فقد كانت الإشارات الأولى للموضوع مبثوثة في نصوص نقلها الجاحظ تثبت اهتمام الأوائل بالإيجاز وهي في كثير من الأحيان تعبّر عن رأيه وقناعته، ومن أشهر الأخبار التي نقلها حوار جرى بين صحار العبدي، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه– لما سأله معاوية عن الإيجاز فقال:"أن تجيب فلا تبطئ، وتقول فلا تخطئ"[1]. والجاحظ لا يكتفي بنقل المحاورة فحسب بل يستدرك على صحار برفضه أن يكون الإيجاز هو التقليل في عدد الحروف، والألفاظ، فالإيجاز في نظره "هو الجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة" [2]. ويواصل توضيح مراده بقوله:" والإيجاز ليس يعنى به قلة عدد الحروف واللفظ، وقد يكون الباب من الكلام من أتى عليه فيما يسع بطن طومار فقد أوجز"[3] ويوضح الدكتور شوقي ضيف مراد الجاحظ من ذلك بقوله:"على أن أبا عثمان لم يعن بالإيجاز مجرد قصر الألفاظ وقلة كميتها، وإنما أراد مساواتها الدقيقة للمعاني دون زيادة وقد يمتد الكلام صفحات ويسمى موجزاً" [4] "ما لم يجاوز مقدار الحاجة ووقف عند منتهى البغية" [5]، والجاحظ من أكثر الناس التزاماً بقانون المناسبة في الخطاب فهو القائل لكل مقام مقال "فللإطالة

---

[1] – الجاحظ.، كتاب الحيوان، تح: عبد السلام هارون. مطبعة الحلبي، ط2، 1965 م. ج1، ص91.

[2] –المصدر نفسه.ج3.ص86.

[3] – المصدر نفسه، ج 1، ص 91.

[4] – الدكتورشوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دارالمعارف، القاهرة، ط9، 1995 م، ص 4.

[5] – الجاحظ، كتاب الحيوان، ج6.ص7.

موضع وليس ذلك بخطل، وللإقلال موضع وليس ذلك من عجز"[1]. فالكلام وإن طال في بعض المواطن لا يخرج عند الجاحظ عن دائرة الإيجاز مادام الهدف هو الإيضاح والإبانة في حين لا يعدّ كل ما يحجب المعنى، أو يتسبب في إغلاقه وغموضه إيجازاً، فالمتكلم" ينبغي له أن يحذف بقدر ما لا يكون سبباً لإغلاقه"[2]. وقد ربط الجاحظ الإطالة بأجناس القول كما ربط الإيجاز بأجناس أخرى.

وقد جمع الجاحظ في كتاب له يسمى" نظم القرآن "شواهد متعلقة بالإيجاز في القرآن الكريم، وجاءت الإشارة إليه بقوله": ولي كتاب جمعت فيه آياً من القرآن لتعرف فضل مابين الإيجاز والحذف، وبين الزوائد والفضول، والاستعارات، فمنها قوله تعالى حين وصف خمر أهل الجنة قال تعالى :(لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ)[3]، وهاتان الكلمتان قد جمعتا جميع عيوب خمر أهل الدنيا..."[4]، وظلت شواهد الجاحظ هي الأكثر تداولاً بين البلاغيين والدارسين لا يجاوزونها إلا في القليل النادر .

وإذا تقدمنا إلى المرحلة الثانية فرسالة الرماني(ت 386هـ) النكت في إعجاز القرآن تعتبر النص المؤسس لظاهرة الإيجاز، فبعد حديثه عن بلاغة القرآن واصفاً إياها بأعلى طبقة في الحسن تحدث عن أقسام البلاغة بقوله" والبلاغة عشرة أقسام:الإيجاز والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان" [5] فانظر كيف جعل الرماني الإيجاز في صدارة أقسام البلاغة وباباً من أبواب إثبات الإعجاز البياني للقرآن" ومعنى هذا أن الإيجاز سيكون المقياس الذي يستطرد منه إلى بقية المظاهر المكونة لهذا الباب كالإطناب والتطويل"[6].

---

[1] –المصدر نفسه .ج1.ص93.

[2] – المصدر نفسه ج 1، ص 91

[3] سورة الواقعة الآية 19

[4] – المصدر نفسه.ج3.ص86.

[5] – الرماني. النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.تح:محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام. دار المعارف مصر، ط3، 1976م، ص76.

[6] – نور الهدى باديس .بلاغة الوفرة وبلاغة الندرة .ط1. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1 . 2008 م .ص28.

وقد حدّه الرماني بقوله:" الإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى، وإذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة، ويمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة فالألفاظ القليلة إيجازٌ" [1]، ويتوسع الرماني في تحديد مفهوم الإيجاز، ودلالاته ولا يقف عند حد اللفظ. "فالإيجاز تهذيب الكلام بما يحسن به البيان، والإيجاز تصفية الألفاظ من الكدر وتخليصها من الدرن، والإيجاز البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ، والإيجاز إظهار المعنى الكثير باللفظ اليسير"[2].

فيظهر من الوهلة الأولى أن الرماني اعتمد في تعريفه على الناحية الكميّة من خلال قوله"تقليل الكلام" لكنه أردفه بشرطين مهمين هما:

-أداء المعنى: فلا يمكن أن يقبل الكلام مهما كانت صورته إذا أخل بالمعنى هذا فضلاً على أن يوصف بالإيجاز.

-تصفية الكلام وتهذيبه وتخليصه من الزيادات التي لا تحقق وظيفة بلاغية أو بيانية فلا عبرة للطول والقصر. ويذهب الرماني إلى ما ذهب إليه الجاحظ بقوله: " وقد يطول الكلام في البيان عن المعاني المختلفة وهو مع ذلك في نهاية الإيجاز، وإذا كان الإطناب لا مترلة إلا ويحسن أكثر منها فالإطناب حينئذٍ إيجاز"[3]. فالعبرة بأداء المعنى وتبيانه وإن بدا في ظاهر الكلام طول فالمقامات مختلفة ويمثّل لذلك بقوله:"كصفة ما يستحقه الله تعالى من الشكر على نعمه فإطناب فيه إيجاز" [4]؛ لأن العبد مهما عدّد نعم الله وأفضاله عليه وأطال فيها الكلام فهو موجز ولا يمكن أن يؤدي شكرها وحمدها وإحصاءها.

وبعد حديثه عن حدّ الإيجاز والشروط التي تضبطه شرع في الحديث عن وجهي الإيجاز بقوله:" والإيجاز على وجهين:حذف وقصر، فالحذف إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام، والقصر بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف" [5] وساق لكل منهما أمثلة من القرآن الكريم-لأن الرسالة في إعجاز القرآن- فعقد مقارنة بين قوله

---

[1] -الرماني، المصدر السابق. ص76.

[2] - المصدر نفسه.ص80.

[3] -المصدر نفسه والصفحة نفسها .

[4] - المصدر نفسه و الصفحة نفسها.

[5]- المصدر نفسه. ص76.

تعالى:﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[1]، وقول العرب(القتل أنفى للقتل) للاستدلال على إعجاز القرآن، وقد وجد أن الآية القرآنية فاقت قول العرب من أربعة وجوه تناولها بالبسط والتحليل ونحن نذكرها إجمالاً، فعبارة القرآن أكثر فائدة، وأوجز عبارة، وأبعد عن التكرار كما هي أحسن تأليفاً بالحروف المتلائمة.

ويرى الرماني أن إيجاز القصر أدقّ من إيجاز الحذف، "فحينما نتأمل إيجاز القصر نجد له طبيعة خاصة تجعله متميّزا، فالكلام الذي يصاغ من أول أمره على الإيجاز أو يدخل في بنية تركيبه و لم يعرض له حذف أدق مسلكا من إيجاز الحذف لأن الحذف يعني أن العبارة جرت على المعنى و امتدت بامتداده ثم سقط جزء منها وأقيم عليه الدليل، أما إيجاز القصر فإنه تطويع للمعنى الكثير و إلباسه بنية لفظية قليلة، وهو جهد صعب لأنه يعني ضغط المعنى ضغطا حاذقا لا يضيّع منه شيئا، ولهذا احتاج هذا الأسلوب إلى فطنة ووعي، وسليقة دربة تعرف كيف نصطنع اللمح والإيحاء واللفظ فيه يدل على معنى ويوميء بثان وثالث". [2]

والملاحظ على جهود الرماني في تعريف الإيجاز هو بداية التقسيم والتفريق بين وجهين من الإيجاز، وظهور تسمية إيجاز القصر و إيجاز الحذف، وتطبيقاتهما بشكل واسع على النص القرآني، وكذا استخراجه لكثير من الشواهد القرآنية التي ظلت الأكثر تداولا عند من جاؤوا بعده.

وبعد الرماني يستوقفنا أبو منصور الثعالبي (ت 429هـ) بكتابه"الإعجاز والإيجاز" وقد تحدث في مقدمته عن الإيجاز القرآني بقوله:" من أراد أن يعرف جوامع الكلم وينبه على فضل الإعجاز والاختصار، ويحيط ببلاغة الإيماء، ويفطن لكفاية الإيجاز فليتدبر القرآن، وليتأمل علوّه على سائر الكلام، فمن ذلك قوله عز ذكره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[3] , استقاموا كلمة واحدة تفصح عن الطاعات كلها في الائتمار والانزجار" [4]

---

[1] – سورة البقرة، الآية 179.

[2] - محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، مطبعة وهبة القاهرة ط2، 1997 م، ص92، 93 (بتصرف)

[3] – سورة الأحقاف ، الآية13.

[4] – أبو منصور الثعالبي (ت429هـ)، الإعجاز والإيجاز، تح: محمد إبراهيم سليم، مكتبة القرآن، القاهرة(د ط) 1999 م، ص10.

وهو بذلك يشير إلى ما تختزنه المفردة القرآنية من معانٍ وفيرة، ودلالات كثيرة، وكتاب الإعجاز والإيجاز غني بشواهد الإيجاز من الحديث النبوي الشريف، وكلام الخلفاء والحكماء، وأشعار العرب، وأقوالهم.

ومن النصوص المهمة والمؤرخة لظاهرة الإيجاز في تاريخ التأليف البلاغي نص العسكري إذ يعتبر" أول نص مهم في قضية الإيجاز والإطناب بعد الرماني" [1] فقد خصّص باباً كاملاً هو الباب الخامس مكونا من فصلين؛ فصل للإيجاز، وفصل للإطناب، وقد أفاض في الحديث عن الإيجاز بنوعيه القصر، والحذف، ومثل لكل منهما من القرآن الكريم، والفصيح من الشعر والنثر.

وفي حدّه للإيجاز اعتمد على ما نقله أصحاب البلاغة من أقوال هي غاية في الدقة والإحاطة منها قولهم ": الإيجاز قصور البلاغة على الحقيقة، وما تجاوز مقدار الحاجة فهو فضل دخل في باب الهذر والخطل، وهما من أعظم أدواء الكلام وفيهما دلالة على بلادة صاحب الصناعة"[2]، ويفهم من هذا أن بلاغة الإيجاز تنتهي عند إظهار الحقيقة والاكتفاء من الكلام بقدر الحاجة دون الزيادة فقد قيل لبعضهم: ما البلاغة؟ فقال: الإيجاز، قيل: وما الإيجاز؟، قال:حذف الفضول وتقريب البعيد[3].

"وأوّل ما يلفت النظر في مسألة الحد تعريفه الإيجاز تعريفاً لا يخلو من غموض، ففي أي معنى يجري لفظ الحقيقة القائم في هذا التعريف كالعمدة فيه؟ وكيف يكون الإيجاز حركة تجعل البلاغة مقصورة على الحقيقة؟"[4] فالظاهر أنه لا يقصد بالحقيقة مقابل المجاز، وإنما هي في التعبير عن الشيء بما هو عليه بحيث يكشف المتكلم مباشرة على غرضه ويؤدي المعنى من أقصر سبيل وأبعده عن التكلف، والعسكري باستعماله لفظ قصور، فهو يشير إلى كل ما من شأنه أن يدخل في بيان الكلام، وتمام معناه ثم لا يتعداه إلى غيره، وهذا يدخل في باب الإيجاز ما دام ضروريا لإظهار حقيقة المراد وتمامه، وهذا ما ذهب إليه في تفضيله الآية الكريمة: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾ [5]على قول العرب "القتل أنفى للقتل"، بقوله:"فمعاني هذا الكلام

---

[1] – نور الهدى باديس، بلاغة الوفرة وبلاغة الندرة.ص45.

[2] أبو هلال العسكري، الصناعتين ص193

[3] –المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[4] – نور الهدى باديس.المرجع السابق، ص47.

[5] سورة البقرة، الآية 179

أكثر من ألفاظه، وإذا أردت أن تعرف صحة ذلك فحلّها وابنها بناء آخر فإنك تجدها تجيء في أضعاف هذه الألفاظ"[1]، وفي هذا إشارة إلى الزيادة في المعاني المتولدة من الآية وهي ضمن دائرة الإيجاز.

كما يمكننا الاستفادة من القول الذي تبناه العسكري "الإيجاز قصور البلاغة على الحقيقة" في إقرار قانون مراعاة المناسبة بين المتكلم والسامع، فمستويات الخطاب تختلف باختلاف مقامات المتكلمين، ومقامات المستمعين، فكل ما زاد عن حاجة المتلقي فهو خارج عن البلاغة .وقد تميّز حديث العسكري عن الإيجاز بكثرة الشواهد وتنوّعها؛ بين القرآن والحديث الشريف، والكلام الفصيح من شعر ونثر، فمدونته منهج تطبيقي لكل ما أورده من أحكام وآراء وحدود.

أما الجرجاني(ت471 أو474هـ) فلا يمكن أن ندرس ظاهرة الإيجاز عنده إلا في إطار نظرية النظم التي تعد أعظم ما وصل إليه التفكير البلاغي عند العرب في القرن الخامس، فالرجل لم يخصّص لظاهرة الإيجاز بابا خاصا مثلما فعل من سبقه من البلاغيين، إلا ما كان منه من حديث مطوّل عن الحذف وأسراره، وبعض الشذرات في كتابيه دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة فيها حديث عن الحذف والزيادة.وأوّل ما يلاحظه في دراسته للبلاغة رفضه ما ذهب إليه البلاغيون في إرجاعهم البلاغة والفصاحة إلى اللفظ وحده، بينما يرجعها هو إلى المعنى فقال في معرض ردّه على القاضي عبد الجبار المعتزلي: "وفخّموا شأن اللفظ وعظمّوه حتى تبعهم في ذلك من بعدهم، وحتى قال أهل النظر:(إن المعاني لا تتزايد إنما تتزايد الألفاظ)فأطلقوا كما ترى كلاما يوهم كل من سمعه أن المزية في حاقّ اللفظ ؟"[2] ويستطرد الجرجاني في تبيين مزية المعنى على اللفظ ويدلل على ذلك بالمعاني المرادة في الكناية والمجاز والاستعارة إذ لا يعود الفضل فيها للألفاظ بل لما تحمله من معان ودلالات، فهو يرى —مثلا – أن الاستعارة تكون في معنى اللفظ، "فالمستعار بالحقيقة يكون معنى اللفظ و اللفظ تبع "[3]والأمر كذلك بالنسبة للمجاز، " وإذا عرفت ما لزمهم في الاستعارة والمجاز فالذي يلزمهم في الإيجاز أعجب وذلك أنه يلزمهم إذا كان اللفظ فصيحا لأمر يرجع إليه نفسه دون معناه أن يكون كذلك موجزا لأمر يرجع إلى نفسه وذلك من المحال الذي

---

[1] – أبو هلال العسكري.الصناعتين . ص175.

[2]-الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، كتاب دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق:أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة (د ط) 2000 م، ص 63

[3] –المصدر نفسه، ص 460.

يضحك منه لأنه لا معنى للإيجاز إلا أن يدل بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى وإذا لم تجعله وصفا للفظ من أجل معناه، أبطلت معناه أي أبطلت معنى الإيجاز "[1] إذ لا معنى في نظره لتقليل اللفظ إن لم تجعله وصفا له من أجل معناه، لأنك بذلك تبطل معنى الإيجاز دفعة، إذ لا سبيل إلى تكثير المعنى أو تقليله في مستوى بنية اللفظ والأصوات التي تكونه.. وهو ينظر إلى المسألة من باب "أن المعاني المودعة في الألفاظ لا تتغيّر على الجملة عما أراده واضع اللغة .. فلا معنى لقولنا:(كثرة المعنى مع قلة اللفظ) "[2]، والمسألة تعود بالأساس إلى قدرة المتكلم ومنشيء الخطاب على بناء نص مكثف يدل فيه المعنى على معنى آخر مشتق منه، وهذا ما اصطلح عليه بمعنى المعنى، "فالمتكلم يتوصل بدلالة المعنى على المعنى إلى فوائد، ولو أنه أراد الدلالة عليها باللفظ لاحتاج إلى لفظ كثير"[3]. وبالتالي يكون الجرجاني قد تخلص من اعتبار الكم في قضية الإيجاز وفتح الباب أمام توليد المعاني والاستدلال عليها ببعضها بطريقة الإيحاء والتأويل.

كما تعرّض ابن الأثير(ت637هـ) في كتابه المثل السائر لموضوع الإيجاز وخصّص له باباً مطولاً ومشبعاً بالأدلة والشواهد مستفيداً من دراسات سابقيه، ومضيفاً إليها ما أمكنه من الشواهد المسموعة، والمصنوعة. فقد حد الإيجاز بقوله:"هو دلالة اللفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه"[4]، وأردف قائلاً" والتطويل هو ضد ذلك، وهو أن يدل على المعنى بلفظ يكفيك بعضه في الدلالة عليه"[5]، ولعل جمع ابن الأثير للتعريفين في موضع واحد هو من باب إظهار الفرق بينهما، وبيان حقيقة كل منهما، فشرط الإيجاز هو أداء المعنى دون زيادة، ويتأتى ذلك ب "حذف زيادات الألفاظ، وهذا نوع من الكلام شريف، لا يتعلق به إلا فرسان البلاغة، وذلك لعلو مكانه، وتعذر إمكانه"[6]، وبهذا النعت يضع ابن الأثير الإيجاز على ذروة البلاغة، ويجعله من بلاغة الخاصة وليس في متناول الجميع .

ويرجع ابن الأثير السرّ في بلاغة الإيجاز"إلى المعاني لا إلى الألفاظ، ولست أعني بذلك أن

---

[1]– المصدر نفسه ص 463 .

[2]– المصدر نفسه ص464.

[3]–المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[4] – أبو الفتح ضياء الدين بن محمد الموصلي ابن الأثير، . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، .تح:أحمد الحوفي.و بدوي طبانة.. دار الرفاعي الرياض، ط 2، 1983 م.ج2، ص 307.

[5] –ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص 307.

[6] – المصدر نفسه.ص303.

تهمل الألفاظ بحيث تعرى عن أوصافها الحسنة، بل أعني أن مدار النظر في هذا النوع إنما يختص بالمعاني، فربّ لفظ قليل يدل على معنى كثير، وربّ لفظ كثير يدل على معنى قليل" [1]، ثم تحدث ابن الأثير عن أقسام الإيجاز، مبتدءا بالإيجاز بالحذف، مكتفيا في تبرير الحذف بدلالة فحوى الكلام على المحذوف، أي باعتماد السيّاق وسكت عن دلالة الحال التي ألحّ عليها الرماني، والمحذوف في نظره يظهر بالإعراب، ومنه ما يظهر بالنظر لتمام المعنى.

وأما القسم الثاني من الإيجاز فهو مالا يحذف منه شيء، وهو ضربان:

- **أحدهما**:ما ساوى لفظه معناه، ويسمى "التقدير".

- **الآخر**: ما زاد معناه على لفظه، ويسمى"الإيجاز بالقصر" [2]، فالضرب الأول الذي سماه التقدير هو ليس من الإيجاز عند جمهور البلاغيين، وإنما هو قسم مستقل يسمونه (المساواة)، وربما كان يقصد أن تكون الألفاظ على قدر المعنى جرياً على قانون مراعاة مقتضى الحال، وإن كانت التسمية"لا تخلو من الغرابة والالتباس" [3]، ثم انتقل بعد ذلك إلى الضرب الثاني وسمّاه القصر إلا أنه أضاف إضافة جديدة لم يذكرها السابقون رغم اشتراكهم في التسمية، فقد قسّم الإيجاز بالقصر إلى قسمين:

أحدهما: ما دلّ لفظه على محتملات متعددة، وهذا يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدتها.

والآخر: ما يدل لفظه على محتملات متعددة، ولا يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدتها.

وابن الأثير بهذا التقسيم يخالف كل من سبقه، وهو يدرك ذلك فتراه يجيب عن أسئلة يطرحها على لسان منتقديه ويجيب عنها مبدياً رأيه وحجته.

وللسكّاكي في تعريف الإيجاز رأيٌ حاز كثيراً من العناية من قبل الشرّاح والبلاغيين القدامى، واستمر النقاش حوله عند المتأخرين والمعاصرين إذ يقول: "أما الإيجاز والإطناب فلكونهما نسبيين لايتيسّر الكلام فيهما إلا بترك التحقيق والبناء على شيء عرفي، مثل جعل كلام الأوساط على مجرى متعارفهم في التأدية للمعاني فيما بينهم، ولابد من الاعتراف بذلك مقيساً

---

[1] - المصدر نفسه و الصفحة نفسها

[2] - المصدر نفسه .ص367.

[3] - نور الهدى باديس .بلاغة الوفرة وبلاغة الندرة.67.

عليه، ولنسمّه متعارف الأوساط، وأنه باب البلاغة لا يحمد منهم ولا يذمّ، فالإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقل من متعارف الأوساط"[1].

إن اعتراف السكاكي بالنسبيّة في تحديد الإيجاز والإطناب جعله يفكر في معيار يقاس عليه، ويتخذ مرجعاً في تحديد مستوى الإيجاز والإطناب، وهو في نظره متعارف الأوساط، والإشكال يبدأ من تحديد الأوساط[2]، وهذا أمرٌ في غاية النسبية، فالكلام في نظره إذا قلّ عن متعارف الأوساط فهو موجز وإن زاد عنه فهو مطنب، والمقيس عليه يجب أن يلقى قبول الطرفين حتى يكون مؤهلاً للاحتكام إليه فلابد من الاعتراف بذلك، وقول السكاكي غاية في الوجاهة إذ العملية التعبيرية هي عملية نسبيّة، وليست عملية رياضية دقيقة، ثم إنها تخضع لحال المخاطبين ومستوياتهم وقدراتهم على الفهم والاستيعاب، وقد ردّ القزويني على السكاكي بقوله:"ثم البناء على المتعارف والبسط الموصوف ردّ إلى الجهالة، والأقرب أن يقال: المقبول من طرق التعبير عن المراد تأدية أصله بلفظ مساوٍ له أو ناقص عنه وافٍ، أو زائدٍ عليه لفائدة، واحترز بوافٍ عن الإخلال"[3]، فقوله:"ناقص عنه واف" يشير إلى الإيجاز فهو ناقص لفظاً وافٍ معنىً. فواضح أن القزويني يرفض المعيار الذي اشترطه السكاكي، ويردّ الحكم في القضية إلى طريقة التعبير فالكلام إما أن يكون مساواة، أو إيجازا، أو إطنابا.

2- عند المحدثين (الدراسات الحديثة):

لا تقلّ عناية الباحثين المعاصرين في مجال البلاغة، والأسلوب والأسلوبية عن اهتمامات المتقدمين الذين سبق الحديث عن آرائهم، فلقد اهتم المحدثون والمعاصرون بدراسة الإيجاز في إطار السياق وتركيب الجملة، والعلاقة بين اللفظ والمعنى، فنظروا إلى الإيجاز باعتباره خطابا مبنيًّا على الاقتصاد في اللفظ والتكثيف في المعنى، ففي الإيجاز شحنات كامنة لا تقف عند المعنى الأوليّ الظاهر" فكل كلام نقوله محتمل ضرورة معنى ثانيا لابد من البحث عنه، وإن لم يكن واضحاً في ظاهر القول"[4]، فاللغة في غير الإيجاز والتكثيف لا تدل سوى على المعنى الظاهر من اللفظ وهو ما

---

[1] – أبو عبد الله جلال الدين بن عمر القزويني.(ت739 هـ) التلخيص في علوم البلاغة. دار الفكر العربي.ط 1، ص209.

[2] – الأوساط:الذين لم يرتقوا إلى ذروة البلاغة، و لم يتدلوا إلى حضيض العيّ والفهاهة. المصدر نفسه.ص210.

[3] –المصدر نفسه، ص210.

[4] – نور الهدى باديس، المرجع السابق .ص112.

اصطلحوا عليه"الدرجة الصفر" بينما في الإيجاز يدل على المعنى والمعنى الثاني، أو معنى المعنى، وما يسمى بدلالة التوالد فالخطاب بنية متعددة الدلالات تنفتح عن معانٍ كثيرة يحتملها النصّ، ولقد توسعوا في دراسة الظاهرة بالحديث عن ضرورة مراعاة السياق العام الذي يترل فيه الخطاب، واحترام وضع المخاطب من حيث قدرته اللغوية واستعداده لقبول الخطاب وفهم أبعاده، كما أشاروا إلى الدلالة الإيحائية للنص، فالتكثيف يؤدي إلى استيعاب المعنى، والقدرة على الإلمام بجوانبه، وهذا يفتح باب التخيّل والاحتمال على مصراعيه أمام المتلقي ليفيد منه بحسب خبرته، ويتخيل من الصور والمعاني بحسب ما يمكن أن يوحي به النص وينسجم معه، فيتسع في تصور الدلالة الإيحائية اتساعاً لا يمكن للشاعر أو الكاتب أن يحدثه في نفس المتلقي لو لم يعمد إلى مثل هذا الأسلوب من الكلام"[1]، ولازالت الدراسات تحفل ببحوث حديثة تثري البحث في بلاغة الإيجاز باعتباره بناء لغويا وخطابا يتميز بالاقتصاد في البناء والكثافة في الدلالة إذ تنبعث من نسجه دلالات وإيحاءات كثيرة.

ومن أبرز هذه الدراسات ما قام به عبد الله درّاز، إذ لا يمكن الحديث عن الإيجاز في الدرس البلاغي الحديث دون الرجوع إلى كتابه النبأ العظيم؛ هذا الكتاب الذي يعدّ إضافة رائعة في مجال الدراسات البيانيّة، وهو يعكس مكانة صاحبه ومدى تمكنه من علوم اللغة والبيان ، فهو الفنان المبدع، والذواقة المستبصر بأساليب القرآن وفنونه، وقبل الحديث عن تعريفه للإيجاز تجدر الإشارة إلى تأثره بالتعريفات الحديثة من خلال استعماله للفظي الاستثمار والتوليد، عند قوله:"إن القرآن الكريم يستثمر دائماً برفق أقلّ ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني" [2]، ويشير بلفظ (دائما) إلى كل ظروف التنزيل، وأحوال المخاطبين رغم اختلاف البيئة، " فالإيجاز ظاهرة بارزة فيه كله يستوي فيها مواضع إجماله التي يسميها الناس مقام الإيجاز، ومواضع تفصيله التي يسمونها مقام الإطناب، ولذلك نسميه إيجازٌ كله" [3]، وبهذا الرأي يخالف عبد الله درّاز من سبقه من الباحثين، والدارسين، وحجته في ذلك أن القرآن في كلا المقامين لا يجاوز سبيل القصد،

---

[1] – مجيد عبد المجيد ناجي. الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1984م .ص129.

[2] – عبد الله دراز، النبأ العظيم. مطبعة السعادة بمصر(د ط)، 1960 م، ص159.

[3] – المصدر نفسه والصفحة نفسها.

ولا يميل إلى الإسراف ميلاً ما"[1]، فألفاظه جاءت لتأدية المعاني التي وضعت لها دون إفراط أو تفريط، حيث نرى أن مراميه في كلا المقامين لا يمكن تأديتها كاملة العناصر، والحلى بأقل من ألفاظه بما يساويها، "فليس فيه كلمة إلا وهي مفتاح لفائدة جليلة، وليس فيه حرف إلا جاء لمعنى"[2]، فالعبرة في نظره بتأدية المعنى وبلوغ الغاية لا بطول الكلام أو قصره، و لم يفته الحديث عن المقياس الذي يعدّ حداً فاصلاً بين الإيجاز والإطناب، " فالمقياس هو المقدار الذي يؤدى به المعنى بأكمله بأصله وحليته على حسب ما يدعو إليه المقام من إجمال أو تفصيل بغير إجحاف، ولا إسراف، هذا القدر الذي من نقص عنه أو زاد عده البلغاء حائداً عن الجادة بقدر ما نقص أو زاد"[3]، فهذا المعيار الذي جعله عبد الله دراز أساساً لتحقيق الإيجاز يخالف ما قاله السكّاكي قبله- متعارف الأوساط- وهو ما يتكلم به أوساط الناس في خطاباتهم المتعارف عليها فما نقص عن ما تعارفوا عليه ووفى بالمعنى فهو الإيجاز، وما زاد عنه مع الإفادة فهو الإطناب، والبناء على العرف كما سبقت الإشارة إليه رداً إلى الجهالة وهو معيار لا يطّرد مع كل الحالات" لأن العوام يتكلمون في المعنى الواحد باللفظ المطول تارة، وبالمختصر تارة أخرى، و لم يتحرّوا إصابة المجزّ في كل منهما، أما الثاني فلأن اللفظ الذي وضع في اللغة لتأدية المعنى الأول مختلف، فمنه ما يؤديه بوجه مجمل، ومنه ما يؤديه بلفظ مفصل، و كل من الإجمال والتفصيل يتفاوت في نفسه تفاوتاً كبيراً، فلا ينضبط منهما قدر يرجع إليه في معرفة الإيجاز والإطناب ؛ إذ ما من كلام وجيز إلا ويمكن تأدية معناه الإجمالي بأقل من لفظه أو بما يساويه وإن لم يغن غناءه، و لم يوف وفاءه حتى المثل الذي عدوه علماً بالإيجاز وهو قوله تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[4] يمكن تأدية أصل معناه بقولك"انتقم تسلم" و"اقتص تحيا".[5] لكن لماذا نجد في القرآن مواطن إجمال وأخرى مواطن تفصيل، بل يأتي المعنى تارة مجملاً، ويأتي تفصيله في مقام آخر؟. يجيب عبد الله دراز بنفسه عن هذا السؤال بمثال جاء في قوله تعالى: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ

---

[1] – المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[2] – المصدر نفسه.والصفحة نفسها.

[3] – المصدر نفسه .ص161.

[4] – سورة البقرة الآية 179.

[5] عبد الله دراز، النبأ العظيم، ص 160.

قِصَاصٌ)[1] لأنه إيجاز وقد جاء بسطه في قوله تعالى: (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ)[2]، " وهذا الكلام على طوله يعد موجزاً إذا قيس إلى قولك في مثل معناه" من قتل نفساً قتل بها، ومن فقأ عينا فقئت عينه، ومن جدع أنفاً جدع أنفه، ومن جدع أذناً جدعت أذنه..." [3] فهي إيجاز إذا قيست بكلام البشر لكنها ليست كذلك إذا قيست بالآية التي سبقتها مع العلم أن القرآن في كلا المقامين لا يجاوز سبيل القصد، ولا يميل إلى الإسراف ميلاً ما، فما العيب أن يقال إن القرآن أوجز في الأولى لفائدة، وأطنب في الثانية لفائدة أيضاً، وهذا مراعاة للمقام ومقتضى الحال، وجريا على سنن العرب في كلامها، والإطناب كما هو معلوم زيادة لفائدة إذ القرآن منزّه عن زيادة كلمة أو حرف لغير فائدة، والذي يمكننا قوله إن كلام عبد الله دراز وجيه إذا تعلق بالحديث عن المضمون والمعنى المراد، ففي الحالتين إيجاز إلا أنّ الأمر مختلف من حيث التركيب والبناء فليس الإجمال كالبسط.

[1] – سورة البقرة الآية194.

[2] – سورة المائدة الآية 45.

[3] – عبد الله دراز، المصدر السابق، ص 160.

المبحث الثاني: أقسام الإيجاز في الدرس البلاغي العربي:

أ - إيجاز القصر:

في بداية المبحث ارتأينا ضبط المصطلح؛ فكثيرا ما يحدث الخلط بين المصطلحين ؛ فالقصر الذي ندرسه هو نوع من الإيجاز وهو بكسر القاف وفتح الصاد من "القصر خلاف الطول، وقصرت كذا جعلته قصيرا، وقصر الصلاة جعلها قصيرة بترك بعض أركانها ترخيصا" [1]، والقصر بفتح القاف وتسكين الصاد "بمعنى الحبس، وقصرت نفسي على هذا الأمر إذا لم تطمح إلى غيره"[2]وهذا الأخير باب من أبواب البلاغة المعروفة له أقسامه وتفصيلاته.

وبالرجوع إلى موضوعنا يمكن القول إن القيمة الفنية والبلاغية لإيجاز القصر حازت اهتمام البلاغيين، فهو باب مهمّ من أبواب التعبير "وهو يعدّ أعلى طبقات الفصاحة مكاناً وأسماها مترلة"[3]، وقد جاءت الإشارة إليه عند الجاحظ بقوله:"هو الجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة"[4] فالجاحظ قد أشار إلى"ما عرف بإيجاز القصر وإن لم يسمّه"[5]، وقد حده صاحب الصناعتين ب "أن يكون اللفظ القليل مشاراً به إلى معانٍ كثيرة بإيماء إليها ولمحة تدل عليها"[6]، والرماني لا يختلف عن ذلك إلا من اشتراطه عدم الحذف "..فالقصر بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف"[7]، و عند الباقلاني "هو اشتمال اللفظ القليل على المعاني الكثيرة" [8]، وأطلق عليه اسم

---

[1] – أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن تح:محمد سيد كيلان، دار المعرفة، لبنان(د ط، د ت)، مادة " قصر"

[2] –أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ)، أساس البلاغة، تح:عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت لبنان،(د ط) 1979م، مادة "قصر"

[3] – د. عبد القادر حسين. فن البلاغة. مطبعة الأمانة (د ط)، 1977 م.ص195.

[4] – الجاحظ. الحيوان، ج3.ص86.

[5] – عبد الفتاح لاشين. المعاني في ضوء أساليب القرآن.دار المعارف (د ط)، 1978 م.ص344.

[6] – أبو هلال العسكري. الصناعتين.ص399.

[7] –الرماني، النكت في إعجاز الفرآن الكريم، .ص76.

[8] – الباقلاني. إعجاز القرآن الكريم .تح:السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط 5، 1981 م، ص90.

اسم الإشارة وهي تعدّ من الإضافات الأولى لهذا التعريف، وهي قريبة من الإضافة التي أضافها العسكري في قوله":بإيماء إليها، ولمحة تدل عليها"، وهي كلها توحي إلى شدة الإيجاز، وهي الإيماء والإشارة والإيحاء، ومن الإضافات والتطورات التي لحقت المصطلح ما قاله صاحب البديع إن إيجاز القصر يمكن أن يطلق عليه اسم"التضييق" وهو"أن يضيق اللفظ عن المعنى لكون المعنى أكثر من اللفظ"[1]، ومنها أيضاً ما أحدثه ابن الأثير من تقسيم الإيجاز بالقصر إلى قسمين:

– أحدهما: ما دل لفظه على محتملات متعددة، ويمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدتها.

والآخر: – ما يدل لفظه على محتملات متعددة، ولا يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدتها لا، بل يستحيل ذلك"[2]، وهو أعلى طبقات الإيجاز مكاناً وأعوزها إمكاناً، وإذا وجد في كلام البلغاء فإنما يوجد شاذاً ونادراً"[3].

وحاول ابن أبي الإصبع(ت 645هـ) التوفيق بين مصطلحي-إيجاز القصر، والإشارة بقوله:" الإيجاز بألفاظ المعنى الموضوعة له، وألفاظ الإشارة لمحة دالة"[4]، فإيجاز القصر عنده"اختصار عنده"اختصار بعض ألفاظ المعاني ليأتي الكلام وجيزاً من غير حذف لبعض الاسم، ولا عدول عن لفظ المعنى الذي وضع له" [5]، أما الإشارة "فهي إشارة المتكلم إلى معان كثيرة بلفظ يشبّه لقلته واختصاره بإشارة اليد" [6]فالإشارة هي أشد إيجازا من إيجاز القصر ذلك أنّ" المشير بيده يشير دفعة دفعة واحدة إلى أشياء ولو عبّر عنها بلفظ لاحتاج إلى ألفاظ كثيرة جداً، ولا بد في الإشارة من اعتبار صحة الدلالة، وحسن البيان مع الاختصار، لأن المشير بيده إن لم يفهم المشار إليه معناه بأسهل ما يكون فإشارته معدودة من العبث"[7]، ويضع ابن أبي الإصبع الإيجاز على رأس البلاغة ففي نظره " البلاغة قسمان:إيجاز، وإطناب، "[8] ويتوسع ابن أبي الإصبع في تبيين حقيقة الإيجاز و

---

[1] - أسامة بن منقذ . البديع في نقد الشعر. تح:د. أحمد بدوي و د.حامد عبد المجيد .مطابع الحلبي (دط)، 1960 م.ص155.

[2] – ابن الأثير. المثل السائر. ج2.ص367.

[3] – المصدر نفسه.ج2.ص385.

[4] – ابن أبي الإصبع، بديع القرآن.مكتبة نهضة مصر(د ط).1957م.ص82.

[5] – ابن أبي الإصبع. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن .تح: د.حفني محمد شرف. لجنة إحياء التراث الإسلامي. القاهرة(د ط) 1983 م.، ص459.

[6] المصدر نفسه ص 200.

[7] – المصدر نفسه و الصفحة نفسها.

[8] المصدر نفسه ص 462.

أقسامه مما يدل على بعد نظره وإلمامه بأطراف الموضوع، كما نلاحظ شدة تغليبه لجانب المعنى على اللفظ على طريقة الجرجاني، فتأمل قوله:" والإيجاز إيجازان: إيجاز حقيقيّ، وإيجاز مجازيّ ؛ فما كان منه حقيقيا بقيّ عليه اسم الإيجاز، وما كان مجازيا وضعوا لكل قسم منه اسما يخصه و يناسب اشتقاقه فإن المجاز إيجاز وهو حذف بعض الكلام لدلالة الباقي عليه أو للاستغناء بالقرينة ..و الإشارة والإرداف والتمثيل إيجاز لكن هذه الأبواب تجيء بغير ألفاظ المعاني الموضوعة لها "[1].

والأمر عند صاحب الطراز أكثر وضوحاً إذ يقول في معرض حديثه عن إيجاز القصر: "ويقال له الإشارة أيضاً"[2]، لكن تعريفه لإيجاز القصر لا يحمل جديداً فهو يراه: " اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل"[3]، ووصفه بأنه" دقيق المجرى صعب المرتقى، لا يختص به من أهل الصناعة إلا واحداً بعد واحد ومهما عظم المطلوب قلّ المساعد"[4].

و لم يرد ذكر إيجاز القصر كمصطلح قائم بذاته في تعريف السّكاكي (ت 626هـ)، وإنما جاء تعريفه للإيجاز تعريفاً عاماً، فالإيجاز في نظره" هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط"[5]، وقد أورد القزويني كلام السّكاكي ثم علّق عليه بقوله: " المقبول من طرق التعبير عن المعنى: هو تأدية أصل المراد بلفظ مساوٍ له، أو ناقص عنه وافٍ، أو زائدٍ عليه لفائدة"[6]، والملاحظ في كلا التعريفين الإشارة إلى إيجاز القصر وإن جاء معناه متضمناً من خلال المفهوم العام للإيجاز.

وقد أخذ المصطلح عند الإمام السيوطي تسمية جديدة حيث أطلق عليه"الإيجاز الجامع" وذلك من خلال عرضه للتقسيمات التي جاء بها الطيبي في التبيان فهذا الأخير يعتبر " أن الإيجاز الخالي من الحذف ثلاثة أقسام: أحدها:إيجاز القصر: وهو أن يقصر اللفظ على معناه، وهو ما

---

[1] -ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير، ص 462 .

[2] – ابن حمزة العلوي. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز.دار الكتب العلمية بيروت(د ط)، 1982 م.ج2.ص88

[3] – المصدر نفسه و الصفحة نفسها.

[4] – المصدر نفسه.والصفحة نفسها.

[5] – أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السّكاكي، مفتاح العلوم، تح:عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية لبنان، ط 1، 2000م، ص 388

[6] – القزويني. الإيضاح في علوم البلاغة. شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الحسين التجارية.ط1، 1949 م، ص 192

كانت ألفاظه قوالب معناه واعتبره هو(أي السيوطي) من قبيل المساواة وليس الإيجاز ونوع ثان وهو إيجاز التقدير: وهو أن يقدّر معنى زائدا على المنطوق، ويسمّى بالتضييق أيضا ؛ لأنه نقص من الكلام ما صار لفظه أضيق من قدر معناه، ونوع ثالث: وهو الإيجاز الجامع ؛وهو أن يحتوي اللفظ على معان متعددة"[1]، ومثل له بأمثلة كثيرة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾[2]، وذكر المعاني الكثيرة المستفادة منها مما يدل على أنه كان يشير بقوله: الإيجاز الجامع إلى الإيجاز بالقصر.

وبالإجمال فإن كتب البلاغيين القدامى حافلة بتعاريف شتى لإيجاز القصر، وتكاد تجتمع في فكرتها ومعناها، وإن اختلفت أحياناً في صياغتها ومبناها، فكلها تجتمع في تعريف واحدٍ هو تأدية المعنى الكثير باللفظ القليل دون حذف، وقد تعرضت الدراسات الحديثة لهذا المفهوم في إطار علاقة اللفظ بالمعنى .

يقول محمد عابد الجابري": إن أول ما يلفت الانتباه في الدراسات والأبحاث البيانية سواء في اللغة أو النحو أو الفقه أو الكلام أو البلاغة أو النقد الأدبي هو ميلها العام والواضح إلى اللفظ والمعنى"[3]، فالعلاقة بين اللفظ والمعنى يربطها القدر الذي ينتجه اللفظ من معنى فبقدر قلة اللفظ واتساع المعنى يتحقق إيجاز القصر وهو ما يصطلح عليه في الدراسات الحديثة بالتكثيف أو شحن الألفاظ بأكبر قدر من المعاني فالتعبير بالألفاظ القليلة عن المعاني الكثيرة هو القصر، أي قصر اللفظ وطول المعنى، لتحقيق التوسع في الدلالة الإيحائية، و القصر في نظر الأسلوبيين هو خطاب يتسم بالتكثيف والتركيز وتوالد لإيحاءات من معنى إلى ثان وثالث.

ب- الإيجاز بالحذف:

يعدّ إيجاز الحذف قسيم إيجاز القصر، فمن المعلوم أن العرب كانت تعرف الحذف في كلامها وجعلته دليلا على البلاغة والدقة وحسن التخلص من الإسهاب والإطناب، فهي تستعمله " للإيجاز والاختصار والاكتفاء بيسير القول إذا كان المخاطب عالما بمرادها فيه"[4]، وقد امتدحه

---

[1]- أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين أبو بكر السيوطي (ت 911هـ) معترك الأقران في إعجاز القرآن، ضبط وتصحيح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1، 1988 م، ج 1، ص 223، 224

[2] - سورة النحل الآية 90.

[3] - مختار عطية، الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز"دراسة بلاغية" دار المعرفة الجامعية، (د ط)، 1997 م، ص 42.

[4] - ابن وهب، البرهان في وجوه البيان.تح: حفني شرف.دار الكتب العلمية بيروت (د ط) 1982م.ص69.

البلاغيون و النحويون فكان الخليل بن أحمد يلاحظ خفّة الكلام والذي ينشأ عن الحذف ويرى أن تلك الخفة يجب أن نلتزمها "ما دام ذلك لا يؤدي إلى لبس المعنى في ذهن السامع وكان المخاطب يعلم ما حذف من الكلام "[1]ولقد بلغ الإعجاب بعبد القاهر الجرجاني فقال في وصف الحذف وحدّه هو:" باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"[2]، ففي الحذف فصاحة وبيان وفي الذكر عيّ ونقصان، وهذا التفضيل نفسه عند الرماني ويرجعه إلى اتساع الدلالة عند الحذف وما فيه من إعمال الفكر لإدراك المعاني المرجوة ؛" فالحذف أبلغ من الذكر لأن النفس تذهب فيه كل مذهب ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان "[3]، وفي النفس ميل فطري لمعرفة المحذوف الخفيّ أكثر من النظر في المكشوف الجليّ.

شروط الحذف: يمكن تقسيمها إلى شرط نحوي وآخر بلاغي:

فأما الشرط النحوي فهو: أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف و لو تقديراً، "فالأصل في المحذوفات جميعها على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف، ف إن لم يكن هناك دليل على المحذوف، فإنه لغو من الحديث لا يجوز بوجه ولا سبب"[4]، وهذا الدليل هو الذي يساعد على تحديد المحذوف وتقديره حتى يحدد بدقة ومن غير كلفة، وقد يظهر المحذوف بالإعراب كقولنا "أهلا وسهلا"فإن نصب الأهل والسهل يدل على ناصب محذوف، تقديره: وجدت أهلا ولقيت سهلا، إلاّ أن لفظتي وجدت ولقيت محذوفتان، والمعنى الذي دلاّ عليه باق، فصار المعنى حينئذ مفهوما مع حذفهما.

والشرط الثاني: و هو متعلق بالبلاغة و تأدية الحذف للمعنى فإذا وقع الإشكال واللبس في المعنى بسبب الحذف عدّه علماء البلاغة من باب الإخلال .والحذف القبيح هو:" أن يترك من اللفظ ما به يتم المعنى" فإذا حقّق الحذف زيادة عن الاختصار نكتا بلاغية ولطائف

---

[1] –.مختار عطية، المرجع السابق، ص37.

[2] – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز.ص146

[3] الرماني، النكت في إعجاز القرآن الكريم ، ص 77

[4] – ابن الأثير. المثل السائر، ج 2 ص268

بيانية وكان بعيدا عن تعمية المعنى وكانت ألفاظه المذكورة أوعية لمعانيه أغنت عن المحذوف ودلّت عليه فهو الحذف البليغ المحمود، و يمكن تلخيص دواعي الحذف في: الاحتراز عن العبث، والتعظيم، والتخفيف، ورعاية الفاصلة، وصيانة المحذوف عن ذكره، وكذلك صيانة اللسان عن ذكر المحذوف، وشهرة المحذوف بحيث يكون ذكره وعدمه سواء.

وقد كثرت مظاهر الحذف في لغة العرب، وتعددت كما جاء القرآن الكريم بأحذق أنواع الحذف وأبلغها على الإطلاق قامت دليلا قاطعا على إعجازه وتفرّد بيانه.

أقسام الحذف: يظهر الحذف في القران الكريم في الوجوه الآتية:

1 - حذف الحرف .

2- حذف الكلمة المفردة .

3- حذف الجملة .

أولا: حذف الحرف : جاء حذف الحرف في القرآن قياسا على الأساليب العربية في بقاء المعنى وتحقيقه مع الحذف فلا يعد حذفه إخلالا أو تقصيراً و أمثلته في القران كثيرة منها:

-حذف لا: تحذف (لا) من الكلام وهي مرادة ومنه قوله تعالى : ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْ﴾[1]، وقوله تعالى : ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥﴾[2] أي: لا تفتأ تذكر يوسف.

ومن أمثلة حذف لا النافية في كلام العرب قول امرئ القيس[3]:

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي.

أي: لا أبرح قاعدا، فحذف لا في هدا الموضع وهو كما تر ى يريد إثبات مرادها وعملها من نفي المغادرة والإصرار على البقاء ولو كان فيه حتفه وهلاكه.

---

[1] - سورة النساء الآية176.

[2] - سورة يوسف الآية 85.

[3] -ابن الأثير، المثل السائر، ج 2، ص 314

ح ذف الوا و:ويحسن ذلك عند العطف فإذا لم يذكر الحرف المعطوف به كان ذلك بلاغة وإيجازا، ومن أمثلته في القران الكريم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ﴾[1] "تقدير هذا الكلام: لا يألونكم خبالا و ودّوا ما عنتم وقد بدت البغضاء من أفواههم، فلما حذفت الواو جاء الكلام أوجز وأحسن طلاوة و أبلغ تأليفا ونظما"[2] وقد يرد حذف الواو وذكرها في مواضع مماثلة لبعضها كقوله تعالى في شأن أهل النار: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[3]، وقوله تعالى في شان أهل الجنة: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾[4]، فحذفت الواو في الموضع الأول، وذكرت في الموضع الثاني ولهذا دلالات منها:- "حذفت الواو في الموضع الأول دلالة على أن أبواب جهنم فتحت حين جاؤوها لأن إذا ظرف لما يستقبل من الزمان وفتحت جوابا وذكرت في الثانية دلالة على أن أبواب جهنم كانت مفتحة قبل أن يأتوها والجنة دار كرامة و تشريف فللترحيب بهم استعدت لهم قبل وصولهم"[5] .

-كما يمكن أن يكون في ذكر الواو إشارة إلى عدد أبواب الجنة فتكون الواو واو الثمانية، وفي الحذف إشارة إلى عدد أبواب النار السبعة.

ومن أمثلة الحذف والذكر قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ٤﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ٢٠٨﴾[7]، وقال ابن الأثير في توجيه الذكر والحذف في هذه المواضع:" اعلم أن كل اسم نكرة جاء خبره بعد إلا يجوز إثبات الواو في خبره وحذفها،

---

[1] - سورة آل عمران، الآية 118.

[2] - المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[3] - سورة الزمر، الآية71.

[4] - سورة الزمر، الآية71.

[5] - عبد العظيم المطعني. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1992 م، ج2.ص11.

[6] - سورة الحجر، الآية4.

[7] - سورة الشعراء، الآية 208.

كقولك ما رأيت رجلاً إلا وعليه ثياب، وإن شئت قلت عليه ثياب بغير واو"[1] . هذا من الوجهة النحوية ومن الجانب البلاغي فالمراد بالذكر في الأول هو الإثبات والتأكيد فالقرية ذات كتاب سابق أنزل على رسولها فهم انذروا و لم يظلموا، وفي الآية الثانية المراد بالحذف كون القرية ذات منذرين وفرق بين الكتاب والمنذرين لأن الكتاب ليس له من قوة الظهور ما للرسل لذلك كان المقام الأول مقام تأكيد وفي الثانية أعني ظهور المنذرين كأنهم جماعة من الناس فهم في غني عن التأكيد الذي احتاجت إليه الأولى .

-حذف حرف النداء "يا": ورد في القران الكريم حذف أداة النداء "يا"مع "رب"إلا في موضعين:

- الأول: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾[2] .

- الثاني: قوله تعالى: ﴿وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾[3]، فحذف أداة النداء يكمن سّره في تصوير قرب المنادى، إذ لا حاجة لحرف نداء يملأ ما بين المنادي والمنادى، فالمنادى هو الله المطلع على حاجة وسؤل المناد ي، وهو أقرب إليه من حبل الوريد. وقد ورد حذف أداة النداء الياء في مواضع أخرى مثل قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا﴾[4] وقوله تعالى: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾[5]، وقوله تعالى : ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾[6]، والأصل "يا يوسف" ويا "طه" ويا "يوسف" وقد كسا الحذف هنا العبارات فخامة وخلابة"[7] .

ثانياً:حذف الكلمة : ويتجلى في مواطن عدة منها:حذف الفعل ، الفاعل، المضاف، المضاف إليه، المبتدأ أو الخبر، الصفة، الموصوف..

- **حذف الفعل**:جاءت شواهد اللغة دالة على حذف الفعل رغم كونه عمدة في الكلام

---

[1] - ابن الأثير المثل، السائر.ج2.ص365

[2] - سورة الفرقان الآية30.

[3] - سورة الزخرف الآية88.

[4] - سورة يوسف الآية29.

[5] - سورة طه الآيتان 1و2.

[6] - سورة يس الآية 1و2.

[7] - عبد العظيم المطعني.المرجع نفسه.ج2.ص8

وبقاء عمله دالا عليه كنصبه مفعولا به، ومن صور حذفه:

– "أن يوقع الفعل على شيئين وهو لأحد هما ويضمر للأخرفعله"[1]، كقول الشاعر:

تراه كأن الله يجدع أنفه وعينيه إن مولاه ثاب له وفر. [2]

فللشاعر ذكر الفعل "يجدع "مع أنفه، وحذفه مع عينيه، وتقديره: يفقأ، فالعين لا تجد ع، وللاحظ أن

اللغة والسياق يلعبان دورا في تقدير المحذوف وتبيينه، ومن أمثلته في القران الكريم قوله تعالى: ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾[3] ومعناه: وادعوا شركاءكم، وكذلك هو في مصحف عبد الله بن مسعود– رضي الله عنه – فأمركم معمول الفعل "اجمعوا" و"شركاءكم " معمول الفعل المحذوف "ادعوا "فللواو ليست عاطفة مفردا على مفرد بل جملة على جملة .والسبب في ه ذا الحذف زيادة عن الإيجاز هو كون اقتران الأمرين ضروري لتحقيق النصر من تو حي د الرأي، والإجماع عليه مع وجود الظهير والشريك، ويرى الزمخشري " أن الواو هي بمعنى "مع"، و مجيء الشركاء على هذا الوضع فيه معنى التهكم، وإنما قال ذلك إظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته إياه، وأنهم لن يجدوا إليه سبيلا "[4] فهيهات أن يتمكنوا من نبي الله أو تصله أيديهم بسوء ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

–وقد يحذف الفعل في أساليب الإغراء أو التحذير ويبقي المفعول به مغنيا عنه، ومن أمثلة الحذف على الإغراء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾[5]وتقديره:الزموا أنفسكم. ومن أمثلة التحذير قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا﴾[6]، أي:احذروا، وقد يحذف الفعل ويقوم المصدر مقامه كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا

---

[1] – أبو هلال العسكري الصناعتين.ص201.

[2] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[3] – سورة يونس، الآية71.

[4] – الزمخشري. الكشاف، ج3 ص 161

[5] – سورة المائدة، الآية105.

[6] – سورة الشمس، الآية 13.

لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ)[1]، قوله "فضرب الرقاب " أصله: فاضربوا الرقاب ضربا، فحذف الفعل وقام المصدر مقامه، وفي ذلك اختصار .

– وقد يحذف جواب فعل الأمر ويكون المحذوف فعلا ومثاله قوله تعالى : (وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِى سَبۡعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٌ)[2]، فجواب الأمر محذوف تقديره: فأرسلوه إلى يوسف فأتاه فقال له: " يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ"، ومنه كذالك قوله تعالى: (وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِى بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِىۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾)[3]، فجواب الأمر محذوف تقديره: فأتوه به، والمتأمل في هذا الحذف لا يكاد يدرك وجود محذوف في الكلام لعدم تأثير الحذف في تمام المعنى وبيانه ؛ بل وتخلصه من الإطالة والذكر الذي لا يحدث فائدة أو نكتة بلاغية في هذه المواطن المذكورة .

– حذف الفاعل : الأصل في الفاعل الذكر ؛لأنه عمدة وركن أساسي في تركيبة الجملة الفعلية، "وقد نصّ عثمان بن جني على عدم جواز حذفه، وبهذا قال ابن الأثير إلا أنه يجوز حذفه فيما دل الكلام عليه "[4]: ومثّل له بقوله تعالى : (كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٍ)[5]، والضمير والضمير في (بلغت) للنفس "ألا ترى أن التي تبلغ التراقي إنما هي النفس وذلك عند الموت، فعلم حينئذ أن النفس هي المرادة ، وإن كان الكلام خاليا من ذكرها "[6]، ومثله قوله تعالى: (فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾)[7]، فالمحذوف هو الفاعل وهو "النفس"، ومنه أيضا قوله تعالى : (فَقَالَ إِنِّىٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ)[8]، ففاعل توارت هو

---

[1] – سورة محمد، الآية4.

[2] – سورة يوسف، الآية 45و46.

[3] – سورة يوسف، الآية54.

[4] – ابن الأثير. المثل السائر.ج2. ص 284

[5] – سورة القيامة، الآيتان 26، 27.

[6] ابن الأثير، المصدر نفسه، ج 2 ص 284

[7] – سورة الواقعة، الآية 83و84.

[8] – سورة ص، الآية32.

الشمس، ومثله قوله: ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾﴾[1]، فالفاعل المحذوف هو" المحتضر" فانظر إلى وضوح المحذوف وسهولة تقديره لما في الكلام المذكور من دلالة عليه ، والفعل هو أقوى هذه العوامل في إبراز الفاعل إضافة إلى السياق العام للتعبير .

ومما ورد في حذف الفاعل في كلام العرب قول حاتم[2]:

أما ويّ، ما يغني الثّراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر.

أي: حشرجت النفس .

- حذف المفعول به : وهو من أكثر أبواب الحذف دراسة وعناية في كتب البلاغة، فلقد عنوا بتقسيماته واستنباط أسراره ومكنوناته ووصف ابن الأثير هذا الباب من المحذوفات بقوله:"فإن اللطائف فيه أكثر وأعجب"[3] . ومن أكثر الشواهد وأبدعها دلالة على حذف المفعول به في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾[4]، فقد حذف المفعول به به في أربعة أماكن، ويقدّر مع عاملة على النحو الآتي:- يسقون مواشيهم، تذودان مواشيهما، لا نسقي مواشينا، فسقى لهما مواشيهما، وللعلماء في هذا الحذف آراء كثيرة ، منها "قول السكاكي:" أن الحذف كان لمجرد الاختصار"، ويذهب الزمخشري إلى أبعد من ذلك بقوله: "ترك المفعول لأن الغرض هو الفعل لا المفعول " وهذا الذي قصده ابن الأثير بقوله:" فأما كون المرقيّ غنماً أو إبلاً أو غير ذلك فخارج عن الغرض "، فالغرض كما يقول الخطيب القزويني :" إثبات العلم في نفسه وإليه ذهب ابن الأثير في تعليل الحذف"والأصل في ذالك على إثبات المعنى المقصود في نفسك للشيء على الإطلاق، لأن العرض أن يعلم أنه كان من الناس سقيٌ، ومن المرأتين ذودٌ، وأنهما قالتا: لا يكون منا سقي حتى يصدر الرعاء...وأنه كان من موسى عليه السلام بعد ذلك

---

[1] - سورة القيامة، الآية 28.

[2] - ابن الأثير.المصدر نفسه، ج2.ص332.

[3] - المصدر نفسه، ص340.

[4] - سورة القصص، الآية 23و24.

سقي"[1].

ويحذف المفغول به لأغراض كثيرة منها:

-البيان بعد الإبهام: ويكثر هذا الحذف في فعل المشيئة والإرادة إذا لم يكن في تعلقه بمفعوله غرابة قال ابن الأثير:" لقد تكاثر هذا الحذف في شاء و أراد حتى إنهم لا يكادون يبرزون المفعول إلا في الشيء المستغرب كقوله تعالى: ﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٤﴾[2]، ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝١٤٩﴾[3]، ومثّلوا له بقول الخريمي[4]:

ولو شئت أن أبكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع.

فقد آثر الشاعر ذكر المفعول به وهو (دما) "لما كانت مشيئة الإنسان أن يبكي دما أمرا عظيما عجيبا كان الأولى التصريح به "[5]، ولو أضمر المفعول به لعدّ بكاؤه أمرا مألوفا لا يحقق مقصده من إظهار مدى حزنه واستمرار بكائه حتى نفاد دموعه.

- رعاية الفاصلة: وهذا سبب قرآني لا غير، وقد مثلوا له بقوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[6] أي: وما قلاك؛ فحذف الكاف الواقع مفعولا به لمراعاة الفاصلة.

.- حذف الموصوف والصفة وإقامة كل منهما مقام الآخر :- وهو كثير في كلام العرب وأكثره يجيء في الشعر، ومنه قول البحتري في وصف إيوان كسرى:

في اخضرارٍ من اللباس على أص فر يختال في صريغة ورس.[7]

فقوله:"على أصفر" أي: على فرس أصفر، وهذا مفهوم من قرينه الحال لأنه لما قال "على

---

[1] عبد العظيم المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ج 2 ص 54، 55 (بتصرف)

[2] - سورة الزمر، الآية 4.

[3] - سورة الأنعام، الآية149.

[4] البيت من (الطويل) للخريمي وهو إسحاق بن حسان السعدى، ينظر المثل السائر لابن الأثير، ج 2، ص 295.

[5] - الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تح:بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، ط 1، 1985م، ص142

[6] - سورة الضحى، الآيات 1، 2، 3.

[7] - ديوان البحتري، الناشر وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية(دط)، 2007 م، ص 192.

أصفر" علم بذلك أنه أراد فرسا أصفر"[1]، ومن أمثلة حذف الموصوف في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾[2]، أي :حور قاصرات، وقوله تعالى : ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾[3]، أي: دروعا سابغات، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[4]، أي: ضحكا قليلا وبكاء كثيراً . والملاحظ في هذا النوع من الحذف أن الصفة بقيت دليلا قويا على الموصوف، وهي أهم منه في الإظهار وذكرها أبلغ منه في أداء المعنى، فلم يكن المقصود إثبات الحور وإنما صفة القصر، والأمر سيّان بالنسبة للبكاء والضحك، فالمقصود إثبات صفة القليل من الضحك والتكثير من البكاء، ثم إن الحذف هنا من الإيجاز والبعد عن التكرار ، ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾[5] تقديره: يأيها الرجل الساحر . ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾[6]، أي: آتي مبصرة فإنه لم يرد أن الناقة كانت مبصرة.

وأما حذف الصفة وإقامة الموصوف مقامها فإنه أقل وجودا من حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[7] أي:كل سفينة صالحة أو صحيحة، ودلّ على الصفة المحذوفة قوله: "فأردت أن أعيبها" مما يدل على سلامتها قبل ذلك ثم إنّ النفع يرجى من السفينة الصالحة فلم يكن من الضروري ذكر الصفة . ويرى الدكتور المطعني: "أن حذف الصفة هنا فيه مبالغة في تصوير طمع الملك واستيلائه على كل سفينة حتى ولو كانت غير صالحة، فغير الصالح داخل في مأخوذ الملك"[8]، ومن أمثلة هذا الحذف قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾[9]أي: الواضح، وقوله تعالى: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ

---

[1] – ابن الأثير.المثل السائر .ص348.

[2] – سورة ص، الآية52.

[3] – سورة سبأ، الآية11.

[4] – سورة التوبة، الآية82.

[5] – سورة الزخرف، الآية49.

[6] – سورة الإسراء، الآية59.

[7] – سورة الكهف، الآية79.

[8] – عبد العظيم المطعني.المرجع السابق.ج2.ص43.

[9] – سورة البقرة الآية71.

أُخۡتِهَا)[1]، أي: السابقة .

حذف المبتدأ أو الخبر: حذف المبتدأ أو الخبر في الكلام العربي كثير ومتنوّع وله حالات عدة اختلفت بين الجواز والوجوب، ومن أمثلة حذف المبتدأ في القرآن الكريم قوله تعالى: (مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَا)[2] أي: من عمل صالحا فعمله لنفسه ومن أساء فإساءته عليها، فعمله هو المبتدأ المحذوف في الجملة الأولى وإساءته هو المبتدأ المحذوف في الجملة الثانية، ودل عليهما فعلاهما المذكوران على سبيل الجواز.

– ومن أمثلة حذف الخبر قوله تعالى : (وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ)[3]، وتقدير الخبر المحذوف: واللائي لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر وجاء الخبر جملة اسمية من مبتدأ وخبر، ومنهم من قدّره واللائي لم يحضن كذلك أو مثلهن فيكون الخبر محذوفا وحده. فلم تكن الحاجة هنا لذكر الخبر لاشتراكهما في الحكم ويختلف الأمر فيما بعدها في قوله تعالى : (وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ)، فقد صرّح لاختلاف الحكم ولو حذف الخبر لفسد المعنى.

– ومن الشواهد الدالة على حذف الخبر في كلام العرب قول أبي عبادة البحتري:

كل عذر من كل ذنب ولكن أعوز العذر من بياض العذار .[4]

وفيه حذف الخبر المفرد وتقديره:كل عذر من كل ذنب مقبول أو مسموع.وقد حذف المبتدأ في قوله تعالى: (الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ)[5]، وتقديره:هو هدى، ويرى عبد العظيم المطعني أن الحذف يعود لأمرين:

–أحدهما: الإشعار بالاتصال المباشر بين "الكتاب" و"هدى " أي أن الهدى صفة مباشرة للكتاب فهو الهدى نفسه .

---

[1] – سورة الزخرف الآية48.

[2] – سورة فصلت، الآية46.

[3] – سور الطلاق، الآية4.

[4] – ابن الأثير، المثل السائر.ج2.ص361.

[5] – سورة البقرة، الآيتان 1، 2

-ثانيهما: أن ذكر المبتدأ يؤدي إلى نوع من الثقل اللفظي حيث يصبح التركيب: فيه هو هدى، فيجتمع ثلاث هاءات، والهاء من حروف الحلق المعروفة بالثقل"[1].

-**حذف المضاف والمضاف إليه وإقامة كل واحد منهما مقام الآخر** :- من أمثلة حذف المضاف قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾[2]، أي أهل القرية و ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾[3]، أي تناولها لأن الحكم الشرعي إنما يتعلق بالأفعال ومنه قوله تعالى : ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾[4]، أي حبّه وفي هذه الحذف دلالة على شدة تعلقهم به، وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾[5]، أي: جاء أمر ربك وقدره وقضاؤه، وعند السلف لا تؤول بل يقولون يجيء مجيئا يليق بجلاله ولا يعرف كيفه إلا هو. ومن أمثلة حذف المضاف كذلك قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ﴾[6]، " أي: الاستمتاع بهن يحمل سّر الحذف الحذف على إرادة العموم في المفعول، فيكون المحرّم كل ما لا يليق بهن من عقوق وحرمان وإساءة في قول أو عمل"[7].

- ومن أدلة حذف المضاف إليه – وهي قليلة – قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾[8]، ﴿بَعْدُ﴾[8]، أي:من قبل ذلك ومن بعده فجاء حذف المضاف بعد الظرفين مثل : ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[9]، وقوله تعالى: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[10]، أي:أيّ اسم.

- **حذف الجملة**: وهو باب واسع ومتشعّب قسّمه ابن الأثير إلى قسمين:

---

[1] – عبد العظيم المطعني، المرجع السابق، ج 2 ص 36

[2] – سورة يوسف، الآية 82.

[3] – سورة المائدة، الآية3.

[4] – سورة البقرة، الآية93.

[5] – سورة الفجر، الآية22.

[6] – سورة النساء، الآية23.

[7] –المطعني، المرجع نفسه.ص47.

[8] – سورة الروم الآية4.

[9] – سورة يس الآية40.

[10] – سورة الإسراء الآية110.

– قسم تحذف فيه الجمل المفيدة التي تستقل بنفسها كلاما وهو أحسن المحذوفات .

– قسم تحذف فيه الجمل الغير مفيدة: وقد وضع العلماء لحذف جملة فأكثر ضوابط وهي:– حذف السؤال المقدر: ويسمّى" الاستئناف" وهو على وجهين:

أ- إعادة الأسماء والصفات : فإعادة الاسم تكون بإعادة اسم من تقدّم الحديث عنه، كقولك أحسنت إلى زيد . زيد حقيق بالإحسان، وإعادة الصفة، كقولك أحسنت إلى زيد . صديقك القديم أهل لذلك منك .

–والنوع الثاني قال فيه ابن الأثير: " هو أحسن من الأول وأبلغ لما فيه من تخصيص و بيان الموجب للاحسان"[1] . ومما ورد من القرآن في هدا الباب قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[2]،

"والاستئناف واقع على (أُوْلَٰٓئِكَ) فبعد ذكر صفاتهم إلى غاية قوله تعالى:(وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ) كأن سائلا يقول: ما بال المتصفين بهده الصفات قد اختصوا بالهدى ؟ فأجيب بأن أولئك الموصوفين بهده الصفات غير مستبعد أن يفوزوا – دون الناس – بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا".[3]

– الاستئناف بغير إعادة الأسماء والصفات : ومثلوا له بقوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ۝٢٣ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٢٤ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ۝٢٥ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٧﴾[4]، فالاستئناف كان عند السؤال

[1] – ابن الأثير. المثل السائر. ج2.ص318.

[2] – سورة البقرة، الآيات من1 إلى5.

[3] –المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[4] – سورة يس، الآيات من22إلى27.

عن حال الرجل كأنّ قائلا يقول: كيف حال هدا الرجل عند لقاء ربه بعد دلك التصلب في دينه ورفضه الشرك والضلال فقيل (قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ) و لم يقل قبل له للتعجيل بالبشارة فهي المقصودة وليس المقصود من قال له لأنه معلوم سلفا،

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ٩٣﴾[1]، وجاء الاستئناف بعد تساؤلهم المفترض – فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت على مكانتك ؟ بقوله. سوف تعلمون .

- الاكتفاء بالسبب عن المسبَب وبالمسبَب عن السبب : فمن أمثلة الاكتفاء بالسبب عن المسبب: قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٤٤ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأۡنَا قُرُونٗا فَتَطَاوَلَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ تَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ﴾[2]، فذكر سبب الوحي الذي هو طول الفترة وتطاول العمر، ودلّ به على المسبَب وهو الوحي أي: أن طول العهد بين موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وما حصل فيه من اندراس العلوم كان سببا في نزول الوحي.

– أما الاكتفاء بالمسبَب عن السبب فمنه قوله تعالى: ﴿۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ﴾[3] والتقدير: فضرب فانفجرت فحذف السبب وهو الضرب واكتفى بذكر المسبب أو النتيجة وهي الانفجار، وأنت ترى قيمة الحذف هنا فهي تشير إلى تحقق المعجزة وبشكل سريع فالمقصود هو النتيجة إذ لا يخفى على أحد أن الانفجار سببه الضرب فأين الداعي لذكره ؟ ومنه قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾[4].

---

[1] – سورة هود، الآية93.

[2] – سورة القصص، الآيتان 44، 45.

[3] – سورة البقرة، الآية 60.

[4] – سورة المائدة، الآية6 .

والوضوء يسبق الصلاة وتأويل الآية إذا أردت القيام إلى الصلاة فاغسل فاكتفى بالمسبَب عن السبب .

ويدخل في حذف الجمل أمور منها:

-أ- حذف أداة الشرط وفعله: منه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾[1] أي إن اتخذتم عند الله عهدا، ومثله قوله تعالى: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٩١﴾[2]، أي إن كنتم آمنتم بما انزل الله إليكم فلم تقتلون ؟

-ب- حذف جواب الشرط: ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3] أي:لعذبكم، ومنه قوله أيضا :﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا﴾[4] أي: لرأيت أمرا عظيما، ومثله في اللغة " لو رأيت عليا بين الصّفين، أي لرأيت أمرا عظيما"[5].

-ج- حذف جواب القسم: ويكثر في مطالع السور كقوله تعالى: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾[6] "معناه والله أعلم ق والقرءان المجيد لتبعثن، والشاهد ما جاء بعده من ذكر البعث في قوله :﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾"[7]

ومنه أيضا قوله تعالى ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾[8] فجملة القسم محذوفة والتقدير والله قسمي.

---

[1] - سورة البقرة، الآية 80.

[2] - سورة البقرة، الآية91 .

[3] - سورة النور، الآية 20

[4]- سورة السجدة، الآية 12.

[5] - ابن رشيق، العمدة.ج1.ص433.

[6] - سورة ق، الآيتان 1، 2.

[7] أبو هلال العسكري، الصناعتين ص 203

[8] - سورة النمل، الآية21 .

المبحث الثالث: الإيجاز في كلام العرب و البلاغة النبوية:

1- الإيجاز في كلام العرب:

لقد طبع الإيجاز كل فنون القول المعروفة عند العرب مما يؤكد رسوخه كظاهرة أسلوبية تعنى بالقيمة الإبلاغية وتحقيقها بأقل قدر من الألفاظ مراعاة لأحوال المخاطبين و مستوياتهم من بساطة العيش، وانتشار الأمية، و الحاجة الماسة للتواصل عن طريق الحفظ والنقل، كل هذا انعكس على الإنتاج الأدبي فكان إيجاز القصر ظاهرة حاضرة في كل أجناس النثر و أغراض الشعر وهذا ما تكشفه الدراسة الآتية:

أ- الإيجاز في النثر العربي:

إيجاز القصر في فن الخطابة: الخطابة من أقدم الفنون النثرية عند العرب وأوسعها انتشارا فهي الفن الحاضر في كل الأحوال ؛عند الحروب وفي حالة الصلح، وعند مبايعة الملوك، وفي حالات الأفراح وكذا للإشادة بمناقب الرجال، وقد تميزت بقوة اللفظ وإيجاز العبارة .

ومن أشهر الخطب التي قيلت في العصر الجاهلي خطبة هاشم بن عبد مناف التي حث فيها قريشا على إكرام زوار بيت الله الحرام فقال:" يا معشر قريش أنتم جيران الله أكرمكم بولايته وخصّكم بجواره دون بني إسماعيل، وحفظ منكم أحسن ما حفظ جار من جاره، فأكرموا ضيفه وزوار بيته فإنهم يأتونكم شعثا غبرا من كل بلد، فوربّ هده البنيّة لو كان لي مال يحمل ذلك لكفيتكموه ."فهذه الخطبة على إيجازها حوت معاني كثيرة فهو ذكّر قريشا بفضل الله عليها وخصّها بجوار بيته الحرام، ودعاها إلى إكرام الزوار والحجيج وتلبية حاجاتهم .

و بمبعثة- صلى الله عليه وسلم - بلغت الخطابة قمّتها إيجازا وفصاحة وبلاغة، ومنها خطبة الوداع التي كانت دستورا للحياة جمع في مواده بين حقوق الله وحقوق العباد، وتبيين الحدود والمقاصد العامة للدين ومن بين ما جاء فيها:" أما بعد أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا . ألا هل

بلّغت ؟ اللهم اشهد"[1].

وممن اشتهر بالخطابة الإمام علي- رضي الله عنه- فقد أتته البلاغة صاغرة فأخذ بذؤابتها ومحاسنها فمن بين خطبه الشهيرة:" أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت آذنت بوداع وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع، وإن المضمار اليوم والسباق غدا، ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل، فمن أخلص في أيام أمله قبل حضور أجله فقد نفعه عمله و لم يضرره أمله ومن قصر في أيام أمله قبل حضور اجله فقد خسر عمله وضره أمله ."[2] وهي خطبة جامعة آثرت هذا الجزء اليسير منها منها الذي يبين فيه —رضي الله عنه — حقيقة الدنيا فهي دار عمل وكد واجتهاد و مضمار التنافس الرابح، كم حذّر من الاغترار بها والسير في دروبها الفانية.وهذه خطبة أخرى لعبد الله بن مسعود، وهي بحر زاخر من الحكم والمواعظ وهي جديرة بأن تشرح كل جملة فيها بكلام مبسوط، لما هي عليه من إيجاز، وما تحويه من درر كامنة إذ يقول:" أصدق الحديث كتاب الله وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملل ملّة إبراهيم عليه السلام وأحسن السنن سنة محمد صلى الله عليه وسلم وشرّ الأمور محدثاتها وخير الأمور عزائمها، ما قل وكفى خير مما كثر وألهى، نفس تنجيها خير من إمارة تحصيها، خير الغنى عنى النفس خير ما ألقى في القلب اليقين الخمر جماع الآثام، النساء حبالة الشيطان، الشباب شعبة من الجنون"[3]، لله در ابن مسعود فقد جمع في خطبته هاته بين الدعوة إلى التمسك بعرى الدين، والنصح والتوجيه وبين الترغيب والترهيب، فقد جمعت هذه الفواصل المتناغمة كثيرا من خيري الدنيا والآخرة فكانت كل فاصلة تحوي حكمة مستقلة عن الأخرى .

في الأمثال والحكم: -الأمثال:"يطلق لفظ " مثل " علما على كل قول اشتهر وتناقلته الألسن وكثر تمثّل الناس به"[4]، ويمتاز المثل بإيجاز العبارة، وغزارة المعنى ومن أشهر الأمثال العربية وأبلغها ما أثر عن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم"[5]، فمنها قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، عنه، "صنائع المعروف تقي مصارع السوء": ففعل الخير يشفع لصاحبه ويكون له حجابا بينه وبين

---

[1]- النص الكامل للخطبة في كتاب: العقد الفريد لابن عبد ربه، ج 4، ص 147 وما بعدها.

[2] -الجاحظ، البيان والتبيين، ج 2، ص52، 53

[3] - المصدر نفسه . ص56، 57.

[4] - د. عبد الله الجربوع، الأمثال القرآنية القياسية.. الجامعة الإسلامية، ط1، 2003 م.ج1.ص42.

[5] - أبو منصور الثعالبي، الإعجاز والإيجاز . ص25، 27 (بتصرف)

الشر والأذى، ومنها قول عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–: "أعقل الناس أعذرهم للناس "، فالعاقل من يلتمس لأخيه الأعذار ويحمل الأمور على حسن الظن، ويلتمس لها المخارج وكلما اتسع صدر الإنسان لقبول أخطاء الناس وأعذارهم كان ذلك دليلا على رجاحة عقله وسداد رأيه.

وعن عثمان رضي الله عنه أنه قال:" تاجروا الله بالصدقة تربحوا"، وهذه التجارة التي لا تبور فإن الصدقة بضاعة ثمنها الأجر، وهي تجارة العبد مع ربه .

ومما أثر عن علي– رضي الله عنه –في هذا الباب كثير منه قوله –رضي الله عنه–:"المرء مخبوء تحت لسانه"، فالإنسان لا يعرف معدنه إلا بعد كلامه، و حسن المرء وقدره يكشف عنه لسانه، وقد تناول هذا المعنى الشاعر زهير بن أبي سلمى في البيتين الآتيين [1]:

لسان الفتى نصف ونصف فــؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصــه في التكلــم

وفي قول زهير إيجاز رائع حيث جعل اللسان أساس تقييم الناس ولا شيء غيره ففي كماله كمال وفي نقصه عيّ ونقصان .فانظر إلى هذه الأمثال وغيرها مما لا يحصى في كلام العرب، فهي لا تتعدى الجملة أو الجملتين لكن معانيها عظام، وفوائدها جمة و تداولها وتناقلها بين الناس خير دليل على ذلك

وهذه طائفة منها دون شرح[2]:

- "الإثم حزّار القلوب ".
- "إذا سمعت الرجل يقول فيك من الخير ما ليس فيك فلا تأمن أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك".
- "إلى أمه يلهف اللهفان ".

---

[1] –ينظر ديوان زهير بن أبي سلمى. اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، ط 1، 2006 م، ص71.

[2] – أبو يعقوب يوسف بن طاهر الخويي. فرائد الخرائد في الأمثال. تح:د. عبد الرزاق حسين. دار النفائس.الأردن(دط)، (ط ت).ص28.

-**الحكم**: الحكمة قول موجز ينقل خبرة صاحبه وعصارة تجاربه، وتجمع الحكمة بين إيجاز العبارة وجزالة الألفاظ وصحة المعنى .ونذكر منها على سبيل التمثيل قول الحسن رحمه الله تعالى:" يومك ضيفك وهو مرتحل عنك بحمدك أو ذمّك "[1]، فقد شبّه الحسن رضي الله عنه اليوم بالضيف فكلاهما راحل ومغادر وكلاهما تجب ضيافته فإكرام الضيف بإكثار الطعام وتحسينه، وإكرام اليوم بالعمل الصالح وحسن الصنيع من عبادات وطاعات وصدقات.

وقال الفضيل بن عياض:" إذا قيل لك تخاف الله ؟ فاسكت فإنك إن قلت لا فقد جئت بأمر عظيم، وان قلت نعم فالخائف لا يكون على ما أنت عليه "[2] ؛ لأن الخائف مبهور من جلال الخالق مرتعد الفرائص لا يأمن مكر الله .

ومن الحكم ما يكون شعراً كقول محمود الوراق[3]:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا محال في القياس بديع

لوكان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب يطيع.

وذكرت الدنيا عند الحسن رحمه الله فقال:[4]

أحلام نوم أو كظل زائل إن اللبيب بمثلها لا يخدع.

ومن الحكم أيضاً قول زهير بن أبي سلمى[5]:

ومن لم يصانع في أمور كـــثيرة يضرّس بأنياب ويوطأ بمنسم

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم.

والحكم أكثر من أن تحصى لكنها تشترك جميعها في قلّة ألفاظها وكثرة معانيها لما تحويه من تجارب صادقة ومعان دقيقة صائبة، فالحكم مصابيح تنير الدرب، وترشد إلى النهج الصحيح .

---

[1] – المصدر نفسه، ص598.

[2] –الخوبي، فرائد الخرائد في الأمثال .ص599.

[3] –ينظر ديوان محمود الوراق، تح: د وليد القصاب، مؤسسة الفنون، ط 1، 1991م، ص 48

[4] – الخوبي، المصدر السابق .ص609.

[5] – ديوان زهير بن أبي سلمى.ص70.

-**التوقيعات:** وهي كلام موجز يكتبه الخليفة أو الحاكم في أسفل الكتب الواردة إليه, وهي بمثابة رد أو تعليق على ما يصله من طلبات أو تظلمات، ومن أمثلتها" توقيع لعمر بن الخطاب –رضي الله عنه- لما كتب إليه سعد بن أبي وقاص في بنيان يبنيه، فوقّع في أسفل كتابه:ابن ما يكنّك من الهواجر وأذى المطر. ووقّع علي بن أبي طالب –رضي الله عنه –في كتاب سلمان الفارسي –وقد سأله كيف يحاسب الناس يوم القيامة؟: يحاسبون كما يرزقون، ووقّع عمر بن عبد العزيز –رحمه الله- لما استأذنه بعض العمال في مرمّة مدينته، فوقّع أسفل كتابه: ابنها بالعدل، ونقّ طرقها من الظلم"[1]

ب- الإيجاز في الشعر العربي:

الشعر ديوان العرب وسجلها الذي حفظ ذاكرتها الشعرية والفنية في مختلف العصور و الأحوال فكان وسيلتها المفضلة للتعبير عن أغراض الكلام المختلفة، وتسجل الآثار الأدبية ولع الشاعر الجاهلي بالإيجاز فهو عنده فضيلة يطلبها و يتفاخر بها، فقد سئل النابغة:" لم لا تطيل القصائدكما أطال صاحبك ابن حجر قال: من انتحل انقر"[2] وقيل لبعضهم مالك لاتزيد على أربعة واثنين؟ قال:"هن بالقلوب أوقع وإلى الحفظ أسرع، وبالألسن أعلق وللمعاني أجمع وصاحبها أبلغ وأوجز."[3] كما طرحت بنت الطيئة السؤال نفسه على أبيها:ما بال قصارك أكثر من طوالك؟، فقال:لأنها في الآذان أولج و بالأفواه أعلق" [4]، وقيل لابن حازم ألاتطيل القصائد ؟ فقال:

أبى لي أن أطيل قصـــدي إلى المعنى وعلمي بالصّـــواب

و إيجازي بمقتصـــر قريب حذفت به الفضول من الجواب

فأبعثهـــن أربعة وســـتاّ مثقـــفة بألـــفاظ عـــذاب

وهنّ إذا وسمت بهن قوما كأطواق الحمائـــم في الـــرقاب

---

[1] - ابن عبد ربه، العقد الفريد ج 4، ص 287، 290 (بتصرف)

[2] -أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص194

[3] -المصدر نفسه والصفحة نفسها .

[4] -المصدر نفسه والصفحة نفسها.

وكنّ إذا أقمت مسافرات تهاداها الـــرواة مع الـــركاب. [1]

لقد علل ابن حزم ميله إلى الإيجاز ورفضه الإطالة بما يخرس لسان كل ناقد له ؛فهو قد جمع بأبياته القليلة

بين قرب المعنى و عذوبة اللفظ وكذا الإلمام بالمعنى مما جعل أبياته خالدة شائعة يكررها الناس في أوقات سفرهم وهي أوقات يستعذب فيها الموجز والخفيف من الشعر.

ومن الأمثلة على ذلك قول امريء القيس:

سماحة ذا و برّ ذا ووفاء ذا ونائل ذا إذا صحا و إذا سكر . [2]

فقد استطاع الشاعر في هذا البيت أن يجمع أوصافا كثيرة وخصالا رفيعة من سماحة وكرم وسخاء اتصف بها ممدوحه وهو مستمر عليها في حالتي الصحو والسكر.

ومن الشعراء من تميزت أشعاره بالإيجاز كزهير بن أبي سلمى الذي قيل فيه:"إنه أجمع الناس للكثير من المعاني في القليل من الألفاظ و أبياته التي من آخر قصيدته التي أولها ؛أمن أم أوفى دمنة لم تكلم يشبه كلام الأنبياء وهي من أحكم حكم العرب "[3]، فمن ذلك قوله:

وإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء

فذلكم مقاطع كل حق ثلاث كلهن لكم شفاء [4]

فقد جمع في هذا البيت طرق إثبات الحق وفض الخلاف فهي كما قال ثلاثة إما بالحلف واليمين أو أو الحرب والقتال أو بظهور الحق بعد أن كان ملتبسا و بأحد هذه الثلاثة تشفى القلوب ويفصل بين الناس

و من أكثر الأبيات إيجازا وأروعها بيانا قول السموأل [5]:

---

[1] –المصدر نفسه والصفحة نفسها .

[2] – ديوان امريء القيس، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط4، 1984م، ص 113.

[3] – أبو منصور الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، ص137، 138

[4] – ديوان زهير بن أبي سلمى، ص 13

[5] –أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ، كتاب الأمالي، الناشر وزارة الثقافة الجزائرية بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية(دط) 2007 م، ج1 ص269

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضـــه فكـــل رداء يرتـــديه جميل

و إن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل .

فقد أشار في هذا البيت إلى مكارم الأخلاق ؛ من صفح و عفو وجود وكرم وشجاعة وحلم وصبر وعفّة و هذه كلها أمور وإن كان في تحملها مشقة، فهي سبيل الرفعة والاحترام بين الناس .

ومن جميل الإيجاز ما قاله النابغة الذبياني في الاعتذار:

ولست بمستبق أخا لا تلمّه على شعث أي الرجال المهذب [1]

فإنه غاية في الإيجاز فقد أشار إلى معنى عظيم، ومنطق حكيم ؛ فأي شخص وأي زميل خال من العيوب؛فلو تتبعت هذه الهفوات والزلات ما تركت لنفسك صديقا ولا حبيبا تدخره لصروف الزمان المتقلبة .

ومن الإيجاز البليغ ما قاله كعب بن زهير معتذرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

أ نبئت أن رســـول الله أوعـــدني والعفو عند رسول الله مأمـــول

مهلا هداك الذي أعطاك نافلة ال قرآن فيها مواعيـــظ وتفصـــيل

لا تأخذني بأقـــوال الوشـــاة ولم أذنب و لوكثرت عنيّ الأقاويل. [2]

فقد جمع بلفظتي (مواعيظ و تفصيل) كل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الشريعة والهدى والحق والأخلاق الفاضلة من عفو وصفح ومحبة وعدل وسلام.

ويشير بكلمة (الأقاويل) إلى كل ما أثير حوله من فحش ومجون .

و من الإيجاز أيضا قول طرفة بن العبد:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد [3]

فالأيام كفيلة بتعليم الإنسان و إخباره بكل ما يجهله من حقائق وأخبار وتجارب وحكم.

---

[1]– ديوان النابغة الذبياني، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، 1985م ، ص 74

[2]– ديوان كعب بن زهير، قراءة وتقديم:د محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ط1، 1995م، ص 89

[3] - ديوان طرفة بن العبد، دار صادر، بيروت، (د ط، د ت)، ص 41

ولا تكثر ظاهرة الإيجاز في الشعر الجاهلي فقط، بل الظاهرة حاضرة في الشعر العربي على مد العصور فهذا جرير–الشاعر الأموي– يقول مفاخرا:

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا . [1]

أي إذا سخطت عليك هذه القبيلة فلن ينفعك رضا غيرها وهو يشير إلى مكانة هذه القبيلة وقوتها ونفوذها بين الناس كأني بهذه القبيلة هي الدنيا وما فيها من بشر، وغيرها تافه لا ذكر ولا قيمة له .

2– الإيجاز في البلاغة النبوية: قبل الحديث عن الإيجاز في البيان النبوي لا يفوتني التوكيد على أن البحث في مجال الحديث النبوي من الوجهة البلاغية والبيانيّة ثريّ ومشوّق وخصب، إذ لا تزال الدراسات في هذا المجال رغم كثرتها غير كافية، فالبيان النبوي أكثر من أن تحصى جوانبه وتدرك كنوزه، وإنما الذي نقصده في هذا المبحث هو إلقاء الضوء على جانب من الدراسة البلاغية في أسلوب الحديث النبوي ممثلة في ظاهرة الإيجاز وورودها في مطلق ألوان البيان فيه.

فلقد كانت فصاحته –صلى الله عليه وسلم– مبعث الإعجاب والحيرة لدى فصحاء العرب؛ أعجزت لسانهم وغلبت بيانهم، فاعترفوا لها بالتفرّد والتفوق، ولقد قال –صلى الله عليه وسلم– في ذلك:(أنا أفصح العرب بيد أنني من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر) [2]، وقد" وصفت أم معبد فصاحته–صلى الله عليه وسلم– فهو "حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظمن"[3]، أي ليس بقليلٍ فيدل على عيّ، ولا كثيرٍ فاسد، كما جمع الجاحظ صفات كلامه–صلى الله عليه وسلم بقوله: " هو الكلام الذي قلّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجلا عن الصفة وتنزّه عن التكلف... جمع له المهابة والحلاوة وحسن الإفهام، وقلة عدد

---

[1] –ينظر ديوان جرير بن عطية، شرح:إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1982م، ص 99

[2] –عبد الرؤوف المناوي.، فيض القدير في شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى مصر، ط1(1356هـ).ج1.ص225.

[3] أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت544 هـ)، الشّفا بتعريف حقوق المصطفى، تح: علي محمد البجاوي، دار الكتاب العربي (د ط)، 1977م، ج 1، ص 106، 107

الكلام..."[1].

وقد جمع الرافعي (ت 1937م) خصائص البلاغة النبوية في أسرارٍ ثلاثة هي:"الخلوص، والقصد، والاستيفاء؛ فالخلوص في اللغة هو النفوذ في أسرارها وضعا وتركيبا فهو يستعبد اللفظ الحر، ويحيط بالعتيق من الكلام، ، والخلوص في الأسلوب هو امتلاك الأسلوب العصبي الجامع المجتمع على توثق السرد وكمال الملاءمة.

وأما القصد والإيجاز و الاقتصار على ما هو من طبيعة المعنى في اللفظ، ومن طبيعة الألفاظ في معانيها ومن طبيعة النفس في حظها من الكلام.

وأما الاستيفاء فهو إحكام الكلام وإيجازه، وحذف فضوله، وهو ما يتمكن به السامع من تمثل المعنى واستيعابه واستكماله دون خداج "[2].ولعمري إنها صفات الكمال والبيان؛ فقد جمعت بين صفاء الكلمة وتمكنها في أداء المعنى، وقوة الأسلوب، وإحكامه المتمثلة في جمع المعاني المرادة بأقل الألفاظ.

الإيجاز وجوامع الكلم:

يقابل مصطلح الإيجاز في البيان النبوي جوامع الكلم التي أوتيها صلى الله عليه وسلم، وورد ذكرها في أحاديث كثيرة منها:

ما رواه البخاري عن أبي هريرة – رضي الله عنه –: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب وبينما أنا نائم رأيتني أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي، قال أبو هريرة: فقد ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنتم تلغثونها –أو ترغثونها أو كلمة تشبهها)[3]، فجوامع الكلم منحة ربانية أوتيها صلى الله عليه وسلم؛ فهو يعبّر عن المعاني الغزيرة بألفاظ قليلة مختصرة.

---

[1] – الجاحظ. البيان والتبيين.ج2.ص17.

[2] – مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 2003 م .ص232، 233 بتصرف

[3] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت256 هـ)، صحيح البخاري(الجامع الصحيح المختصر)، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط3، 1987م ج 6، ص 2654 باب قول النبي صلى الله عليه وسلم:"بعثت بجوامع الكلم ".

وقد ورد في الحديث: (نحن معاشر الأنبياء فينا بكاء)[1]، أي قلّة كلام، وهو من بَكَأَتِ الناقة والشاة؛ قلّ لبنها وقيل انقطع"[2]، ولقد وصفت السيدة عائشة- رضي الله عنها- قلّة حديثه صلى الله عليه وسلم فقالت:(كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يسرد الكلام كسردكم هذا، كان كلامه فصلا يبينه، يحفظه كل من سمعه .) [3]

من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم: عنى العلماء بجمع أحاديث كثيرة تعدّ من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم منها:(إنما الأعمال بالنيات) [4]، وقوله: (الدين النصيحة) [5]، وقوله: (المرء مع من أحب)[6]، وقوله:(بعثت في نفس الساعة)[7]، وقوله:(الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور متشابهات)[8]، وقوله في الإحسان:(أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) [9]، وإذ وإذ نورد هذه الأحاديث فإنما هي على سبيل التمثيل والتبيين لأن" حصر البليغ من كلام النبوة ممتنع معجز؛ لأنه كله بليغ فصيح" [10]، ويستوي فيه الحديث الطويل والحديث القصير، فهي تكشف عن معانٍ جليلة وأحكام عظيمة، فاشتهر لدى العلماء تصنيف الكتاب في شرح الحديث الواحد واستنباط الأحكام الفقهية والآداب الشرعية منه ومن هذه التصانيف:[11]

---

[1] – محمود بن عمر الزمخشري.الفائق في غريب الحديث.تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر لبنان.ط 3(د ت) ج1.ص125.

[2] – ابن منظور. لسان العرب.مادة "بكأ ".

[3] –أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي(ت 303هـ) السنن الكبرى، تح عبد الغفار سليمان النداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت.(د ط)، 1991م ج 6 ص 109 .

[4] –أبو بكر البيهقي (ت458 هـ) سنن البيهقي الكبرى، تح:محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة(دط)، 1994م، ج 7، ص 341

[5] –صحيح البخاري ج 1 ص 30 باب قول النبي صلى الله عليه وسلم " الدين النصيحة "

[6] –صحيح البخاري ج 5 ص 2283، باب "علامة الحب في الله عز وجل "

[7] – أبو الحسن الرامهرمزي (ت 576هـ) في أمثال الحديث تح:أحمد عبد الفتاح تمام، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، (د ط) 1409 هـ، ج 1 ص 23

[8] – صحيح البخاري.ج1ص 28

[9] –صحيح البخاري، ج 4، ص1793، باب " لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم "

[10] – أسامة بن منقذ.لباب الآداب.تح:أحمد محمد شاكر.دار الجيل. بيروت، ط1، 1991 م.ص334.

[11] –للتوسع أكثر ينظركتاب الدكتور عبد الرحمن بودرع الإيجاز وبلاغة الإشارة في البيان النبوي، مطبعة الخليج العربي المغرب، ط 1 2009م، من الصفحة 62 إلى 82.

– كتاب"نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس" للإمام الحافظ بن رجب الحنبلي.

– كتاب"بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد" للقاضي عياض.

– كتاب"قطر الولي على حديث الولي" للإمام الشوكاني.

– كتاب"شرح حديث الأعمال بالنيات" لمحمد بن أحمد بن حامد الشافعي.

– كتاب"شرح حديث المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن" لمحمد الأمين بن جعفر الصوصي السجلماسي.

ولا يسع المقام لطرح نموذجي تطبيقي على هذه الأحاديث الجامعة إلا من إشارات على سبيل التمثيل، من ذلك ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في حديث مطول يتضمن الإجابة عن سؤال جبريل قال:"ما الإحسان"؟ قال:" أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" [1] . فقوله" تعبد الله كأنك تراه" من جوامع الكلم فهي تدل على شروط أساسية يجب توفرها في العبادة ؛كالإخلاص في النية، وأداء العبادة على أكمل وجه، واستحضار هيبة الخالق عزّ وجلّ، وكذا الاستمرارية والتفاني والانقطاع للعبادة" لأن العبد إذا خدم مولاه ناظراً إليه استقصى في آداب الخدمة بكل ما يجد إليه سبيل، وما ينتهي إليه الطوق" فهذه المعاني وغيرها جمعت في قوله صلى الله عليه وسلم" تعبد الله كأنك تراه".

والبيان وظيفة النبوة وصفتها" فالسنّة هي بيان القرآن أو زيادة على ذلك" [2]، ولقد جاء الأمر بالبيان للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3]، والبيان كما عرّفه الرماني هو " إحضار المعنى للنفس بسرعة إدراك والكشف عنه حتى تدركه من غير عقلة، وإنما قيل ذلك؛ لأنه قد يأتي التعقيد في الكلام الذي قد يدل ولا يستحق اسم البيان"[4]، فالبلاغة النبوية اعتمدت الإيجاز وسيلة للتبليغ، وأسلوبا لإظهار البيان والإعجاز الذي هو من أكبر دلائل النبوة وحججها الخالدة، لذا كان ورود الإيجاز في البيان

[1] – سبق تخريجه في الصفحة السابقة

[2] –عبد الرحمن بودرع، المرجع السابق، ص 25

[3] سورة إبراهيم، الآية 4

[4] –الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص 98، والعمدة لابن رشيق، ج 1، ص 437

النبوي في أساليب متنوّعة نتناول في هذا المبحث منها التشبيه والكناية والاستعارة ثم المجاز.

أولاً: التشبيه:

يعدّ التشبيه من وسائل التبليغ والتوضيح إذ يقرّب الصورة، ويجعلها أكثر مثولاً ورسوخاً في ذهن المتلقي لأنه غالباً يصوّر المعاني المجرّدة ويجسّدها في أشكال محسوسة، والأحاديث التي حوت التشبيه والتمثيل كثيرة حتى خصّها صاحب الإعجاز والإيجاز بفصل سماه "جوامع تشبيهاته وتمثيلاته صلى الله عليه وسلم" [1]، وسنتناول بالدراسة والتطبيق بعضاً منها لإظهار بلاغة الإيجاز فيها.

أ-روى أبو هريرة رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كلّ يوم خمس مرات. ما تقولون، أيبقي ذلك من درنه شيئاً؟قالوا: لا يبقي ذلك من درنه شيئاً، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا) [2]، ففي هذا الحديث يشبّه النبيّ صلى الله عليه وسلم المؤمن الذي يواظب على صلاته خمس مرات في اليوم بالمؤمن الذي يغتسل خمس مرات من نهرٍ بباب بيته، وفي هذا تبيين لفضل الصلاة وقيمتها فهي تطهّر المؤمن من الآثام والذنوب كما يطهر الإغتسال من النهر صاحبه من الأوساخ والأدران وهذا من باب تشبيه المعنى المجرّد؛ وهو الطهارة من الذنوب بالمحسوس وهو النقاوة والنظافة من الأوساخ، وفي الإشارة إلى قرب النّهر تحفيز وتشجيع على الطهارة والصلاة، واختيار النهر على غيره من مصادر الماء فيه دلالة أخرى فالنهر رمز العذوبة ومنبع الارتواء، وكذلك الصلاة منبع السكينة والراحة والتلذّذ بطعم العبادة والخلوة بالله تعالى، والنهر زاخر بالخيرات يجلب معه الخصوبة، والحياة كما الصلاة حافلة بأنواع العبادات من تكبير و تحميد، وسجود ودعاء، وفي ملازمتها هداية وبعد عن الفحشاء والمنكر، انظر كيف حوى الحديث مع إيجازه وقلّة ألفاظه هذه المعاني ؟ ومازال للباحث فيها بقية.

ب - عن النعمان بن بشير —رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو

---

[1] -أبو منصور الثعالبي، الإعجاز و الإيجا ز، ص 21

[2] -صحيح البخاري، ج 1، ص 179

تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.) [1]، فقد شبه المؤمنين وهم في حال التراحم والتكافل والتعاطف والتكتل بالجسد الواحد، فإذا كانت الأعضاء في الجسم تشكّل وحدة متكاملة تتألم لألام الواحد منها وترتاح براحته فكذلك الفرد يعتبر عضواً في المجتمع المسلم شعوره وشعور المجتمع واحد فيحزنون لحزنه ويفرحون لفرحه، ويتنادون لنصرته وتلبيّة حاجياته، والتعبير بـــ"تتداعى" غاية في البيان لما فيه من إشارة إلى سرعة الاستجابة والإغاثة لأن الأمر جلل فالألم إذا كان في الجسد تألم له الجميع، وحال الأمّة اليوم خلاف ما صوّره الحديث الشريف من تشبيه، وفي هذا المعنى قال الدكتور عز الدين علي السيد"إن تأخر المسلمين اليوم وانحدار نجمهم آية على صدق هذا الحديث، وهو حديث ينطبق على حال المسلمين اليوم، وأن علاج قلوبهم وأداة انتصارهم وسبب عزتهم أن يعودوا في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم جسداً واحداً يسهر بسهر الجزء منه ويحمّ بحمّاه"[2]، ولقد جمع الحديث بين سهولة اللفظ وقرب المعنى وعمق الدلالة وفوق ذلك إيجاز العبارة.

– ث– روي عن كعب بن مالك–رضي الله عنه– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه) [3] .

الحديث الشريف يجعلنا نتخيّل مشهداً عظيماً وهو مشهد الذئبين الجائعين وفعلهما بالغنم افتراسا وإفسادا وشراسة منقطعة النظير، ويقابلهما ذئبان من نوع آخر هما حبّ المال والجاه والفريسة هي الدين .وجمع بين هذين المشهدين يصور خطورة وبشاعة المشهد، فعبث الذئب الجائع بالغنم معلوم لدى المخاطبين" والحرص معنى خفي لا يكاد يتأتى للمرء استشعار خطره؛ فإذا بالحديث يوقظه من غفلته، وينبّهه على الخطر المحدق به من جهته"[4].

ثانياً: الكناية:

الكناية من أبلغ المسالك البيانية، والطرق الأسلوبية التي استعملها العرب للتعبير عن

---

[1] –صحيح مسلم.ج4.ص1999.باب" تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم".

[2] – د.عز الدين علي السيد. الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية..دار اقرأ بيروت، ط2، 1986 م.ص160–161.

[3] – أبو الحسن علي بن أبي بكر الهيثمي. موارد الظمآن. تح: محمد عبد الرزاق حمزة.دار الكتب العلمية بيروت(د ط، د ت) ج1.ص612. باب "فتنة المال."

[4] – عز الدين علي السيد، المرجع نفسه..ص159.

أغراضهم المختلفة حسنها و قبيحها، ظاهرها وخفيّها لما لها من عمق الدلالة وإيجاز العبارة، وقد عرّفوها بقولهم: لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه"[1]. ومن أمثلتها في الحديث النبوي الشريف:

– ما رواه معاوية –رضي الله عنه– أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(المؤذّنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة) [2]، فهي كناية عن شرف وفضل وعظيم أجر المؤذن، فترك هذا المعنى الخفي وهو المراد، وأشار إليه بطول العنق يوم القيامة" وطول العنق يظهر في رفع الرأس إلى أعلى شعوراً بكرامة المترلِ وفرحاً بحسن الثواب، وقد شاع هذا التعبير في الدلالة على الشرف والكرامة فيقال لمن أنال أهله شرفاً: أطلت أعناقنا، ورفعت رؤوسنا، ويقال في العكس للمسيء قصرت رقبتنا"[3].

– ومن ألطف الكنايات وأوجزها عبارة، وأكثرها دلالة ما روي عن آنس–رضي الله عنه– أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليسأل أحدكم ربّه حاجته كلها حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع) [4] وفي هذا الحديث دلالة على حاجة الإنسان إلى ربه في الأمور كلها، فهو عاجز قاصر أمام كمال الألوهية، ضعيف فقير عليه أن يعود إلى خالقه لتحقيق حاجاته صغيرها وكبيرها سرّها وعلنها، وفي ظروف الرخاء وفي ظروف الشدة والتعبير ب:"ليسأل" فيه حثّ وأمر بالاستمرار على السؤال وتحقيق الغاية حتى ولو كانت الغاية أبسط الغايات وأهونها، فالتعبير بقوله:"حتى يسأله شسع نعليه إذا انقطع" "كناية عن أتفه الأشياء من حاجة الإنسان تلك التي قد يأخذه الحياء في سؤالها، أو الثقة في القدرة على تحصيلها" [5]، وفي استمرار السؤال استمرار الصلة بين العبد وربه، وسؤاله العون والتوفيق امتثال لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[6].

---

[1] –القزويني، التلخيص في وجوه البلاغة. ص 337

[2] شرح سنن ابن ماجة للإمام الحافظ علاء الدين مغلطاي ابن قليج بن عبد الله الحنفي (ت 762هـ) تح: كامل عويضة، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، 1999 م، ج 1، ص 1165

[3] – عز الدين علي السيد .المرجع السابق.ص212.

[4] الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت 279هـ)، سنن الترمذي، تعليق:محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، ط 1، (دت)، ص 820 باب" ليسأل الحاجة مهما صغرت".

[5] عز الدين علي السيد، المرجع نفسه ص 217

[6] – سورة غافر الآية 60.

وهذا حديث آخر زاخر بالكنايات مما يدل دلالة قاطعة على حضور الكناية في البيان النبوي فهي من وسائل التبليغ، وهي في مواطن خاصّة تكون أبلغ من الإفصاح والتصريح، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من وقيّ شرّ مابين لحييه ومابين رجليه دخل الجنّة)[1]، فقد كنّى بالعبارتين عن أمرين عظيمين وأشار إلى أخطر شهوتين لذا كان ضمانهما ضمان للجنة، وانظر إلى سهولة إدراك المراد بالكناية وقرب فهمها وحسن وقعها على الأذن، وقارن بينها وبين لو أنها جاءت بلفظ صريح مستهجن، فإنه لعمري أدب النبوة الرفيع ومنهج الدعوة القويم، فقد أشار صلى الله عليه وسلم بقوله:"ما بين لحييه "إلى اللسان، وما أعظم جرائمه وفتنه، وما أكثر أكله الطعام الحرام، وفي الجزء الثاني كناية عن العورة، " وضمان هذا المكان أن يلم به فحش، أو يسقط به في الخنا فجور، عزيمةٌ من الله يصطفي لها الطاهر العف، وقدرة على النفس، يسلم بها الدين والشرف، وإباء عن الضعة لا يظفر به إلا معان" [2]؛ لذلك استحق من حافظ على سلامة اللسان، وحصانة الفرج الجنة لما في المحافظة على هذين من مشقة ومجاهدة للنفس والأهواء .

ثالثا: الاستعارة:

وهي كثيرة في البيان النبوي، وقد خصّها أبو منصور الثعالبي بفصل جمع فيه استعارته صلى الله عليه وسلم[3]، والتي هي من أبلغ جوامع الكلم، وترتبط الاستعارة بالإيجاز حيث ؛" أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ ؛حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدّة من الدرر؛ وتجني من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر"[4]، فهي ذات أبعاد إيحائية ودلالية جمة، ومن هذه الاستعارات قوله صلى الله عليه وسلم: (خير المال عين ساهرة لعين نائمة) [5]، ومنها أيضا عن أبي موسى

---

[1] – الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت807هـ) موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان تح:حسين سليم الدارني و عبده علي الكوشك، دار الثقافة العربية، دمشق، ط 1، 1992 م، ج 8، ص 240

[2] – عز الدين علي السيد، المرجع السابق ص219

[3] – أبو منصور الثعالبي، الإعجاز والإيجاز .ص19.

[4] – عبد القاهر الجرجاني.أسرار البلاغة في علم البيان، تصحيح ومراجعة الشيخ محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1 ، 1988م.ص33.

[5] – أبو محمد عبد الله الدارمي (ت225هـ)، سنن الدارمي تح:أحمد فواز زمرلي و خالدالسبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1991 م، ج1ص 158

الأشعري-رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل) [1]، ففي الحديث استعارة مكنية حيث شبّه الساعة بالإنسان وحذف المشبه به، ودلّ عليه بشيء من لوازمه وهي اليد، وفي هذا إشارة إلى وقوع هذه الفتن قرب وقوع الساعة، فهي ملتصقة وملازمة لها كارتباط اليد بصاحبها، وفي هذا تنبيه على أن ظهور الفتن يؤذن بقرب حلول الساعة.

المجاز في البيان النبوي : المجاز هو" ذكرك الكلمة وأنت لا تريد معناها، ولكن تريد معنى ما هو ردف له أو شبيه " [2]فهو مجاوزة المعنى الظاهر إلى معنى قريب منه، و هو يشمل أنواعا كثيرة من فنون البيان كالاستعارة و التمثيل و المبالغة و الإشارة و يرتبط المجاز بالإيجاز إذ هو من وسائل الجمع و التكثيف و التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة، و في الحديث الشريف مجازات كثيرة وقد خصّها الشريف الرضي بكتاب سمّاه "المجازات النبوية "، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: (أحد جبل يحبّنا و نحبّه)[3]، فالحديث يحمل على المجاز لأن الجبل جماد لا إحساس له و لا شعور و المراد أهله و من حوله من أهل المدينة فهم يحبّون رسول الله، و هو يحبهم و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يصل به حبّ المدينة و حبّها له إلى أن تحبه جماداتها و يحبها هو، فالإنسان إذا أحب قوما أحب أرضهم وسماءهم وهواءهم وكان هواه هواهم .

ومن المجازات النبوية ما رواه عروة الباقي عن لنبي صل الله عليه وسلم أنه قال: (الخيل معقود في نواصيها الخير والأجر والمغنم إلى يوم القيامة) [4]، فالمجاز في قوله:"معقود في نواصيها"لأن الخير ملازم لها فهي المركب السريع والرفيق في الأسفار والعون عند الوغى، وهي خير المال، ولطالما كانت حاضرة في كل الفتوحات الإسلامية وعند الرباط في سبيل الله .

دلالة الإشارة : " الإشارة دال غير لغوي على مدلول، و هي علامة طبيعية أو صناعية

---

[1] – صحيح مسلم.ج1.ص110. باب" الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن"

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 293

[3] – صحيح مسلم، ج2.ص735

[4] – صحيح البخاري، ج3.ص1135.

تتوسط بين الباثّ والمستقبل بقصد التنبيه والإثارة"[1]

وتتألف الإشارات من حركات مختلفة باليد، أو الوجه أو الرأس، وترتبط بالإيجاز لأنها تعدّ بديلا عن كثير من الألفاظ والعبارات في حالة العجز عن التعبير أو كأداة لتقريب المراد من الكلام، "ولكن استعمال الحديث النبوي للإشارات والتعبير بملامح الوجه وأحوال الجسم ونبرات الصوت وكل الجوارح التي جري العرف على تحريكها من أجل التواصل والإفهام جاء مصاحبا للكلام باللسان وموازياً له ومؤكدا إياه"[2] وهي مظهر من مظاهر الإيجاز و الاقتصاد في الكلام والوقت، ومن الأحاديث التي ورد فيها استعمال الإشارة:

– عن ابن عمر–رضي الله عنهما– عن النبي صل الله عليه وسلم قال: (إنا أمة أميّة لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا و هكذا وعقد الإبهام في الثالثة، والشهر هكذا وهكذا و هكذا يعني تمام ثلاثين)[3] فالإشارة هنا تمثلت في عقد الإبهام.

وتارة يشير صلى الله عليه وسلم بالسبّابة والوسطى ويفرّج بينهما كما في الحديث الذي رواه سهل رضي الله عنه قال:قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا و أشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئًا)[4]، ففي هذه الإشارة كفاية عن كلام كثير مفهوم منها، وهو شرف وفضل ورفعة ومكانة الكافل، وقوفه قريبا من النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة، والتفريج بين السبابة والوسطى دلالة لطيفة فهي تعني القرب ولا تعني التماس و الاشتراك في نفس المترلة.

ومن الإشارات ما تظهر في تغيّر أحواله صلى الله عليه وسلم ؛كأن يدخل فزعا أو يغضب حتى يحمّر وجهه أو تحمّر وجنتاه، فمن ذلك ما روى عن زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت:" خرج الرسول الله صل الله عليه وسلم يوما فزعا محمّرا وجهه يقول: (لا إله إلا الله ويل للعرب من شرّ قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلّق بإصبعه الإبهام والتي تليها قالت:فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟قال: نعم إذا كثر الخبث)[5] .

---

[1] – عبد الرحمن بودرع.الإيجاز وبلاغة الإشارة في البيان النبوي .ص217.

[2] – المرجع نفسه، ص226.

[3] – صحيح مسلم.ج2.ص761

[4] – صحيح البخاري.ج5.ص2032.

[5] – صحيح مسلم.ج4.ص2207–2208/ كتاب" الفتن و أشراط الساعة."

وقد اعتبر العلماء والفقهاء الإشارة بمنزلة الكلام المنطوق وبنوا عليها أحكاما فقهية ففي الموطأ قال الإمام مالك:" الإشارة عندي بمنزلة الكلام"[1].

وفي نهاية المبحث تجب الإشارة إلى أن الإيجاز طريقة في القول ومنهج تربوي و سلوكي في حياة العرب ,كما يشمل جميع جوانب السنة النبوية قولاً وفعلاً وتقريرًا فهو منهج شامل يقصد به تربية الأمة على الاقتصاد وحسن التصرف في القول والعمل، وفي أمور الدين والدنيا.

[1] -أبو عبد الله مالك بن أنس (ت179هـ)، الموطأ.تح:محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر، (دط، دت)ج2.ص448

الفصل الثاني

دلالات إيجاز القصر من زاوية علم المعاني.

مدخل: خصائص الخطاب القرآني.

المبحث الأول:ظاهرة الإجمال.

المبحث الثاني:دلالات التنكير.

المبحث الثالث: ظلال المعاني .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

مدخل: خصائص الخطاب القرآني

إن الدارس للقرآن الكريم والمتمعن في مفرداته وجمله وسياقاته يدرك مدى الحكمة الربانية في تناسب الخطاب القرآني ومكوناته مع مقام المخاطبين، فلقد كان نزوله في مرحلتين مختلفتين من مراحل الدعوة الإسلامية وهما المرحلة المكيّة والمرحلة المدنية وكان لهذا الاختلاف انعكاسه على النص القرآني من حيث شكل الخطاب ومضمونه ومقاصده وذلك مراعاة لاختلاف أحوال المخاطبين ومعتقداتهم وبيئاتهم ونفسياتهم، فيتغير الخطاب بين الشدة والرفق من جهة وبين الإيجاز والإطناب من جهة أخرى وهذه المناسبة بين الخطاب والمقام أشار إليها الجاحظ بقوله: "و رأينا الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل، أو حكى عنهم جعله مبسوطا. وزاد في الكلام"[1]؛ ذلك لأن العرب أهل فصاحة وأرباب بيان اشتهروا بالإيجاز بل تكفيهم الإشارة والإيماءة، واليهود دونهم في ذلك يناسبهم البسط والتفصيل. وللتوسع في شرح هذا المنهج القرآني وجدتني مضطرا لدراسة ذلك من خلال الحديث عن القرآن المكي والقرآن المدني وخصائص كل منهما.

مميزات الخطاب المكي والمدني [2]:

اجتهد العلماء في استنباط ضوابط قياسية لكل من الخطابين المكي والمدني وحدّدوا خصائص كل خطاب وأهم الجوانب التي تناولها والأساليب التي استعملها لتحقيق المقاصد الشرعية بالأساليب البلاغية المناسبة لكل مقام من مقام المخاطبين واعتمدوا في معرفة المكي والمدني على منهجين أساسيين: المنهج السماعي المعتمد على النقل، والمنهج القياسي المعتمد على الاجتهاد.

فالمنهج السماعي يستند إلى الروايات الصحيحة المنقولة عن الصحابة الذين عاصروا نزول الوحي والأحداث التي رافقته، أو عن التابعين الذين سمعوا من الصحابة وتلقوا عنهم أحداث

---

[1] – الجاحظ، الحيوان، ج1 ص 94.

[2] - للتوسع أكثر ينظر كتب علوم القرآن كالإتقان في علوم القرآن للسيوطي، عالم الكتب، بيروت، (د ط، د ت)، ج 1 ص 8إلى14، والبرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث القاهرة (د ط، د ت)ج 1 ص 187 وما بعدها،، وكتاب مناع القطان مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط3، 2000 م، من 49 إلى 64.

النزول وأسبابه لذا قال الباقلاني رحمه الله: " إنما يرجع في معرفة المكي والمدني لحفظ الصحابة والتابعين، و لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك قول لأنه لم يؤمر به، و لم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة، وإن وجب في بعضه على أهل العلم ومعرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ فقد يعرف ذلك بغير نص الرسول"[1].

والمنهج القياسي الاجتهادي فيعتمد على الضوابط والخصائص التي تميز كل خطاب فإذا جاء في السورة خصائص المكي قالوا إنها مكية، وإذا وجد فيها خصائص المدني قالوا إنها مدنية وهذه ضوابط اجتهادية لا تخلوا من استثناءات وهي كالآتي:

- **ضوابط الخطاب المكي:**

- كل سورة فيها سجدة فهي مكية.

- كل سورة فيها لفظ (كلا) فهي مكية و لم ترد إلا في النصف الأخير من القرآن، وذكرت ثلاثا وثلاثين مرة في خمس عشرة سورة وفي الحكمة من كثرة ورودها في السور المكية قال العماني: "وحكمة ذلك أن نصف القرآن الأخير نزل أكثره بمكة، وأكثرها جبابرة، فتكررت فيه على وجه التهديد والتعنيف لهم والإنكار عليهم، بخلاف النصف الأول. وما نزل منه في اليهود لم يحتج إلى إيرادها فيه لذلتهم وضعفهم".[2]

-كل سورة فيها ذكر آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة

- كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الغابرة فهي مكية عدا البقرة.

-كل سورة فيها (يا أيها الناس) وليس فيها (يا أيها الذين آمنوا) فهي مكية إلا سورة الحج ففي أواخرها: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[3] مع العلم أن كثيرا من العلماء يرى أن هذه الآية مكية.

- كل سورة تفتح بحروف التهجي ك (ألم)و(الر)و(حم)و غيرها فهي مكية سوى البقرة

---

[1] - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1 ص 9.

[2] -محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: هاني الحاج، المكتبة التوفيقية مصر(دط، دت)، ج1 ص 197.

[3] - سورة الحج، الآية 77.

وآل عمران.

- الخصائص الموضوعية والأسلوبية للخطاب المكي:

-العناية بالجانب العقدي بالدعوة إلى توحيد الله وعبادته وحده ومحاربة الشرك بمظاهره المختلفة وإثبات الرسالة، وإثبات البعث والجزاء وأركان الإيمان الصحيح، وإبطال عقائد المشركين بالبراهين العقلية والآيات الكونية.

- الجانب التشريعي والأخلاقي وذلك بتبيين الأسس الشرعية العامة التي يقوم عليها الدين الإسلامي والقيّم والأخلاق الفاضلة التي بني عليها كيان المجتمع الإسلامي على خلاف ما كان عليه المشركون من شرائع باطلة تقوم على سفك الدماء وأكل مال اليتامى ظلما، والتعامل بالربا، ووأد البنات، واستباحة، الأعراض وغيرها، قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[1].

- ذكر قصص الأنبياء وأخبار الأمم السالفة على سبيل الزجر والاعتبار وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم حتى يصبر على ما يلحقه من أذى من كفار مكة.

- قصر الآيات والفواصل مع إيجاز العبارة، وكثرة القسم والتوكيد مع قوة الألفاظ بما يقرع الآذان ويحرك القلوب التي غلبت عليها القسوة والغلظة.

ضوابط الخطاب المدني:

-كل سورة فيها ذكر الحدود فهي مدنية فسورة المائدة مدنية وقد ورد فيها حدا الحرابة في قوله تعالى: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ..)[2]، وحدّ السرقة، قال تعالى: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[3]، وورد حد الزنا في سورة النور وهي مدنية.

-كل سورة فيها ذكر الفرائض والتشريعات فهي مدنية.

---

[1] - سورة الأعراف، الآية 33.

[2] - سورة المائدة، الآية 33.

[3] - سورة المائدة، الآية 38

-كل سورة فيها ذكر الجهاد فهي مدنية قال تعالى في سورة الأنفال: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)[1]

-كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية سوى العنكبوت فإنها مكية.

-كل سورة فيها مجادلة أهل الكتاب فهي مدنية، وأهمها سورة البقرة، وآل عمران والنساء، والمائدة والتوبة وورد على سبيل المثال قوله تعالى في سورة التوبة: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ)[2].

خصائص الموضوعية والأسلوبية للخطاب المدني:

- طول الآيات والسور المدنية" وهذا يظهر جليا في تفوق نسبة الآيات المدنية من مساحة المصحف بالنسبة للآيات المكية مع أن مجموع الآيات المدنية لا يزيد عن ربع مجموع الآيات المكية عددا "[3] وهذا الطول يناسب تقدير أحكام الشريعة وتفصيلاتها كما هو الحال في آية الدين.

- التفصيل الدقيق لدقائق التشريع، وتفصيل أحكام العبادات والمعاملات والفرائض والحدود وعلاقة المسلمين بغيرهم في السلم والحرب، وقواعد الحكم ونظام الأسرة وغير ذلك.

- أسلوب الإطناب في الآيات والسور المدينة وهو أسلوب يناسب تفصيل الأحكام وتبيين التكاليف وأنواعها.

مظاهر الإيجاز في الخطاب المكي:

كانت البدايات الأولى لنزول الوحي بمكة فهي المهبط الأول للوحي وأهلها هم المخاطبون الأولون بالرسالة قبل البعثة وهم على ما هم عليه من انتشار للفواحش واستشراء للظلم واستعباد للضعفاء ووأد للبنات، وتعامل بالربا وعبادة للأصنام والأوثان وإشراك بالله وتكذيب بالبعث والحساب ويقولون: ("أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ")[4] ويقولون: ("وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا

---

[1] - سورة الأنفال، الآية 39

[2] - سورة التوبة، الآية 30

[3] - غازي عناية، هدى الفرقان في علوم القرآن، دار الشهاب، باتنة، (د ط)، 1988م، ج1، ص217.

[4] - سورة الصافات الآية 16

حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ")[1].

كل هذا الفساد البالغ في العقيدة تصدت له الآيات الأولى من القرآن بالتصحيح، فالحكمة الربانية اقتضت من الخطاب القرآني "بأن يسلك سبيل التدرج والارتقاء في تربية الأفراد، وأن يقدم الأهم على المهم، ولا ريب أن العقائد والأخلاق والعادات، أهم من ضروب العبادات ودقائق المعاملات لأن الأولى كالأصول بالنسبة للثانية لذلك كثر في القسم المكي التحدث عنها والعناية بها"[2]، فقد تجاوب الوحي مع المؤمنين على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة و لم يتطرق إلى دقائق التشريعات والتكاليف التي لا يقوون عليها وهي في بداية المرحلة الإيمانية، فكانت بدايات القرآن سور من المفصل قليلة الآيات يسيرة الحفظ، قريبة المعنى قالت عائشة رضي الله عنها: "إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام "[3]، ولما كان الموضوع الرئيس في الخطاب المكي هو العقيدة وتحقيق التوحيد كان الأسلوب المناسب الإيجاز لما فيه من خفة وسرعة تخلص إلى الوجدان بحركة سريعة خاطفة فاقرأ إن شئت قوله تعالى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿1﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿2﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿3﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿4﴾)[4]، فالسورة على قصرها وإيجازها حوت أركان التوحيد من الإقرار بوحدانية الله تعالى وتنزيهه عن صفات النقص مما يتصف به البشر من الحدوث والتكاثر، والفناء والعجز، والحاجة إلى الغير، وقد تحقق ذلك كله في هذه السورة بفضل هذا القصر الذي جعلها لحمة واحدة، و لم تتعد آياتها الكلمتين أو الثلاث، فحضور الوحدات الثنائية ظاهرة بارزة على أوائل السور المكية ؛كسورة العاديات، وسورة التكاثر، والتين، وغيرها من السور، بل منها ما كانت فواصلها كلمة واحدة كسورة الضحى، والعصر، والفجر وغيرها. كما جمعت هذه السور إضافة إلى قصر فواصلها بساطة جملها وبعدها عن التركيب الذي يتطلب وقتا وتركيزا للربط بين عناصر الجملة؛ فالقوم في غاية النفور وقمة الإعراض تكفيهم الإشارة الخفيفة واللمحة الدالة.

---

[1] - سورة الجاثية الآية رقم 24

[2] –محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1ص202، 203.

[3] – محمد ناصر الدين الألباني، مختصر صحيح الإمام البخاري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1، 2002 م ج 3 ص 336 باب "تأليف القرآن ".

[4] - سورة الإخلاص

وخلاصة القول إن الإيجاز أسلوب اقتضاه المقام وبداية مرحلة الدعوة في مكة، كما هو ضرورة فنية لتحقيق أحد مظاهر الإعجاز البياني الذي بهر المعاندين وشدّ إليه المكابرين.

وفي هذا الفصل نتتبع ما أمكن التعرف عليه من مواطن إيجاز القصر في السور المكية محاولين إظهار جانب البيان والإعجاز فيها مستنيرين في ذلك بما خطّه الأولون؛ إذ الفضل للمتقدم؛ فلولا الشواهد التي ساقوها ما عرف الإيجاز ولا ظهرت بلاغته وسأحاول في هذه الدراسة جمع الشواهد الواردة في السور المكية حسب ترتيب السور والآيات في المصحف الشريف، مستعينا في فهما بمراعاة سبب النزول والسياق العام للآية أو السورة والترابط الحاصل بين الآيات والسور.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: ظاهرة الإجمال

قبل دراستنا لظاهرة الإجمال في السور المكية فإنه لابد من الاعتراف بأن الشواهد كثيرة وكنوز القرآن أكثر من أن تحصى، وإنما هذه إشارات ونماذج لإظهار جانب من الإعجاز البياني

في القرآن الكريم، وسنحاول التنويع في المواضيع والوقفات، ونتجنب تكرار الشواهد التي تصب في المعنى نفسه طلباً للفائدة، وسعيا لإظهار دلائل جديدة تبرز مدى عناية القرآن الكريم بظاهرة الإيجاز بأشكالها المختلفة.

والإجمال في اللغة: من أجمل الشيء: "جمعه عن تفرقة" [1]، و"أجمل الشيء جمعه، والمجمل الموجز،والجملة جماعة كل شيء،وأجمل الكلام ساقه موجزا"[2].

ومن التعريف اللغوي يمكن القول إن الإجمال: هو جمع المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة، وهو عين مفهوم الإيجاز لدى المتقدمين, والإجمال أكثر ظواهر الإيجاز وروداً في القرآن الكريم، وهذه الظاهرة اعتبرها عبد الله درّاز من خصائص الأسلوب القرآني وذلك في قوله"وهذه عجيبة أخرى تجدها في القرآن الكريم ولا تجدها فيما سواه، ذلك أن الناس إذا عمدوا إلى تحديد أغراضهم لم تتسع لتأويل، وإذا أجملوها ذهبوا إلى الإبهام أو الإلباس،أو إلى اللغو الذي لا يفيد، ولا يكاد يجتمع لهم هذان الطرفان في كلام واحد " [3], ويصف عبد الله دراز ثراء هذه الظاهرة بقوله: "حتى ترى للجملة الواحدة أو الكلمة الواحدة وجوها عدة وكلها صحيح ومحتمل وكأنا هي فص من الماس يعطيك كل ضلع منه شعاعا فإذا نظرت إلى أضلاعه جملة بهرتك بألوان الطيف كلها فلا تدري ما ذا تأخذ عينك وما ذا تدع" [4]، وهذا يؤكد رسوخ هذه الظاهرة في القرآن الكريم وما لها من قيمة دلالية تتسع عبر الزمان، والإ جمال ضده البسط والتفصيل وكل منهما يحسن في مواطنه.

و من أكثر الشواهد القرآنية دلالة على ظاهرة الإجمال سورة الفاتحة، وهي سورة مكية تعددت أسماؤها وصفاتها لمالها من مكانة عظيمة وفضل جزيل فهي: أم الكتاب وأم القرآن، وهي الفاتحة وهي السبع الثاني التي ورد ذكرها في قوله تعالى:) وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ)[5] و من أسمائها أيضا: الشافية، والوافية، والكافية والأساس، والصلاة، والرقية، والسؤال، وسورة الدعاء وسورة الشكر، "وسورة الفاتحة من السور ذات الأسماء الكثيرة

---

[1] – ابن منظور. لسان العرب.مادة" جمل "

[2]- مجمع اللغة العربية،المعجم الوسيط, دار المعارف، بمصر، ط 2، 1972 م، مادة "جمل".

[3] – عبد الله دراز، النبأ العظيم، ص 111

[4] – المرجع نفسه، ص 112

[5] – سورة الحجر، الآية 87

والمظنون أن بعض أسمائها ليس توقيفيّا" [1] وهذه الأسماء الكثيرة هي بكثرة ما في السورة من معان وأسرار.

– فقد جمعت"جميع علوم القرآن، وذلك أنها تشتمل على الثناء على الله عز وجل بأوصاف كماله وجلاله، وعلى الأمر بالعبادات والإخلاص فيها، والاعتراف بالعجز عن القيام بشيء منها إلا بإعانته تعالى وعلى الابتهال إليه في الهداية إلى الصراط المستقيم وكفاية أحوال الناكثين، وعلى بيان عاقبة الجاحدين".[2]

والحديث عن إيجاز القصر في هذه السورة هو حديث عن المعاني الكامنة التي تنبثق دلالاتها من خلال المفردات والآيات يفوق الحديث عنها الشرح أو التفسير، ففي قوله تعالى:

– ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ثناء وتوحيد واعتراف ؛فقد جمعت كلمة "الحمد" أصناف الحمد في كل الأحوال "فالألف واللام لاستغراق الجنس من المحامد" [3] كثيرها وقليلها وفي السراء والضراء وفي كل حين، وفي تخصيص الحمد لله كمال الإيمان والتوحيد فهو أهل الحمد والثناء.

– ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ يأتي الربّ في اللغة بمعان كثيرة منها: المعبود، والسيد المالك، والقائم بالأمور المصلح لما يفسد منها، والملك، و"هذه الاستعمالات قد تتداخل فالربّ على الإطلاق الذي هو ربّ الأرباب على كل جهة هو الله تعالى" [4]، و"العالمين"": جمع عالم وهو كل موجود سوى الله تعالى" [5] ف (رب العالمين) حوت تلك المعاني كلها مجتمعة فهو المعبود والسيد والملك والمالك القائم بشؤون العالمين إنسهم وجنهم وملائكتهم وغيرهم من المخلوقات.

ففي قولنا (رب العالمين) إقرار واعتراف بربوبية الله للكون، وتنزيه على أن يشاركه فيها سواه، فانظر كيف جمعت هذه الآية على قصرها وإيجازها هذه المعاني الكثيرة وما جهلناه أعظم.

---

[1] – محمد الطاهر بن عاشور، (تفسير سورة الفاتحة)، المجلة الزيتونية، ج 1، العدد 2، أكتوبر 1937م، ص 8

[2] – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت671هـ)– الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تح: عبد الله بن عبد الحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 2006 م، ج1، ص173

[3] –أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت 546هـ)– المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية لبنان، ط1، 2001 م، ج1، ص66

[4] –ابن عطية، المحرّر الوجيز، ج1، ص 67

[5] – المصدر نفسه والصفحة نفسها.

-(ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ): مدح وتعظيم وطمع ورجاء، يظهر هذا كله عند مراجعة بيان الآية ؛فالله تعالى مع كونه ربّ العالمين فهي صفة تضاف إلى صفتين —الرحمن-الرحيم قال القرطبي: " رحمن الآخرة ورحيم الدنيا فهما صفتان تشملان كل معاني الرحمة وأنواعها المختلفة قال "الخزرمي": الرحمن بجميع خلقه في الأمطار ونعم الحواس والنعم العامة، الرحيم بالمؤمنين في الهداية لهم واللطف بهم"[1]، فهاتان الصفتان تبعثان على الطمع والرجاء في طلب الرحمة وسؤال الخير من الله تعالى في الدنيا والآخرة.

– (يَوۡمِ مَلِكِ ٱلدِّينِ(دلالة على كمال ومطلق القدرة الإلهية، وإثبات لعقيدة البعث والحشر والحساب، فالله تعالى له مطلق الملكية والتصرف في هذا اليوم بدءً من البعث إلى كل تفاصيل هذا اليوم كما قال تعالى: (يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ)[2]

-(إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ (وفي هذه الآية من المعاني مالا يمكن حصره فمنها: إبرام العهد مع الله على أداء الطاعات والتذلل "فالعبادة: التذلل قال الجمهور" [3] وتخصيص الله تعالى بالعبادة وطلب الاستعانة منه فيه كمال الإيمان إذ لا أحد يستحق أن يعبد أو يطلب منه العون سواه، فهو الرب والرحمان الرحيم، وهو وحده أهل العبادة والقادر على الإعانة لا رب سواه، وغيره فقير إليه، "قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: (إياك نعبد) يعني إياك نوحّد ونخاف ونرجوك ياربنا لا غيرك، (وإياك نستعين) على طاعتك وعلى أمورنا كلها".[4]

-(ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ) و من معانيها الدعاء وطلب الهداية والثبات عليها، وفي جميع الأحوال، والنجاة من الزيغ والانحراف؛ فالصراط المستقيم هو سبيل النجاة الأوحد. " وكل داع فإنما يريد "الصراط"بكماله في أقواله وأفعاله ومعتقداته" [5]، فالمؤمن لا يبارحه خوف الخروج عن

---

[1] – المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[2] – سور غافر – الآية 16

[3] –محمد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسي (ت745هـ)– تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993 م، ج1، ص 140

[4] – عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت774ه)، تفسير القرآن العظيم،، مؤسسة قرطبة مصر، ط1، 2000 م، ج1، ص215.

[5] – أبو حيان، المحرر الوجيز، ج1، ص 140.

الصراط المستقيم والوقوع في اللبس فالصراط المستقيم كل الناس يخطبه فمنهم من يظفر به ومنهم يزيغ دونه وربما اعتقد أنه عليه، وفيها دعوة إلى الوحدة والتوحّد لأن " الطريق المستقيم واحد وما عداه معوجة وبعضها يشبه بعضا في الاعوجاج فيشتبه الطريق، أما المستقيم فلا يشابه غيره فكان أبعد عن الخوف والآفات وأقرب إلى الأمان والطريق المستقيم لا يتغير والمعوج يتغير" [1]؛ لذا يكرر المسلم هذا الدعاء في اليوم مرات عديدة وهو بين الأمل في الاهتداء إليه والخوف من الحيد عنه.

-(صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمۡ غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ) و فيها إشارة إلى الاقتداء بالأنبياء والصالحين والسير على نهجهم والابتعاد عن نهج اليهود والنصارى، وفي قول تعالى: (الذين أنعمت عليهم) إيجاز وإجمال فقد جاء تفصيل الذين أنعم الله عليهم، وهم المذكورون في سورة النساء في قوله تعالى: (وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا)[2]، وخلاصة القول إن الفاتحة تضمنت معاني عظيمة منها:

أ – تبيين حقيقة التوحيد وهو معرفة الرب ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله.

ب– الطريق الموصلة إلى الله تعالى وهي تخصيصه وحده بالعبادة والاستعانة وطلب الهداية منه لأنه لا سبيل إلى الهداية إلا بتوفيقه.

ج– أي خروج عن الصراط المستقيم هو انحراف وضلال وخسران مبين، هذا ويبقى للفاتحة معاني كثيرة "فمن تحقق بها علما ومعرفة وعملا وحالا فقد فاز من كماله بأوفر نصيب، وصارت عبوديته عبودية الخاصة الذين ارتفعت درجتهم عن عوام المتعبدين" [3].

وبعد سورة الفاتحة تستوقفنا آية عظيمة في سورة الأنعام وهي قوله تعالى: (وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ)[4]، وهذه الآية آية في الإيجاز

---

[1] – محمد الرازي فخر الدين (ت604ه)، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، ط1، 1981 م، ح 1، ص 261

[2] – سورة النساء الآية 96.

[3] – أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية (ت751هـ)، كتاب الفوائد، تح: فواز أحمد زمرلي، دار ابن حزم، ط1. 2002 م، ص 40

[4] – سورة الأنعام الآية 3

وبرهان على الإعجاز؛ فقد جمعت أسس وأركان العقيدة الصحيحة فالله تعالى هو خالق السموات والأرض وما فيهن وهو المعبود والمدبر، وهو صاحب العلم التام والمطلق، والمحيط بالسموات والأرض يستوي في علمه السر والجهر "فالمقصود من هذه الآية بيان كونه تعالى عالما بجميع المعلومات"[1], قال التبريزي: "معناه يعلم ما تخفونه من أعمالكم ونياتكم وما تظهرون من أعمالكم (ومما تكسبون) لفظ عام لجميع الاعتقادات والأقوال والأفعال، وكسب كل إنسان عمله المفضي به على اجتلاب نفع، أو دفع ضر" [2], فانظر كيف جمعت هذه الآية بين صفات الله تعالى وهي صفات الكمال التي تفرد بها وحده سبحانه دون سواه من ألوهية وربوبية وعلم وقدرة وإحاطة وهي جميعها تدفع المؤمن إلى الخوف والحذر والاحتياط في القول والعمل وملازمة الشريعة والعمل بها في السرّ والعلن.

و نبقى في السورة نفسها ومع آية أخرى هي قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ)[3]، فلقد اقتضت الحكمة الربانية أن يكون الماء سببا في وجود هذه الأشياء كلها وهو ما يشير إليه قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ)[4]، فالإيجاز حاصل في قوله تعالى: (فأخرجنا به نبات كل شيء) ويقصد به جميع ما ينمو من الحيوان والنبات و المعادن و غير ذلك ،لأن ذلك كله يتغذى و ينمو بنزول الماء من السماء" [5], فاستعمال لفظ (كل) يوحي بالإحاطة والشمول لكل الأشياء , ومن العلماء من خصّ الآية بالنبات بدليل ما جاء بعدها من تفصيل لأنواع النبات من نخل وزيتون ورمان وفواكه وحبوب وغيرها ,فالأصل واحد و الفروع كثيرة ,فلك أن تتخيل ما حوته الآية من معان ، و كم تحتاج أنت من المفردات و الجمل لاستغراق معانيها .

---

[1] – الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج12، ص 163

[2] – أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج4، ص 78

[3] – سورة الأنعام الآية99.

[4] - سورة الأنبياء الآية 30

[5] أبو حيان تفسير المصدر السابق ج 4 ص 192

و نختم مع سورة الأنعام بموقف آخر من مواقف الإيجاز المبهرة وذلك في قوله تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ)[1] ففي الآية الكريمة نهي قاطع وعام يشمل جميع الفواحش وهذا أصل عام من أصول الدين إذ الفواحش والمعاصي وإن اختلفت في حالها بين الظهور والخفاء فهي تشترك في حكم التحريم، وقريب منها قوله تعالى في السورة نفسها: (وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ)[2] في هذه الآية أيضا "نهي عام من طرفيه لأن (الإثم) يعمّ الأحكام والنسب اللاحقة للعصاة عن جميع المعاصي، والظاهر والباطن يستوفيان جميع المعاصي"[3]، فيدخل في هذا الإجمال المعاصي والفواحش الظاهرة التي ترتكب بالجوارح كالضرب والظلم والسرقة والزنا ومن الآثام الباطنية، الحسد، البغض، والنفاق، وأمراض القلوب الكثيرة، فكانت الآية دستورا عاما لا استثناء فيه إذا ما تمثله المسلم ظهر نقاؤه قلبا وقالبا وأمن على نفسه نقد المجتمع في الدنيا، وعقاب الله في الآخرة.

وفي سورة الأعراف شواهد كثيرة للإيجاز توضح عناية القرآن بظاهرة الإجمال منه قوله تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)[4]، قال فيها بعض السلف: " جمع الله الطب كله في نصف آية (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) [5] ,وقال ابن عباس في هذه الآية:" أحل الله الأكل والشرب مالم يكن إسرافا أو مخلية"[6]، فقد أمر الله عباده أن يأكلوا ويشربوا مما أحل لهم دون أن يسرفوا ففي الإسراف ضرر الأبدان، وضياع الأموال، وخروج عن الاتزان والاعتدال الذي هو عنوان الأمة لقوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا)[7] وسطا)[7] وعند التأمل في الآية من مطلعها إلى نهايتها نلحظ أن الله "جمع فيها أصول الكلام النداء

---

[1] - سورة الأنعام, الآية 151

[2] - سورة الأنعام، الآية 120.

[3] - ابن عطية، المحرر الوجيز، ج2، ص339

[4] - سورة الأعراف، الآية 31

[5] - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج6، ص288.

[6] - ابن عطية، المصدر السابق، ج2ص، 393.

[7] - سورة البقرة الآية 143.

و العموم ، و الخصوص ، و الأمر ، و الإباحة و النهي و الخبر" [1]؛ فالنداء ب (يا),والعموم في(بني), والخصوص(آدم) والأمر في (خذوا زينتكم) , والإباحة(كلوا واشربوا), والنهي في (لا تسرفوا) ,والخبر في (إنه لا يحب المسرفين), فالآية الكريمة جمعت إلى إيجاز المعاني إيجاز ضروب الكلام وهذا لعمري الإعجاز بالإيجاز.

وغير بعيد عن هذه الآية نقف عند الآية التي تليها عند قوله تعالى: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ)[2] والمقصود بـــ"زينة الله"ما حسنته الشريعة وقررته مما يتجمل به من الثياب وغيرها، وأضيف إلى الله، لأنه هو الذي أباحها و"الطيبات"هي: المستلذات من المأكول والمشروب بطريقة وهو الحيل فقد جمعت هذه الآية مالا يحصى من نعم الله التي أباحها لعباده؛ شملت الملبس والمتاع ويدخل فيه وسائل الترفيه ومستلزمات العصر الحديثة من وسائل اتصال ووسائل مواصلات على اختلافها، كما شملت الآية أنواع الأطعمة والأشربة المباحة، وكل مظاهر الزينة والطيبات من متطلبات الحياة وعوامل القوة والبقاء.

و في قوله تعالى: (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)[3] قمة الإيجاز وذروة سنامه فهاتان "كلمتان استوعبتا جميع الأشياء على غاية الاستقصاء وروي أن ابن عمر رحمه الله قرأها فقال ": من بقى له شيء فليطلبه" [4]، فالله سبحانه وتعالى وحده الذي يملك القدرة على الخلق، والخلق في اللغة "يستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا اقتداء قال تعالى: (خلق السموات والأرض) أي أبدعها بدلالة قوله (بديع السموات والأرض)، " [5] "و الأمر الشأن وجمعه أمور، وأمرته إذا كلفته أن يفعل شيئا، وهو لفظ عام للأفعال والأقوال كلها "[6] والخلق والإبداع كلاهما كلاهما يختص بالله وحده، وتدبير الأمور والشؤون والتصرف فيها لا ينبغي لغير الله؛ فالآية الكريمة

---

[1] – أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911ه) ،معترك الأقران في إعجاز القرآن ضبط وتصحيح : أحمد شمس الدين , ط1 , دار الكتب العلمية بيروت 1988 ,ص 299

[2] – سورة الأعراف الآية 32

[3] – سورة الأعراف الآية 54

[4] – أبوهلال العسكري، الصناعتين، ص 196.

[5] –الراغب الأصفهاني، المفردات، مادة خلق

[6] – المصدرنفسه، مادة " أمر"

أثبت لله كل ما في الكون من مخلوق وما يتعلق به من رزق وقدر وفعل وإرادة وحركة وسكون، ومن مفهوم مخالف نفت أن تكون لغير الله من إنسان أو أي كائن آخر مهما عظم قدره على الخلق أو الأمر ؛فالمخلوقات كلها لله وملكه واختراعه وكل ما يحدث بإرادته وتدبيره فتأمل كيف جمع سبحانه بهاتين الكلمتين كل سبق في علم الله تعالى خلقه من أصناف لا يحصيها إلا هو، وما يحدث من أمور لا يدرك حقيقتها وحكمتها إلا الله.

وفي الآية التي تليها وهي قوله تعالى: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)[1] تبيين الآداب العامة للدعاء؛ فقد جمعت الآية الكريمة آداب وشروط عبادة عظيمة وهي الدعاء، فالعبد حين يقف بين يدي خالقه سائلا حاجته مناجيا ربه يحسن به أن يكون في حال من التذلل والخشوع والاستكانة وهذا تأدبا مع الله تعالى وإظهارا للافتقار والحاجة إليه، كما يحسن بالسائل أن يكون الدعاء "خفية"أي: سرا في النفس ليبعد عن الرياء، وبذلك أثنى الله على نبيه زكريا عليه السلام إذ قال مخبرا عنه: (إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا)[2]، والأدب الثالث في قوله تعالى: (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) والاعتداء على وجوه منها:

- " الجهر الكثير والصياح، ومنها أن يدعو طالبا معصية وغير ذلك، ومنها أن يدعو الإنسان أن تكون له منزلة نبيّ أو يدعو في محال، ونحو هذا من الشطط "[3]

- و" أن يدعو بما يخالف الكتاب والسنة ".[4]

فهذه الآداب جمعت أمورا ثلاثة بين حال الداعي وهو التذلل والانكسار وبين حال الدعاء، وهو الخفية وبين الدعاء في حدّ ذاته أي موضوعه وهو عدم الاعتداء ومجاوزة المحظور. وفي الآية التي تليها إيجاز رائع يكمل الموضوع ويوضح جانبا مهما منه وذلك في قوله تعالى: (وادعوه خوفا وطمعا) فالمؤمن يدعو ربه إما طمعا فيما عنده من خيرات الدنيا والآخرة، أو خوفا من عذابه وسخطه في الدنيا والآخرة, قال تعالى(۞إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا

---

[1] - سورة الأعراف الآية 55

[2] - سورة مريم الآية 3

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ج 9 ص 244

[4] - المصدر نفسه، ص 248

وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿90﴾ [1], ولصاحب البحر المحيط إفاضة رائعة حيث قال: " لما كان الدعاء من الله بمكان كرره فقال أولا: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً)، هاتان الحالتان من الوصف الظاهر لأن الخشوع والاستكانة وإخفاء الصوت ليست من الأفعال القلبية أي: وجلين مشفقين وراجين مؤملين فبدأ أولا بأفعال، جوارح، ثم ثانيا بأفعال القلوب "[2].

و في سورة يونس شاهد آخر من شواهد الإيجاز هو قوله تعالى: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴿42﴾وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَايُبْصِرُونَ)[3] تدل الآية الكريمة على عدم الجدوى من استماع هؤلاء الكفار للقرآن لما هم عليه من بغض وكره شديدين للدين الأمر الذي كان بمثابة الحجاب بينهم وبين إدراك الحقيقة ، حيث فقدوا ثمرة هذه الحواس وإن لم يفقدوا الحواس ؛"فالصمم في الأذن معنى ينافي حصول إدراك الصوت فكذلك حصول هذا البغض الشديد كالمنافي للوقوف على محاسن هذا الكلام والعمى في العين معنى ينافي حصول إدراك الصورة فكذلك البغض ينافي وقوف الإنسان على محاسن من يعاديه والوقوف على ما أتاه الله من الفضائل " [4] , فالسمع والبصر لا يؤديان وظيفتهما إلا إذا حكّم العقل والمنطق وكانت الرغبة جادة في في تقبّل ما يعرض عليهما وحال هؤلاء أنهم ركبوا الأهواء و الأحقاد التي تعمي البصائر وتحول دون الفهم "لأن العائق عن الفهم نقض الأذن لما يأتي من جهة الخصم ,و السماع – كما نعلم – هو استشراف المخاطب إلى ما يفهم من المتكلم ,فإن لم يوجد عند المخاطب استشراف إلى أن يسمع فالكلام يقال ولا يصل " [5] وكذلك الأمر بالنسبة للنظر فحضور القلب ضروري لكلا الحالتين و هذه كلها أبواب الإدراك, و سبل الفهم فكيف بمن عطّل السمع و البصر و البصيرة أن يهتدي إلى الإيمان و يدرك معاني القرآن ويتذوق مكامن الحسن و الإعجاز فيه . و في هذا تسلية للنبي صلى الله عليه و سلم بأن لا يكلف نفسه عناء الاهتمام بهم و لا تذهب نفسه حسرات عليهم لأن الهداية من الله وحده.

---

[1] سورة الأنبياء الآية 90

[2] - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ج4ص 313

[3] - سورة يونس الآيتان 42، 43.

[4] الفخر الرازي مفاتيح الغيب ج 17 ص 105

[5] تفسير الشعراوي ,ج 10 ص 5953

وفي سورة هود آية أخرى تناولتها كتب البلاغة بكثير من الدراسة والتحليل وهي قوله تعالى: (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)[1]فبعد أن هدأت الأمور وحلّ بالقوم ما حل من غضب الله وعقابه وبعد أن نجى الله نوحا ومن معه في السفينة يأتي خطاب الله للأرض والسماء وهما أعظم مخلوقاته فناداهما ثم أمرهما وهذا من أكبر الدلائل على قدرة الله تعالى وعظمته، فلا ينادي هذه الأجسام العظيمة إلا من هو أعظم منها ومقتدر عليها، وهي لا تلبي إلا نداء من له عليها سلطة وجبروت واقتدار، فالآية كما ترى "تتضمن مع الإيجاز والفصاحة دلائل القدرة" [2]، أما دلائل القدرة فتجلت في تلبية هذه المخلوقات لنداء ربها وأمره، وأما الفصاحة والبيان فهما أكبر من أن يحيط بهما إنسان أو يصفهما ناطق ببيان.

ولقد تفانى أهل الصناعة في شرحها وتبيين مواطن الإعجاز فيها ؛فالله سبحانه وتعالى "أمر فيها ونهى وأخبر و نادى ونعت وسمّى وأهلك وأبقى وأسعد وأشقى وقصّ من الأنباء ما لو شرح ما اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان لجفّت الأقلام وانحسرت الأيدي "[3]، "ففي هذه الآية نادى الله سبحانه وتعالى الأرض والسماء بما ينادى به الإنسان المميز، على لفظ التخصيص والإقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله: "يا أرض"، "وياسماء" ثم أمرهما بما يأمر به أهل التمييز والعقل من قوله (ابلغي مائك)و(أقلعي) من الدلالة على الاقتدار العظيم وأن السماوات والأرض وهذه الإجرام العظام منقادة لتكوينه يفعل فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه، كأنها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور"[4]، وفي بناء الفعل في قيل وما بعدها للمفعول دون ذكر الفاعل دلالة على عظم الآمر وجبروته" فروي أن أعرابيا سمع هذه الآية فقال: هذا كلام القادرين"[5].

و لو تتبعنا مفردات الآية لرأينا كيف جمعت هذه الألفاظ بين دقة المعنى وقوة التصوير وفي هذا يقول عبد القاهر: "وهل تشك إذا فكرت في قوله تعالى: (قِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ

---

[1] - سورة هود, الآية 44

[2] – عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 45

[3] – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 223.

[4] – الزمخشري، الكشاف، ج 3، ص 202، 203

[5] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج3، ص175

أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)، فتجلى لك منها الإعجاز وبهرك الذي ترى وتسمع أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة وا لفضيلة القاهرة إلا الأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض وإن لم يعرض لها الحسن والشرف الأمر حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وهكذا إلى أن تستقربها إلى آخرها وأن الفضل تناتج ما بينها، وحصل من مجموعها " [1]، ولشرح هذا الأحكام يجرى عبد القاهر دراسة تحليلية تطبيقية فيقول: "و كيف بالشك في ذلك، ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض ثم أمرت ثم في أن كان النداء "بيا"دون "أي" نحو "ياأيتها الأرض "ثم أضاف الماء إلى "الكاف"دون أن يقال "ابلعي الماء"ثم أن أتبع نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها، نداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها ثم أن قيل: "وغيض الماء"فجاء الفعل على صيغة "فعل"الدالة على أنه لم يغض إلا بأمر آمر وقدرة قادر ثم تأكيد ذلك وتقديره بقوله تعالى: "وقضي الأمر" ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور وهو: " استوت على الجودي" ثم إظهار"السفينة قبل الذكر، كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن ثم المقابلة "قيل" في الخاتمة "قيل"في الفاتحة ؟ أفترى لشيء من هذه الخصائص التي تملؤك بالإعجاز روعة وتحضرك عند تصورها هيبة تحيط بنفس من أقطارها تعلق باللفظ من حيث هو صوت مسموع وحروف تتوالى في النطق ؟ أما كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب"[2]. انظر كيف استطاع الجرجاني بحسّه البياني أن يغوص في أغوار هذه الآية ويكشف معانيها ويقف على كثير من جوانب الإعجاز فيها, وإن جاز لنا الحديث عن بلاغة هذه الآية فيمكن القول إنه اجتمع فيها اللفظ المختار والتركيب المحكم والترتيب الدقيق؛ فلقد صورت ألفاظ الآية المشهد أبلغ تصوير في أوجز عبارة فتأمل قوله تعالى "ابلعي ماءك"و "البلع" هو تجرع الشيء وازدراده، ولا يخفى أن ما يتبع الازدراد من سرعة وإتيان على الشيء كله تناسبان الإيجاز ,والأمر للسماء بالإقلاع عن الماء والتوقف عن إنزال المطر يصب في السياق نفسه، والأمر كذلك بالنسبة لقوله تعالى "وغيض الماء"وهو بمعنى قل ونقص و غاب في الأرض وهذه العملية تسهم في نهاية المشهد.

فهذه الأفعال إضافة إلى ما تحويه من إيجاز –إذ كان كل فعل منها يختصر أكثر من حركة أو فعل –رتبت لتفضي إلى نتيجة هامة وهي استواء واستقرار السفينة على الجبل ويتسارع الأمر

[1] –الجرجاني، دلائل الإعجاز ص45

[2] – المصدر نفسه، ص 45، 46

ليختتم المشهد بقوله تعالى "وقضي الأمر" وهذا إيجاز بليغ حيث جمع أطراف القصة من بداية هطول المطر وحلول العقاب والهلاك بالقوم إلى نهاية القصة باستقرار السفينة ونجاة من كان عليها من المؤمنين، فالآية الكريمة كما رأيت "قد بلغت من مراتب الإعجاز أقاصيها واستذلت مصاقع العرب فسفعت بنواصيها وجمعت من المحاسن ما يضيق عن نطاق البيان، وكانت من سمهري البلاغة مكان السنان"[1]، "فلو فتش كلام العرب والعجم ما وجد فيه مثل هذه الآية على حسن نظمها وبلاغة وصغها، واشتمال المعاني فيها"[2].

و في سورة طه عند قوله تعلى: (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ)[3] إيجاز عظيم وإجمال فائق فقد أثبت الله تعالى في هذه الآية ملكيته. وحده للكون كله بما فيه من إنسان وحيوان وجماد وملائكة وعدّد ما شئت من المخلوقات في السموات والأرض وما تحت الثرى من كائنات وثروات وأشياء أخرى لا يعلمها إلا الله فعلمه تعالى محيط بكل ذلك "فالجميع ملكه وفي قبضته، وتحت تصريفه ومشيئته وإرادته وحكمه، وهو خالق ذلك ومالكه وإلهه، لا إله سواه ولا ربّ غيره"[4]. ونبقى مع السورة نفسها ومع آية أخرى أسال فيها الإجمال حبرا كثيرا وهي قوله تعالى: (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ)[5]، فقد فصّل موسى عليه السلام بعض منافع العصا وأجمل الكثير في قوله "ولي فيها مآرب أخرى"ولقد اجتهد كثيرون في عد مآرب هذه العصا منهم ابن عباس – رضي الله عنه بقوله "إذا انتهيت إلى رأس بئر فقصرت الرشا وصلته بالعصا، وإذا أصابني حر الشمس غرزتها في الأرض وألقيت عليها ما يظلني، وإذا خفت شيئا من هوام الأرض قتلته بها ,وإذا مشيت ألقيتها على عاتقي وعلقت عليها القوس والكنانة والمخلاة وأقاتل بها السباع عن الغنم"[6]، فموسى عليه السلام فصّل ثم أجمل "كأنه أحسّ بما يعقب هذا السؤال من أمر عظيم يحدثه الله تعالى فقال: ما هي إلا عصا لا تنفع إلا منافع بنات جنسها وكما تنفع العبد أن، يكون جوابه مطابقا للعرض

---

[1] – شهاب الدين محمد الألوسي البغدادي (ت 127هـ)–روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د ط، د ت)، ج12، ص 63

[2] – النحاس، إعراب القرآني، ج2. ص 286

[3] – سورة طه، الآية 6

[4] - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج9، ص 321

[5] - سورة طه، الآية 18

[6] - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص 44

الذي فهمه من فحوى كلام ربه، ويجوز أن يريد – عز وجل- أن يعدّد المرافق الكثيرة التي عقلها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها، ثم يريه على عقب ذلك آية عظيمة، كأنه يقول له: أين أنت عن هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى، المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتد بها وتحتفل بشأنها"[1], لكن ما سرّ الإجمال بعد التفصيل؟ قالوا: "إنما أجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فيزيد في إكرامه، وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فأجمل"[2]، ومما قيل في تعليل الإجمال والتفصيل في هذه الآية :" أن موسى أحبّ خطاب ربه فأحب مناجاته فأطال الحديث معه، وكأنه لا يود أن يفرغ من كلامه مع ربه فقال مطنبا : (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي)[3] ثم أراد أن يستعجل جواب ربه، وأن يجمل حديثه حتى يخرج معه من متعة إلى متعة من متعة خطابه لربه إلى متعة سماعه لربه فأجمل قائلا: (وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ)، أجملها وأفضلها لأني أشتاق إلى سماعك وخطابك لي "[4]، وفيها أيضا إشارة إلى بلاغة موسى وتأدبه مع ربه فقد ذكر الوظائف البارزة والمحترمة للعصا وأعرض عن الأخرى ؛لأن من وظائفها ما هو تافه,ومنها ما لا يحسن ذكره في مقام مخاطبة الحضرة الإلهية وهذا أدب الأنبياء.

وفي قوله تعالى: (وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ)[5] إجمال شمل مختلف المعاني وشتى أصناف البيان والبديع ؛ فقد جمعت الآية أحد عشر جنسا من الكلام، نادت وكنّت، ونبهت وسمّت وأمرت وقصت، وحذرت، وخصت وعمت، وأشارت وأعذرت فالنداء يا، والكناية أي، والشبيه ها، والتسمية النمل، والأمر ادخلوا، والقصص مساكنكم والتحذير لا يحطمنكم، والتخصيص سليمان، والتعميم جنوده، والإشارة وهم، والعذر لا يشعرون فأدت خمسة حقوق: حق الله، وحق رسوله، وحقها، وحق رعيتها، وحق جنود سليمان "[6]، لقد ضربت هذه النملة لبني البشر أروع الأمثلة في بناء مجتمع متكافل يتغلب فيه الشعور الاجتماعي على المصلحة الذاتية ,فإن أول ما فكرت فيه النملة هو إخطار بقية النمل بالخطر الداهم وهذه مسؤولية أخلاقية يقرها الشرع قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ

---

[1] - الزمخشري، الكشاف، ج4، ص 75

[2] - المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[3] - سورة طه، الآية 18

[4] - مختارة عطية –الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز، ص 205

[5] - سورة النمل، الآية 17

[6] - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج 2، ص 55

وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)[1] فالنصيحة واجب ديني وهي حق الفرد على أخيه كما أن الانتماء إلى الجماعة لا يستلزم كره الغير وإساءة الظن بهم فالخطأ وراد والعذر مطلوب.

وفي قوله تعالى:)إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿30﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ)[2] حيث جمعت بين الإيمان وهو الجانب العقدي والأساسي لدين ثم الجانب العملي والتطبيقي وهو الاستقامة وهذان الجانبان يمثلان الصورة الصحيحة والمكتملة للإسلام وقد جاءت آيات كثيرة اقترن فيها ذكر الإيمان بالعمل الصالح منها قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ)[3] وقوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)[4], وفي هذه الآية جاءت الاستقامة بعد الإيمان، ولفظ الاستقامة لفظ جامع لمعان كثيرة منها: " ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: "ثم استقاموا" لم يشركوا بالله شيئا وروي عن عمر رضي الله عنه – أنه قال على المنبر وهو يخطب: "إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا"فقال: استقاموا والله على الطريقة لطاعته ثم لم يرغوا روغان الثعلب، وقال عثمان رضي الله عنه ثم أخلصوا العمل لله، وقال علي رضي الله عنه: ثم أدوا الفرائض وقيل: استقاموا إسرارا كما استقاموا أقدارا، وقيل استقاموا فعلا كما استقاموا قولا"[5]، والحقيقة أن الإسلام كل لا يتجزأ عقيدة وعبادة ومعاملة فالاستقامة تشمل الالتزام بالصراط المستقيم في كل الأحوال وفي شتى مجالات الدين والحياة "وهذه الأقوال وإن تداخلت فتلخيصها، واعتدلوا على طاعة الله عقدا وقولا وفعلا، وداموا على ذلك"[6]، فالاستقامة منهج ربانيّ يبعد المسلم عن الشطط والغلوّ في العقيدة والعبادة، والاستقامة سلوك عملي وهو الجانب التطبيقي لمقتضيات الإيمان والإسلام "فكل إسلام ظاهر لا ينفذ صاحبه منه إلى حقيقة الإيمان الباطنة فليس بنافع حتى يكون معه شيء من الإيمان الباطن، وكل حقيقة باطنة لا

---

[1] - سورة التحريم، الآية 6

[2] - سورة فصلت، الآيتان 30-31.

[3] - سورة فصلت، الآية 8.

[4] - سورة البينة، الآية 7

[5] - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 18، ص 416-417

[6] - المصدر نفسه، ص 417.

يقوم صاحبها بشرائع الإسلام الظاهرة لا تنفع ولو كانت، فلو تمزق القلب بالمحبة والخوف، و لم يتعبد بالأمر وظاهر الشرع لم ينجه ذلك من النار، كما أنه لو قام بظواهر الإسلام وليس في باطنه حقيقة الإيمان لم ينجه ذلك من النار "[1]، وفي استعمال صيغة (استفعل) دلالات منها الطلب وهو متحقق في لفظ استقاموا فهؤلاء يجتهدون طوال حياتهم على تطبيق الشريعة قولا وعملا ويبحثون عن أسباب النجاة الظاهرة والباطنة فالاستقامة مطلبهم وغايتهم و لم تكن حالة عابرة، كما تفيد هذه الصيغة تبيين حقيقة الشيء كما هي كما تقول: استعذبت الماء أي وجدته عذبا، فهؤلاء الاستقامة ظاهرة على أحوالهم، وحقيقة ماثلة فيهم.

و في قوله: (فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ)[2]، جمعت هذه الآية صنوف الفاكهة ما لا يحصي عده بشر ولا يدرك وصفة وطعمه أحد، فاستعمال لفظ (كل) يحيط ويشمل كل ما هو من نوع الفاكهة علمه من علمه وجهله من جهله، كما تدل لفظة (زوجان) أيضا على التنوع الحاصل في جنس الفاكهة الواحدة وهذه نهاية الإيجاز إذ جمع بين كل ماله علاقة بالفاكهة شكلا وطعما، قال ابن عباس: "ما في الدنيا شجرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل إلا أنه حلو, وقيل :ضربان رطب ويابس، لا يقصر هذا عن ذلك في الفضل والطيب "[3]، وقد ورد ذكر فاكهة الجنة في آيات كثيرة منها قوله تعالى: (وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ)[4].

وفي قوله تعالى: (لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ") إيجاز زاخر بشتى المعاني والأوصاف المتعلقة بالخمر، ومعنى قوله تعالى: (لا يصدعون عنها) "أي: لا تنصدع رؤوسهم من شربها والصداع هو شبه الاشتقاق في الرأس من الوجع " [5]، "و لا يترفون"تقول نزف دمه أو دمعه أي نزع كله، وأنزفوا إذا نزف شرابهم أو نزعت عقولهم" [6]، وهذا وصف جامع لخمر الجنة وحال من يشربها "فهم لا يصيبهم الصداع بسببها أو أنهم لا يفرقون بسببها، فهي لذة بلا أذى، بخلاف شراب

---

[1] – ابن قيم الجوزية، كتاب الفوائد، ص 200-201.

[2] سورة الرحمن، الآية 52.

[3] – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 20، ص 152.

[4] – سورة الواقعة، الآية 32

[5] – الراغب الأصفهاني: مفردات غريب القرآن، مادة "صدع "

[6] – المصدر نفسه، مادة" نزف"

الدنيا، فهي في الجنة لا تنفد من بين أيديهم" [1]، فلا يخفى على أحد ما في خمر الدنيا من عيوب وأضرار ؛كالصداع وذهاب العقل وفساد الأخلاق، وضياع المال والوقت، وانتشار الجريمة في المجتمع فهي أم الخبائث جميعها، "روى الضحاك عن ابن عباس قال: في الخمر أربع خصال: السكر والصداع والقيء والبول، وقد ذكر الله تعالى خمر الجنة فنزهّها عن هذه الخصال" [2]، فشاربو خمر الجنة لا يلحق رؤوسهم الصداع الذي يلحق من خمر الدنيا، ولا تقطع عنهم لذتهم بسبب من الأسباب، ولا ينقطع شرابهم ولا تذهب عقولهم، فما أكثر هذه المعاني وما أوجز هذه الآية "فهاتان الكلمتان قد أتتا على جميع معايب الخمر، ولما كان منها ذهاب العقل وحدوث الصداع برّأ الله خمر الجنة منها، وأثبت طيب النفس، وقوّة الطمع وحصول الفرج"[3].

وفي قوله تعالى: (وَٱلۡعَصۡرِ إِنَّ ۝ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ إِلَّا ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ)[4] إن هذه السورة على إيجازها تمثل بآياتها الثلاث دستورا ربانيا متكاملا يبيّن حقيقة الحياة ويضع شروط الفلاح وأسباب النجاة من منظور إيماني دقيق.

فأول شروط الفوز وأسباب السعادة الإيمان وهو عماد الأمر كله وبه يخرج المرء من دائرة الخسر الواسعة، ويتعزز طريق النجاة بالأعمال الصالحة وهي الجانب العملي للدين وهذه الشروط يستقيم بها الفرد وتعود عليه بالنفع وحده وهذه مسؤولية شخصية، كما تقرر السورة مسؤولية أخرى هي المسؤولية الاجتماعية ممثلة في التناصح والتواصي بإقامة الحق في الأمور كلها من عقائد وأخلاق ومعاملات ؛فالسورة ترسم للمرء خطر الخسران المحدق وتوجز باختصار شديد معالم طريق النجاة منه، ويسهم القسم والاستثناء "بإلا " مع التوكيد "بإن "في تبيين خطورة الأمر وتحديد السبيل الأوحد للخروج منه، والسورة كما ترى جمعت أطراف الدين وأركانه ؛من توحيد وعبادات ومعاملات وهذه هي معالم الطريق المستقيم، والترتيب بين هذه الثلاثة له دلالتة ؛فالتوحيد هو شرط القبول وأساس الدين، ويتبعه التصديق بالعمل والتطبيق المتمثل في العبادات وهذه جميعها تؤتي ثمارها في الجانب الأخلاقي المتمثل في المعاملات من تواص وتناصح بالحق

---

[1] – مختار عطية، الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز، ص205، 206

[2] – القرطبي، المصدر السابق، ج 20ص 188

[3] – أبو منصور الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، ص12

[4] – سورة العصر

والصبر على أذى الجاهلين، وهذا ما يضمن للمجتمع قوته وترابطه واستمراره على النهج القويم، "فهذه السورة على قصرها جمعت من العلوم ما جمعت، فقد روي عن الشافعي عليه الرحمة أنه قال: لو لم يترل غير هذه السورة لكفت الناس ؛لأنها شملت جميع علوم الدين ".[1]

و في قوله تعالى: "(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿1﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿2﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿3﴾")[2]، هذه السورة المكية هي أقصر سور القرآن الكريم وأقل من حيث عدد الآيات والكلمات والجمل إلا أنها جمعت معاني كثيرة منها :

-الامتنان والتشريف والتبشير في قوله تعالى:(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) فالله تعالى يبشر نبيه بالخير الكثير الذي لا عد له من معط كبير لا يعلم خزائن ملكه إلا هو: فهذه منة ربانية وتشريف عظيم"فجمعت له الغبطتان السنيتان: إصابة أشرف عطاء، وأوفره من أكرم معط وأعظم منعم"[3]، ويظهر الإجمال في هذه السورة الكريمة في أمور كثيرة منها:

- الأمر بالطاعات من صلاة ونحر تقربا لله وشكرا له على نعمه وذلك في قوله تعالى: (فصل لربك وأنحر) صلاة ونحرا خالصين لوجه ربك خلاف ما يفعله قومك من عبادة الأوثان والتقرب إليها بالذبائح والقربان، وفي هذا جمع بين مختلف العبادات الروحية منها والمادية المتعلقة بالمال.

- الذم لشاتم ومبغض النبي صلى الله عليه وسلم (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) "لا أنت، لأن كل من يولد إلى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك، وذكرك مرفوع على منابر والمنار، وعلى لسان كل عالم وذاكر إلى آخر الدهر يبدأ بذكر الله ويثني بذكرك، ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف، فمثلك لا يقال له أبتر: وإنما الأبتر هو شانئك المنسيّ في الدنيا والآخرة. "[4]

- الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم والرد على من رماه بالبتر فهذه السورة جمعت للنبي صلى الله عليه وسلم أسباب السرور والتسلية وتمام النعمة بين البشارة والامتنان والمدح إلى العادة الحاصلة بأداء العبادات والقربات إلى ذم عدوه ومبغضه ونفي هذه الصفة عنه صلى الله عليه وسلم.

---

[1] -الألوسي، روح المعاني، ج 30، ص 369

[2] - سورة الكوثر.

[3] - الزمخشري، الكشاف، ج6، ص447

[4] - المصدر نفسه والصفحة نفسها.

ـ وفي قوله تعالى: "(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿1﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿2﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿3﴾) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿4﴾"[1] غاية الإيجاز حيث جمعت بين التوحيد والتنزيه فأثبت الله تعالى فيها لنفسه الوحدانية والسيادة والتنزيه عن الصفات البشر من صفات الحدوث والفناء والتكاثر والاستعانة، وسميت بالإخلاص لدلالتها على إخلاص التوحيد والإيمان والاعتقاد بالله تعالى وتصفيته من الشرك و"تسمّى سورة الأساس لاشتمالها على أصول الدين" [2]، وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل هذه السورة منها ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري أن رجلا سمع رجلا يقرأ "قل هو الله أحد "، يرددها فلما أصبح جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، وكأن الرجل يتقالّها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (و الذي نفسي بيده ؛ إنها لتعدل ثلث القرآن) [3]، " قال النووي رحمة الله تعالى: معنى كونها تعدل ثلث القرآن أن القرآن على ثلاثة أنحاء قصص وأحكام وصفات الله تعالى، و(قل هو الله أحد) متمحضة للصفات، فهي ثلث القرآن، وجزء ثلاثة أجزاء"[4]، وقد جاءت السورة لتبيين حقيقة التوحيد الذي هو أساس الدين ففي قوله تعالى: (قل هو الله أحد)أي: أنه واحد أحد لا شريك ولا نظير ولا معاون له، ولفظ (أحد)لا يطلق على أحد في الإثبات إلا على الله عزوجل لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله " [5] وقوله تعالى: (الله الصمد) جمعت صفات الكمال من مطلق السؤدد "ومنها الربوبية، فالصمد " هو السيد لأنه يصمد إليه في الحوائج أي يقصد، قال عمرو بن الأسلع يذكر حذيفة بن بدر الغزاري:

علوته بحسام ثم قلت له خذها حذيف فأنت السيّد الصمد"[6].

وعن ابن العباس أن الصمد "هو السيد الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد وهو الله سبحانه، هذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفء وليس كمثله شيء"[7].

وفي قوله تعالى: (لم يلد و لم يولد) تنزيه لله تعالى عن صفات المخلوقين ؛و هي صفات

---

[1] – سورة الإخلاص

[2] – الزمخشري، المصدر السابق، ص 463

[3] – الألباني، مختصر صحيح الإمام البخاري، ج 3، ص 338

[4] - محمد الامين الأرمي العلوي، تفسير حدائق الروح والريحان، ج32، ص 436

[5] - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج14 ص 513

[6] - الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز، ص 1015.

[7] - ابن كثير، المصدر السابق، ج 14، ص 513

نقص وضعف تنافي صفات الألوهية والله تعالى قال عن نفسه: (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[1] وتتره عن الصاحبة والولد قال تعالى: (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[2] وفي قوله تعالى: "لم يكن له كفوا أحد" كمال التتريه فالله تعالى متره عن الشبيه والنظير في ذاته وصفاته ولا يعلم وصفه إلا هو عزّ وجل، فهذه السورة "مع قصرها جامعة لصفات الأحدية و الصمدانية و الفردانية وعدم النظير" [3]، وفيها اجتمعت أقسام التوحيد كلها من توحيد الألوهية إلى توحيد الربوبية إلى توحيد الأسماء والصفات؛ فأولها توحيد وآخرها تتريه, فهي الدليل والحجة التي يشهرها المؤمن في وجه كل كافر فقد "تضمنت الرد على نحو أربعين فرقة"[4] من أهل الكفر والضلال.

المبحث الثاني: دلالات التنكير:

ظاهرة التنكير من الأساليب البلاغية البارزة في القرآن الكريم، ومن أكبر دلائل الاعجاز البياني فيه، وهي تدل دلالة قاطعة على دقته في اختيار الألفاظ واستعمالاتها بين التنكير والتعريف"فإذا وضع اسما معرفة في مكان، أو نكرة في موضوع، فإنما يكون ذلك لحكمة يعلمها الله، وسر تقتضيه اللغة، وهدف يقصده في المعنى ولو حاولنا وضع أحدهما مكان الآخر، لاختل التناسق في الآية، وزال الانسجام المطلوب في التركيب "[5]

و الاسم النكرة" هو الاسم الدال على معنى شائع في جنسه وعلامته في اللفظ قبول (أل) مؤثر في معناه أو وقوعه موقع ماهو كذلك " [6] والاسم النكرةهوالاسم الشائع لاستيعابه مايشمله جنسه كله، كقولنا: جاء رجل؛ فكلمة (رجل) نكرة تشمل جنس الرجال على الإطلاق، بخلاف قولنا جاء الرجل فالتعريف هنا يحدد رجلا بعينه، والتنكير يفتح المعنى لعدة دلالات يقتضيها اللفظ

---

[1] - سورة الحديد، الآية 03

[2] - سورة الأنعام، الآية 101

[3] - محمد الأمين الارمي العلوي، تفسير حدائق الروح والريحان، ج32، ص 439

[4] - السيوطي الإتقان ج2ص 55

[5] – عبد الفتاح لاشين، من أسرار التعبير في القرآن صفاء الكلمة، دار المريخ للنشر، (دط)، 1983م، ص 43.

[6] – انظر شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار احاء التراث العربي. لبنان، ط2، ج1، ص 86-87.

وتحتملها اللغة "و علة ذلك أن النكرة ليس لمفردها مقدار مخصوص بخلاف المعرفة، فإنها لواحد بعينه يثبت الذهن عنده ويسكن إليه" [1]، ومنه يمكن القول أن اللفظ النكرة ثري بدلالاته زاخر بمعانيه، فهو يدفع القارئ أبدا إلى البحث عن ظلاله وإشعاعاته وهوحيّ يتوالد معناه باختلاف القارئ وحاله لذا كانت "اللفظة المنكرة في القرآن الكريم وبخاصة في شواهد إيجاز القصر تعكس تكثيفا حيا لمعان كثيرة"[2]، "فلا نراها مقصورة على المعنى المتبادر منها في أول الأمر بل عند إمعان النظر والتدقيق في الكلمة نجد أن دلالتها تتسع، وأن لها إشعاعات مضيئة، توحي بالمعنى الأهم، والمقصود الأدق"[3]

من دلك قوله تعالى: ((وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾))[4]، فقد ورد لفظ (رجال) منكّرا واختلفت الآراء وكثرت حول تحديد هؤلاء الرجال، وصفتهم ومكانتهم، وقد أسهب الفخر الرازي في عرض هذه الأقوال فقيل: " هم ملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار، وقيل: إنهم الأنبياء عليهم السلام أجلسهم الله على أعالي ذلك السور تمييزا لهم عن سائر أهل القيامة، وإظهارا لشرفهم، وعلو مرتبتهم وأجلسهم على ذلك المكان العالي ليكونوا مشرفين على أهل الجنة، وأهل النار مطّلعين على أحوالهم ومقادير ثوابهم وعقابهم، وفي رأي ثالث هم الشهداء وقيل أنهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فلا جرم ماكانوا من أهل الجنة، ولا من أهل النار فأوقفهم الله تعالى على هذه الأعراف لكونها درجة متوسطة بين الجنة وبين النار، وقالوا المراد من أصحاب الأعراف أقوام خرجوا إلى الغزو بغير إذن آبائهم فاستشهدوا فحبسوا بين الجنة والنار، فمنعوا من الجنة لعصيانهم آباءهم، ومنعوا من النار لاستشهادهم في سبيل الله، وفي قول آخر إنهم مساكين أهل الجنة، وفي رأي آخر هم الفساق من أهل الصلاة يعفو الله عنهم ويسكنهم الأعراف"[5]، " ثم يحتمل أن يكون يكون أصحاب الأعراف من الأمة الإسلامية خاصة، ويحتمل أن يكونوا من سائر الأمم المؤمنين

---

[1] – عبد الفتاح لاشين، المرجع نفسه، ص 17.

[2] – مختار عطية، الإيجاز في كلام العرب ونص الاعجاز، ص 229.

[3] – عبد الفتاح لاشين، المرجع نفسه، ص17

[4] – سورة الأعراف، الآية46.

[5] - الرازي، مفاتيح الغيب، ج 14، ص 92 الى 95 وانظر تفسير ابن كثير، ج6، ص 306-311.

برسلهم"[1]، فهذه الأقوال وغيرها تؤكد ثراء التنكير في البيان القرآني وما يمكن أن يوحي به من دلالات تصل إلى حدّ يصعب معه حصرها والإحا طة بها. وعند النظر في الأقوال السابقة يمكن القول إن أصحاب الأعراف هم أهل حضوة وأصحاب جاه عند الله فهم إلى الجنة أقرب وطمعهم في الجنة ، و"ندائهم أهل الجنة بالسلام يؤذن بأنهم في اتصال بعيد من أهل الجنة، فجعل الله ذلك أمارة لهم بحسن عاقبتهم ترتاح لها نفوسهم، ويعلمون أنهم صائرون إلى الجنة "[2].

و قد يجتمع النكرتان أو أكثر وفي هذه الحالة غالبا مايكون الاسم الثاني غير الأول كما في قوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ)[3] فقد تكررت كلمة ضعف ثلاث مرات وفي كل مرة كان لها معنى خاص فالمراد بالضعف الأول (النطفة)، وبالثاني (الطفولة)، وبالثالث (الشيخوخة)[4].

فأولى مراحل الضعف النطفة وهي ماء مهين ومني يمنى وهي أولى مراحل الخلق وثاني مراحل الضعف مرحلة الطفولة وفيها يكون الطفل عاجزا عن تدبير أموره بنفسه وهو في حاجة ماسّة إلى والديه حى يشتد عوده ويبلغ مرحلة الشباب وهي مرحلة القوة، ثم تأتي مرحلة الضعف الثالثة وهي الشيخوخة وهي آخر مراحل العمر وفيها يصير العبد عاجزا ضعيفا في بدنه، وحركته تماما مثلما كان في طفولته.

و قد تكررت كلمة قوة في هذه الآية منكّرة كذلك في موضعين وهي تشير الى معنيين مختلفين ؛فالمراد بالقوة الأولى: قوة الصبا (ثم جعل من بعدضعف قوة) فبعد أن كان رضيعا قاصرا لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا أصبح صبيا قويا وقد اشتد عوده وامتلأحيوية ونشاطا.

و المراد بالقوة الثانية: قوة الشباب (ثم جعل من بعدقوة ضعفا وشيبة)، وهي أزهى مراحل العمروقمّة هرمه وفيها يشتد عود المرء، وتتفتق جميع قواه العقلية والعلمية، وفيها يثبت مكانته ووجوده كفرد قوي ناضج يعتمد عليه عند الملمات.

---

[1] - الطاهر بن عاشور، التحرير والنوير، ح8، ص 143.

[2] - المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[3] - سورة الروم، الآية 54.

[4] - صلاح عبد الفتاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار عار عمان، ط 1، 2000م.ج 2، ص241.

و في قوله تعالى: (وَلَيَالٍ عَشْرٍ)[1] قسم عظيم حيث أقسم الله تعالى بهذه الليالي العشر منكرة، وأقسم قبلها (بِالْفَجْرِ) معرفا، و" وإنما جاءت منكرة من بين ما أقسم الله به لأنها ليال مخصوصة بفضائل لاتحصل في غيرها، وتنكيرها دال على الفضيلة العظيمة ".[2]

و مجيء التنكير على الإطلاق أثار خلافا واضحا حول تحديد هذه الياليِ, وقد نقل الإمام الطبري جملة من هذه الأقوا ل منها: " والليالي العشر: مراد بها عشر ذي الحجة، كما قاله ابن عباس وابن الزبير، ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف. وقد ثبت في صحيح البخاري، عن ابن العباس مرفوعا: " مامن أيام العمل الصالح أحب الى الله فيهن من هذه الأيام " يعني: عشر ذي الحجة، فقالوا: ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال: " ولا الجهاد في سبيل الله، ؟إلا رجلا خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء" ,وهذا هو القول الصحيح عند ابن كثير، وقيل المراد بذلك العشر الأول من المحرم، حكاه أبو جعفر بن جرير و لم يعزه إلى أحد، وعن ابن عباس: " وليال عشر" قال هو العشر الأول من رمضان"[3]، و" قيل العشر الأواخر ومن شهر رمضان، واختار الشيخ محمد عبده أن تكون عشر ليال من أول كل شهر"[4] واختارت الدكتورة عائشة عبد الرحمان أن يكون " تنكير ليال عشر، إطلاق قديراد به والله أعلم، كل ليال عشر من أواخر شهر رمضان، كما اختار الإمام الطبري، ويؤنس اليه الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر: (فالتمسوها في العشر الأواخرمن رمضان)[5]"[6]

فانظر إلى ما أفاد التنكير من معان وماطرحه من آراء، ولعل في هذا الإطلاق المستفاد من التنكير ما يدفع المسلم إلى العمل في هذه الليالي كلها وطوال حياته والاجتهاد فيها بالأعمال الصالحة من ذكر وعبادة وصدقة وبرّ وإحسان.

وهذه وقفة أخرى من وقفات التنكير التي شغلت العلماء والمفسّرين وهي قوله تعالى: (لَآ

---

[1] - سورة الفجر، الآية 2.

[2] - فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج31، ص 163.

[3] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 14، ص338.

[4] –عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، (دط)، 1990 م، ج 2، ص 129

[5] –الألباني، مختصر صحيح البخاري، ج1، ص 187

[6] عائشة عبد الرحمن، المصدر نفسه والصفحة نفسها

أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ وَأَنتَ ۝١ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ ۝٣ وَمَا وَلَدَ ۝٤ ([1].فقد كثرت الأقوال في تحديد المقصود ب (والد وما ولد) ومن بينها الأقوال الآتية:

فذهب الزمخشري إلى أن المراد بـــ"والد وماولد" رسول صلى الله عليه وسلم ومن ولده، واعتبر االتنكير هنا للإبهام المستقل بالمدح والتعجب وقيل: هما آدم وولده، وقيل " كل والد وولد"[2].

و قال ابن عباس وابن جبير وعكرمة: (ووالد) معناه: كل من ولد وأنسل، وقوله (و ما ولد)، لم يبق تحته إلا العاقر الذي ليس بوالد البتة. وقال مجاهد وقتادة والضّحاك وسفيان الثوري، والحسن البصري وغيرهم: يعني بالوالد: آدم، وماولد: ولده.و قال ابو عمران الجوني: هو إبراهيم وجميع ولده"[3].

و اعتبر ابن جرير الصواب من القول في ذلك "ماقاله الذين قالوا: إن الله عزّوجلّ أقسم بكل والد وولده فهو على عمومه كما عمه، وغير جائز أن يخص ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر، أوعقل، ولاخبر بخصوص ذلك، ولا برهان يجب التسليم له"[4].

لعل هذا القول هو الأقرب إلى دلالة اللغة فالتنكير أفاد التعميم، ويمكن والله أعلم أن يدخل تحته كل من تحققت فيه صفة الولادة سوى الله تعالى، وهذا أبلغ في الإعجاز وأظهر لقدرة الله تعالى وعظمته، وأبين لقيمة القسم الذي يشمل ذلك كله، فجعله (والد وماولد) معطوفة وهي في حكم القسم.

ولعل هذا التعميم هو ماعناه ابن عباس لقوله: "هو على العموم يدخل فيه جميع الحيوان" [5] وذهب ابن جرير إلى أبعد من ذلك إذ اعتبره عاما في البشر والحيوان والنبات، وهو ما أخذ به الشيخ محمد عبده فقال: "المراد منه أي والد وأي مولود من الإنسان والحيوان والنبات كما يرشد

---

[1] – سورة البلد، الآيات 1-2-3.

[2] – الزمخشري، الكشاف، ج 6، ص 376.

[3] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ح 14، ص 354.

[4] –أبو جعفر محمد بن جريرالطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والاسلامية، القاهرة، ط1، 2001 م، ج 24، ص 408.

[5] – أبو حيان، البحر المحيط، ج 8، ص 470.

إليه التنكير، وكما هو مختار عند ابن جرير وجمع من المحقيقن"[1].

فانظر كيف اختلفت دلالة التنكير بين التخصيص والتعميم فهي تضيق عند البعض لتحدد بالنبي صلى الله عليه وسلم وذريته، أو إبراهيم عليه السلام وولده، وتتسع الدلالة عند البعض لتشمل الإنسان والحيوان والنبات جميعهم، والذي ساعد على اتساع الدلالة هو استعمال "ما"التي تدل على غير العاقل، إضافة إلى العموم الذي يستفاد من التنكير.

و لعل القسم بكل والد وومولد إشارة إلى عظمة هذه الخاصية البيولوجية عند هذه المخلوفات فالتوالد هو سرّ البقاء، ودليل الفناء، وفيه تتجلّى قدرة الله على الخلق والإبداع، فهذه الأصناف المختلفة من إنسان وحيوان ونبات وقد اختلفت ألوانها وأجناسها وأشكالها تشهد كلها بكمال الربوبية وجلال الألوهية إذ لازالت عملية التوالد والتكاثر تحيّر عقول العلماء وتشغلهم بالبحث لمعرفة أسرارها وإدراك حقائقها عبر أطوارها المختلفة.

و من المواطن التي تكررت فيها النكرة قوله تعالى: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿5﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)[2].

فقد تكرر في هاتين الآيتين لفظ العسر معرفا وهو واحد، وتكرر لفظ اليسر منكرا وهما يسران وفي هذا دليل على لطف الله سبحانه وتعالى وعنايته بأصحاب الابتلاء والعسر فمن رحمته وسعة فضله أنه جعل للعسر الواحد يسرين اثنين وهذه بشرى من الله لعباده إذ لم يعد العسر دائما ولا الخروج منه مستبعدا فالفرج آت واليسر قريب وعلى المؤمن الصبر والاطمئنان والثقة بالله لأن الله لايخلف الميعاد .

"و التنكير في اليسر أفاد التفخيم: كأنه قيل: إن مع العسرا يسرا، إن مع العسر يسرا عظيما، وأي يسر"[3] يعادل يسرا وعد الله به عباده وكرره وأكد عليه "نفيا للشك وتقوية للإيناس"[4]، فالشيء إذا تكرر تقرر والجملة كما ترى تكررت وتكررت معها أداة التوكيد (إن) هذا التكرار يبعث في النفس تصديقا جازما وينشر بين جوانحها راحة نفسيّه وأملا عريضا.

---

[1] – عائشة بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، ج1، ص 174.

[2] – سورة الانشراح، الآية 5-6.

[3] – الزمخشري، الكشاف، ج 6، ص 398.

[4] – عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني، ج 1، ص68.

و في استعمال "مع" دون غيرها من الأدوات إلتفاتة بيانية قال الزمخشري: "إن مع للصحبة ومعنى اصطحاب اليسر والعسرأن الله أراد أن يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب، فقرّب اليسر المرتقب حتى جعله كالمقارن للعسر، زيادة في التسلية وتقوية القلوب "[1].

و من المعاني التي أفادها تنكير اليسر ماقاله الزمخشري: "أنه يجوز أن يراد بهما ماتيسر لهم من الفتوح في أيام رسول صلى الله عليه وسلم وما تيسر لهم في أيام الخلفاء، وأن يراد يسر الدنيا ويسر الآخرة "[5]

و تفسيرها بهذا المعنى يجعل الأمر محدودا ومنتهيا ومخصوصا بنوع من اليسر وفي زمن محدّد وهذا يخالف معنى التنكير في اللغة من ثراء في المعنى واحتواء لكثير من المقاصد، فيكون المقصود من تنكير يسر والله أعلم "كي ينفسح فيه مجال التصور والإطلاق، فيحتمل ماقاله المفسرون وما لم يقولوا، وإن التحديد هنا بكذا أوكيت من مفهوم اليسر ينافي البيان القرآني الذي آثر إطلاق "يسر"بغير قيد ولا حدّ " [2] ؛ فما يصيب المؤمن من عسر في حياته إلا ويفتح الله عليه بيسرين؛ فتنكشف الغمة ويعود الأمل، وأعتقد أنه عام غير مخصوص بقوم ولا زمان، والله تعالى أكرم وأعلم.

و في سورة الفيل في قوله تعالى: (وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ)[3] وردت لفظة (طيرا) منكرة فاختلفت التفاسير والأقوال حول المراد بهذه الطير وماصفتها و لم جاءت منكّرة ؟

"والجواب إما للتحقير فإنه مهما كان أحقر كان صنع الله أعجب وأكبر، أو للتفخيم كأنه يقول طيرا وأي طير ترمى بحجارة صغيرة فلا تخطيء المقتل" [4]، ولعل اختيار الطير كنوع من العقاب فيه تحقير للعدو الذي ادعى القوة والجبروت فكان هلاكه على أضعف المخلوقات، وهذه المخلوقات حازت الفضل إذكان لها شرف تحقيق النصر وإحلال الهزيمة بعدوّ الله فهي حققت بقوة الله ومدده ماعجزت جيوش مكة عن تحقيقه.

ومما جاء في كتب التفاسير في صفة هذه الطير؛ قول ابن عباس رضي الله عنه: " هي طير،

---

[1] – الزمخشري، المصدر السابق، ج6، ص 397.

[2] – عائشة عبد الرحمن.التفسير البياني، ج1.ص71.

[3] – سورة الفيل، الآية 3

[4] – الفخر الرازي، تفسير الرازي، ج32، ص 99.

وكانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير، وأكف كأكف الكلاب، وقيل كانت طيرا خضرا، خرجت من البحر، لها رؤوس كرؤوس السباع.

و في وصف آخر: هي طير خرجت من قبل البحر كأنها رجال الهند، معها حجارة أمثال الإبل البوارك، وأصغرها مثل رؤوس الرجال، لاتريد أحدا منهم إلا أصابته، ولا أصابته إلا أهلكته، وعن ابن عباس قال: لما ارسل الله حجارة على أصحاب الفيل جعل لايقع منها حجر إلاتقطع مكانه، وذلك أول ماكان الجدري، ثم أرسل الله سيلا فذهب بهم فألقاهم في البحر، قيل: فما الأبابيل؟ قال: الفرق"[1].

و أبابيل أي: متفرقة كقطعات إبل، الواحد أبيل"[2]، و"عن ابن عباس أن نافع بن الازرق قال لي: أخبرني عن قوله عزوجل: (طيرا أبابيل) قال: ذاهبة وجائية تنقل الحجارة بمناقيرها وأرجلها فتبلبل عليهم فوق رؤوسهم، قال وهل تعرف العرب ذلك، قال: نعم، أما سمعت الشاعر وهو يقول:

و بالنوارس من ورقاء قد علموا أجلاس خيل على جرد أبابيل[3]"

و ظلت هذه الأقوال هي السائدة في تفسير هذه الآية، والناس لايعرفون غيرها وهي تعمد في مجملها على روايات تاريخية تناقلتها العرب عمن حضروا وعايشوا أو سمعوا عن قصة أصحاب الفيل التي أقامت الدنيا في وقتها، وصارت بداية لتأريخ الأحداث إلى أن جاء الإمام محمد عبده حيث استطاع بفكره، واجتهاده أن يستنبط للآية بعدا آخر رآه يناسب العصر ولا يخرج عن دلالات النص، فقال في معرض حديثه عن الطير الأبابيل: "و في اليوم التالي فشا في جند الجيش داء الجدري والحصبة، قال عكرمة وهو أول جدري ظهر ببلاد العرب، وقال يعقوب بن عتبة فيما يحدّث: إن أول مارؤيت الحصبة والجدري ببلاد العرب ذلك العام، وقد فعل الوباء بأجسامهم ماليندر وقوع مثله، فكان لحمهم يتناثر وو يتساقط فذعر الجيش وصاحبه، وولوا هاربين وأصيب

---

[1] – انظر تفسير الطبري، ج 24، ص 631، والدر المنشور في الفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ط1، 2003م، ج 15، ص 661.

[2] – الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن.مادة "أبل"

[3] – عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الازرق، دراسة قرآنية لغوية وبيانية، دار المعارف، ط 3، (د ت).. ص 448

الجيش، و لم يزل يسقط لحمه قطعة قطعة وأنملة أنملة، حتى انصدع صدره (أي: أبرهة) ومات في صنعاء".[1]

و يقول الإمام محمد عبده – رحمة الله- معلقا على هذه الروايات ومبديا رأيه في الموضوع "و قد بينت لنا هذه السورة الكريمة أن ذلك الجدري أو تلك الحصبة نشأت من الحجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير ممايرسله الله مع الريح ؛ فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض، أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض، وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذي تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات، فإذا اتصل بجسد دخل في مسامة، فأثار فيه تلك القروح التي تنهي بإفساد الجسم وتساقط لحمه، وأن كثيرا من هذه الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود الله في إهلاك من يريد إهلاكه من البشر وأن هذا الحيوان الصغير الذي يسمونه الآن بالميكروب لايخرج عنها وهو فرق وجماعات لايحصي عددها إلابارئها، ولايتوقف ظهور أثر قدرة الله تعالى في قهر الباغين على أن يكون الطير في ضخامة رؤوس الجبال، ولا على أن يكون له ألوان خاصة به ولا على معرفة مقادير الحجارة، وكيفية تأثيرها: فلله جند من كل شيء "[2]

لقد أثارهذا الاستنباط حفيظة الكثير من النقاد وفتح الباب أمام سيل من الآراء ارتأينا عدم الخوض فيها والاكتفاء بماقاله سيد قطب: " إننا ندرك ونقدر دوافع والمدرسة العقلية التي كان الاستاذ الإمام – رحمة الله- على رأسها في تلك الحقبة ندرك ونقدر دوافعها إلى تضييق نطاق الخوارق والغيبيات في تفسير القرآن الكريم وأحداث التاريخ، ومحاولة ردها الى المألوف المكشوف من السنن الكونية، فقد كانت هذه المدرسة تواجه النزعة الخرافية الي تسيطر على العقلية العامة في تلك الفترة كما تواجه سيل الأساطير الإسرائيليات التي حشيت بها كتب التفسير والرواية في الوقت الذي وصلت فيه الفتنة بالعلم الحديث الى ذروتها، وموجة الشك في مقومات الدين إلى قمتها"[3]

و في الحقيقة إن الشيخ مهما كانت الدوافع والظّروف التي كانت وراء اعتقاده هذا التفسير

---

[1] – سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 8، ص 251

[2] – المرجع نفسه والصفحة نفسها،

[3] – المرجع نفسه. ص254

فإن النص القرآني هو من ساعده على ذلك إذ التنكير في هذه الآية يسمح له ولغيره بالفهم والاستنباط في حدود ماتسمح به اللغة فالقرآن لم يعرّف الطير و لم يذكره باسمه أو صفته، "فيجوز لك ان تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض والذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض" [1]، ولهذا الجواز وجهة نظر صحيحة؛لأن الذباب طير والبعوض طير والنص القرآني الكريم قد وقف عند كلمة الطير وحدها" [2] ومن أنواع الطيور مالايعلم عدده ولا وصفه إلا الله وهي قادرة على فعل ما يعجز البشر عن فعله، وقد تجلت فيها عظمة الخالق وقدرته إلا أنه لايجب الخروج عن دلالة اللغة وإلا صار الأمر مجرد تصورات لا أساس لها.

و من هذا يمكن القول إن التنكير حوى واختزن كل هذه المعاني وغيرها، وفتح الباب أمام النظر والاستنباط واكتشاف عطاءات القرآن وأبعاده المتجددة عبر الزمان فليس لأحد أن يزعم بأن الصواب فيما يراه هو وحده وأن تفسيره هو المقبول وتفسير غيره شطط وخروج عن الدين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

[1] –سيد قطب، المرجع السابق، ج8، ص 251

[2] – محمد رجب البيومي، البيان القرآني، الدار المصرية، ط2، 2005 م، ص 308

المبحث الثالث: ظلال المعاني:

ورد في لسان العرب "ظل النهار: لونه إذا غلبته الشمس. والظل نقيض الضح.وبعضهم يجعل الظل الفيء، قال رؤبة: كل موضع يكون الشمس فتزول عنه فهو فيء وظل. وقيل الفيء بالعشي والظل بالغداة. فالظل ما كان قبل الشمس والفيء ما فاء بعده.وجمع الظل: أظلال وظلال وظلول"[1]. وقد جعل الله تعالى للظل حركة وامتداد ا قال تعالى:(أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ثُمَّ ﴿٤٥﴾ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (2، ومنه فإن التعبير القرآني يمتاز بثراء معانيه وامتداد ظلاله، فهو يعبّر بالمفردة الواحدة عن معان وأبعاد كثيرة، كما تختزن صيغه دلالات جمة، والأمر يعود إلى الدقة في اختيار الألفاظ والجمل وحسن نظمها وسبكها، مما يجعل المعاني متكاثرة والدلالات متوالدة يدل بعضها على الآخر فتمتد ظلالها الوارفة إلى مسافات بعيدة والشواهد على ذلك كثيرة منها:

– قوله تعالى: (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ)[3] فقد جاء النهي صريحا عن إتباع خطوات الشيطان والمقصود بخطواته" طرائقه وأوامره كما أتبعها المشركون" [4] ُطريق الشيطان كما هو معروف هو طريق الغواية والزيغ والضلال، والخروج عن أوامر الله والابتعاد عن

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، مادة "ظل"

[2] سورة الفرقان، الآيتان 45، 46

[3] – سورة الأنعام، الآية 142.

[4] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 6، ص 192

طاعاته، والانشغال بالمعاصي والملاهي والمنكرات من الأقوال والأفعال.

و قد وردت آيات كثيرة تبيّن المراد من خطوات الشيطان الكثيرة والمختلفة منها ما ورد في قوله تعالى: (إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)[1] فهذه بعض خطواته ودروبه التي حذر الله عباده منها، كما جاء ذكر بعض وساوسه في قوله تعالى: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ)[2] وقال تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ)[3]، وعداوة الشيطان لبني البشر قديمة متأصلة فقد سبق وأن فتن أبوينا وخدعهما قال تعالى: (يَا بَنِي آَدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآَتِهِمَا)[4].

و لا زال يتوعدنا فقال: (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)[5] فقد جاء التحذير من إتباعه في أكثر من موضع لأنه عدو بيّن العداوة فهذه بعض الظلال التي انبثقت عن كلمة "خطوات" وهي ظلال وارفة كما ترى "حيث جمعت فقرا وفحشاء وإضلال بعيدا وإيقاع عداوة وبغضاء وخمرا وميسرا وصدّا عن ذكر الله وعن الصلاة وعداوة وإضلالا مبينين وأن الشيطان مع ذلك كله يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير فمن سار في هذه الخطوات فإنما مآله أن يكون من حزب الشيطان الذي يدعوه ليكون من أصحاب السعير "[6] قال تعالى: (إِنَّ (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ)[7].

و الخطوات هي الوساوس التي يستدرج من خلالها الشيطان أتباعه، والتعبير بالخطوات غاية في البيان فالخطوة هي بداية كل طريق فطريق ألف ميل -كما يقال -يبدأ بخطوة فالأجدر بالمؤمن ألا يخطو هذه الخطوة الأولى في طريق الشيطان لأن الخطوات توصل إلى مسالك، وخطوات الشيطان ومسالكه تنتهي بالمرء إلى نهاية واحدة وهي الخروج من مناهج الفوز والفلاح إلى مناهج

---

[1] - سورة البقرة، الآية 169.

[2] - سورة البقرة، الآية 268

[3] - سورة المائدة، الآية91

[4] - سورة الأعراف, الآية 27.

[5] - سورة ص ,الآيتان82-83.

[6] - مختار عطية. المصدر السابق.ص219.

[7] - سورة فاطر, الآية6.

الزيغ والخسران.

و في قوله تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)[1] إيجاز آية في الإعجاز حيث جمعت ثلاثة أوامر في خطاب واحد، وهذه الأوامر زاخرة بمعان متعددة وظلال مديدة ودلالات عميقة.

فالأمر الأول: (خذ العفو) "أي ما يسهل قصده وتناوله، وقيل معناه تعاطي العفو عن الناس"[2]، "والعفو ضد الجهد، أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس وأخلاقهم وما أتى منهم وتسّهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا."[3]

قال الشاعر:

خذي العفو مني تستدم يمى مودتي ولاتنطقي في سورتي حين أغضب[4].

و العفو خلق عظيم به تدفن الأحقاد والضغائن وتستمر العلاقات والصلات، وتصفو القلوب وتخلص في مرادها النيات, وهو يشمل " ترك التشديد في كل ما يتعلق بالحقوق المالية، ويدخل فيه أيضا التخلق من الناس بالخلق الطيب، وترك الغلظة والفظاظة "[5].

و التعريف في لفظ العفو يفيد الاستغراق فهو يعم أنواع العفو وصوره المختلفة " ولا يخرج عن هذا العموم من أنواع العفو أزمانه وأحواله إلا ما أخرجته الأدلة الشرعية مثل العفو عن القاتل غيلة، ومثل العفو عن انتهاك حرمات الله، والرسول أعلم بمقدار ما يخص من هذا العموم وقد بينه الكتاب والسنة وألحق به ما يقاس على ذلك "[6]، والأمر بالعفو هو دعوة إلى اللين والرفق وترك القسوة والفظاظة فإن لله جبل النفوس على تقبل النصح بالحكمة والسياسة وقد أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك في قوله: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[7].

---

[1] – سورة الأعراف الآية199.

[2] – الأصفهاني. المفردات.مادة "عفا"

[3] - الزمخشري. الكشاف.ج2.ص544-545.

[4] – البيت من(الطويل)، ونسبه صاحب التحرير والتنوير لأبي الأسود الدؤلي، ورأى أنه اتبع استعمال القرآن، ونفى نسبته إلى حاتم الطائي أو أسماء بن خارجة الفزاري، ينظر التحرير والتنوير، ج 9 ص 226.

[5] – الفخر الرازي. التفسير الكبير.ج15.ص100.

[6] – الطاهر بن عاشور.التحرير والتنوير.ج9.ص227.

[7] – سورة النحل الآية125.

(و أمر بالعرف) وهو الأمر الثاني في الآية: والعرف: "بضم العين: المعروف، وكل جميل من الأفعال"[1]."و المعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل أو الشرع حسنه"[2].

فالعرف اسم جامع لكل ما تعارف المسلمون على حسنه من أخلاق، ومعاملات ونظام وآداب عامة تنظم شؤون حياتهم وتشيع بينهم الاحترام، وتقوي أواصر المحبة والترابط، والعرف هو نتاج تفاعل الدين والعقيدة مع فهومات الناس واستنباطاتهم وظروفهم الاجتماعية والاقتصادية ولقد تركت الشريعة العرف مخصوصا باصطلاح المسلمين مع بعضهم، وللفظة "العرف" ظلال أخرى منها " صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام وغضّ الأبصار، والاستعداد لدار القرار".[3]

و من دلائل الإيجاز في هذه الآية دلالة الأمر على النهي "فالنهي عن المنكر أمر بالمعروف، والأمر بالمعروف نهي عن المنكر، لأن الأمر بالشيء نهي عن ضده فالاجتزاء بالأمر بالعرف عن النهي عن المنكر من الإيجاز "[4] لكن من رحمة الله أن ذكر الأمر بالعرف لأنه مهم لإصلاح المجتمع المجتمع وفي انتشاره انحسار المنكر وهذا منهج دعوي رائع إذ يواجه الشر بنشر الخير بدل المواجهة مع قوم حديثي عهد بالجاهلية.

و أما قوله تعالى: : (وأعرض عن الجاهلين) فهذه دعوة إلى أدب رفيع وهو الصبر والحلم، والضرب صفحا عن سوء المعاملة التي يتلقاها المرء من الجهلة والمعاندين، والإعراض عن الجهلة فيه تأديب لهم إذ يدفع الإنسان إلى مراجعة نفسه، والبحث عن سبب إعراض الناس عنه، ويترك الباب مفتوحا والعلاقات مستمرة خلافا لما يكون عليه الأمر لو كان الرد بالمثل أو بالعقاب، " ففي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وتتريه النفس عن مقابلة السفيه بما يوتغ الدين ويسقط القدرة "[5]، ولقد وصف الله تعالى عباده الصالحين بهذا الخلق في قوله تعالى : (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)[6]. وعن أبي هريرة —رضي الله عنه —أن رجلا قال: يا رسول الله إن لي

---

[1] – محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه. دار الإرشاد للشؤون الجامعية. ط7، 1999م.مج3.ج9.ص93.

[2] – الراغب الأصفهاني، المفردات، مادة "عرف"

[3] – القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج9.ص418.

[4] –الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 9 ص 228

[5] –أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 197

[6] – سورة الفرقان، الآية63.

قرابة، أصلهم ويقطعونيّ، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ، فقال: (لئن كنت كما قلت فكأنما تسفّهم المل ّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك.)[1].

والحديث عن الإيجاز في هذه الآية لا حدّ له فقد تضمنت قواعد الشريعة، فأمرت بمكارم الأخلاق ونهت عن كل قبيح من قول أو فعل، ودعت إلى اللين ونفي الحرج في الأخذ والإعطاء وأمور التكليف، كما تناولت الصفح والعفو وهما سبيلا التآلف والاستقرار والقضاء على كل خلاف أو شجار، فالآية قد أخذت بأطراف الدين؛ من أمر ونهي واستحسان.

و في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)[2] فقد جمعت هذه الآية ثلاثة أوامر وثلاثة نواهي واختتمت بوعظ، أما الأوامر فأولها: العدل: " وهو المساواة في المكافأة إن خيرا فخير، وإن شرا فشر[3]، والأمر الثاني الإحسان: " وهو أن يقابل الخير بأكثر منه والشر بأقل منه"[4]، والأمر الثالث: الثالث: إيتاء ذي القربى أي صلة الأرحام.

وهذه الأوامر الثلاثة تشعّ منها ظلال كثيرة، فالعدل مثلا هو أساس الملك وعمدة الاستقرار، وهو دليل قهر النفس وتهذيب نزعاتها وكبح جماحها حتى لا تقع في براثن الظلم والجور والتمييز، والعدل يشمل المساواة بين الناس في كل الحقوق المادية المعنوية وبين الكبار والصغار والأبناء والرجال، ولقد اختلف العلماء في تأويل العدل لما يحمله من ظلال ومعان كثيرة: " فقال ابن عباس: العدل لا إله إلا الله، وقال سفيان بن عيينة العدل هاهنا: استواء السريرة، وقال ابن عطية: العدل هو كل مفروض من عقائد وشرائع، وفي أداء الأمانات وترك الظلم والإنصاف، وإعطاء الحق، أما الإحسان فقيل هو النافلة، والإحسان أن تكون السريرة أفضل من العلانية وعن علي بن أبي طالب —رضي الله عنه– الإحسان التفضل "[5] وهو يشمل الإحسان إلى الناس، والإحسان إلى جميع الخلق من حيوان ونبات ,ويأتي الإحسان بمعنى الإخلاص " وهو إتقان العبادة

---

[1] الشيخ صفيّ الرحمن المباركفوري، منة المنعم شرح صحيح مسلم، دار السلام للنشر والتوزيع الرياض، ط1، 1999 م، ج4، ص 173 كتاب "البر والصلة والأدب"

[2]– سورة النحل، الآية90.

[3] – الراغب الأصفهاني.المفردات مادة "عدل"

[4] – المصدر نفسه.مادة" حسن"

[5] – القرطبي. الجامع لأحكام القرآن.ج12.ص411–412.

ومراعاتها، بآدابها المصححة والمكملة، ومراقبة الحق فيها، واستحضار عظمته وجلاله حالة الشروع وحالة الاستمرار وهو المراد بقوله: " أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[1].

الأمر الثالث في قوله تعالى: (وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى) تأكيد على مكانة القرابة وصلة الرحم وإثبات لحقوقهم المقررة شرعا وعرفا فهم الأولى بالزيارة والأحق بالنصيحة، والأجدر بالهدية والعطية، ففي وصلهم دوام المودة واستمرار الترابط بين الأسر والمجتمعات.

أما النواهي فأولها: النهي عن الفحشاء وهي"ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال" [2]، وثانيها النهي عن المنكر "وهو ما أنكره الشرع بالنهي عنه وهو يعمّ جميع المعاصي والرذائل والدناءات على اختلاف أنواعها "[3]، وثالثها البغي وهو"تجاوز الحق إلى الباطل أو تجاوزه إلى الشبه"[4]

"فالشرع الإسلامي أمر بمحاسن الأخلاق وأغرى العباد عليها وحذر من القبائح وتوعد عليها وما ذلك إلا لاكتساب الأخلاق الحميدة والتباعد عن الأخلاق الذميمة، قال الشيخ عبد الغني النابلسي: ولو لم التغيير في الأخلاق ما كان للأمر والنهي فائدة"[5] وهذا يؤكد وجوب استمرار الأمر والنهي في الدعوة إلى الله لأن الأحوال تتبدل والأخلاق عرضة للغزو والتغريب من قبل العدو الذي يتربّص بنا الدوائر.

و من الآيات التي أوجزت بظلالها معاني كثيرة قوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا)[6]، " فالآية هي العلامة الظاهرة"[7]، " والبيّنة الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة" [8]، فالآية البينة هي ما ما يعطيه الله لأنبيائه ورسله من معجزات تدل دلالة قاطعة على صدق دعواهم ونبواتهم، وهذه

---

[1] – المصدر نفسه.ص413.

[2] – الراغب الأصفهاني، المفردات، مادة" فحش"

[3] – القرطبي الجامع، لأحكام القرآن، ج10، ص167

[4] –الراغب، المفردات في غريب القرآن، مادة" نكر".

[5] –محمد الشاذلي ابن القاضي، مقال بعنوان (الإسلام يدعو إلى مكارم الأخلاق) مجلة الزيتونية، ج1، عدد4، أكتوبر 1940 م، ص5

[6] – سورة الإسراء الآية101.

[7] – الراغب الأصفهاني. المفردات.ص33.

[8] – المصدر نفسه.ص68.

الآيات البينات ورد ذكرها أيضا في سورة البقرة في قوله تعالى: (وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ)[1] وجاءت جملة دون تفصيل وهي تحمل دلالات وظلال كثيرة جاء تبيينها وشرحها في مواطن متفرقة من القرآن منها قوله تعالى: (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ)[2] وجاء ذكر أكثرها في سورة الأعراف عند قوله تعالى: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ)[3] وفي آية أخرى: (وَلَقَدْ أَخَذْنَا أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ)[4].

فهذه التفاصيل حوتها وجمعتها كلمة آيات وسمحت باستنباط هذه الظلال التي كانت كل واحدة منها جانبا من المعنى الإجمالي لها فارتبط مفهوم الآيات منها بهذه الأشياء التسعة وهي (العصا، والسنون، واليد والدم والطوفان والجراد والعقل والضفادع وفلق والبحر).

- وفي قوله تعالى: (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا)[5] إيجاز زاخر بشتى المعاني والظلال المنبثقة من لفظة (أطوار)التي فسرت تفاسير عديدة ؛" يقال فعل كذا طورا بعد طور أي تارة بعد تارة وقوله: (وقد خلقكم أطوارا) قيل: هو إشارة إلى نحو قوله: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[6] وقيل: هو إشارة إلى نحو قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ)[7] واختلاف أي مختلفين في الخلق والخلق"[8].

فقوله تعالى (أطوارا) قد فسرها البعض بما تعاقب على الإنسان من أدوار خلقه، حيث كان

---

[1] - سورة البقرة الآية92.

[2] - سورة النمل الآية12.

[3] - سورة الأعراف الآية 133.

[4] - سورة الأعراف 130.

[5] - سورة نوح الآية13.

[6] - سورة غافر الآية67.

[7] - سورة الروم الآية 22.

[8] - الراغب. المفردات.مادة "طور"

نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم طفلا ثم صبيا ثم كهلا ثم شيخا، والأطوار دالة على حكمة الخالق وعلمه وقدرته فإن طور الخلق من طور النطفة إلى طور الجنين إلى طور خروجه طفلا إلى طور الصبا إلى طور بلوغ الأشد إلى طور الشيخوخة ثم طور الموت وما يلحقه بعد ذلك من مراحل لا يعلمها إلا الله، كل ذلك دليل على تمكن الخالق من كيفيّات الخلق والتبديل في الأطوار، و"قال بعضهم: هي إشارة إلى الأطوار السبعة المذكورة في قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)[1]، و قيل :اختلاف المناظر والأخلاق وتعدى طوره أي حاله الذي يخصه، وقيل إن الناس أطوار أي أصناف على حالات شتى. وقيل أراد بالأطوار: اختلاف المناظر والأخلاق، ومن طويل، وقصير، وقيل: من الألوان الهيئات والأخلاق والملل المختلفة وقيل من الصحّة والسّقم، وكمال الأعضاء ونقصانها والغنى والفقر"[2].

فانظر إلى الثراء الدلالي الكامن في هذه المفردة فهي تحوي كل هذه المعاني أو يزيد والحال أنها كلمة واحدة وهذه لعمري قمة الإيجاز.

-وفي قوله تعالى: (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ)[3] دليل آخر على ما تحويه المفردة القرآنية من معان وظلال ؛فلفظة التكاثر" هي من المكاثرة أي التباري في كثرة المال والعزّ، ويقال عدد كثير وكثار وكاثر: زائد، ورجل كاثر إذا كان كثير المال، قال الشاعر[4]:

لست بالأكثر منهم حصى وإنما العزّة للكاثر[5]

و استعمال صيغة تفاعل هنا تدل على الاشتراك في الفعل وهو مكاثرة الناس بعضهم لبعض، لكن ما هذا التكاثر الذي ألهى الناس عن عبادة ربهم وذكر الموت وأحوال الآخرة ؟، فقد "أعرض عن ذكر المتكاثر به إرادة لإطلاقه وعمومه وأن ما يكاثر به العبد غيره، سوى طاعة الله ورسوله

---

[1] - سورة المومنون ,الآيات 12-13-14.

[2] - ينظر: الألوسي، روح المعاني.ج29.ص74. وزاد المسير في علم التفسير ج.8ص 371 على بن محمد الجوزي القرشي، ومحمد الامين بن عبد فسير حدائق الروح والريحان ج 30 ص 255 (بتصرف)

[3] - سورة التكاثر ,الآية 1.

[4] -البيت من (السريع) وقائله الأعشى، الديوان، دار صادر، بيروت (د ط)، 2008 م، ص 94

[5] - الراغب الأصفهاني. مادة "كثر".

وما يعود عليه بنفع في معاده، فهو داخل في هذا التكاثر، فالتكاثر في كل شيء من مال أو جاه أو رياسة أو نسوة أو حديث أو علم، ولاسيما إذا لم يحتج إليه، والتكاثر في الكتب و التصانيف وكثرة المسائل وتفريعها وتوليدها "[1]، "و التكاثر أن يطلب الرجل أن يكون أكثر من غيره، وهذا مذموم إلا فيما يقرّب إلى الله، فكاثر فيه منافسه في الخيرات ومسابقة إليها"[2].

فهذه الظلال وغيرها مستفادة من إطلاق اللفظ وعمومه وليس لنا أن نحددها بالمال والولد وهو ما ذهب إليه بعض المفسرين كالطبري والزمخشري والدكتورة عائشة بنت الشاطيء في قولها": والاستئناس بآية الحديد يكون التكاثر هنا في الأموال والأولاد" [3]، والآية هي قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾[4].

وبالرجوع إلى واقع الإنسان، والنظر إلى حاله تراه لم يعد يلهيه المال والولد فقط، بل راح يتنافس ويتكاثر في كل ما يراه سبباً لبسط النفوذ وإظهار التميّز والتفرّد، دون اعتبار لما هو حلال أو حرام، ولعل الإطلاق والعموم في لفظ التكاثر جعل مدلول التكاثر يتطور ويختلف عبر العصور والأمكنة؛ فأنت ترى الناس اليوم يتكاثرون في كل ما جدّ من متاع وزينة وتكنولوجيا ووسائل الراحة والرفاهية، فلفظ التكاثر اسم جامع يدخل فيه "التكاثر بالعدد وبالمال والجاه والأقرباء والأنصار والجيش وبالجملة فيدخل فيه التكاثر بكل ما يكون من الدنيا ولذاتها وشهواتها" [5]، فكل هذه الأشياء تلهي عن ذكر الله وعن التدبّر في أمر الآخرة والاستعداد لها.

من كل ما سبق يمكننا القول إن هذه الظواهر التي تجلى فيها إيجاز القصر من زاوية علم المعاني وإن تقاربت أو تداخلت أحيانا فيمكن الوقوف على الفروق الدقيقة بينها ؛فظاهرة الإجمال مثلا غالبا ما تكون بجمع أشياء مختلفة تحت حكم واحد دون تفصيل بتوظيف اسم جامع أو أكثر تارة، أو التعريف الدال على الاستغراق، أو جمع أطراف المعنى بذكر الشيء بأوصافه المختلفة كالنهي عن الإثم مطلقا ظاهره وباطنه وذكر أنواع الثمار والنعم. ..وفي هذه الظاهرة تتحد كل مكونات الجملة وعناصرها لضغط المعنى وتكثيفه، وعند الحديث عن ظلال المعاني يمكن القول إن

---

[1] – ابن قيم الجوزيه.كتاب الفوائد.ص56.

[2] –.المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[3] – عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، ج1.ص198.

[4] – سورة الحديد، الآية20.

[5] – الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج32.ص76.

الظاهرة تعود لما للمفردة من أبعاد ومعان ظاهرة وخفية؛ فبعض المفردات لا يقتصر مدلولها على معنى واحد بل لها ظلال تؤسس لثراء دلالي أكثر من مجرد شروحات أو تفسيرات، أما ظاهرة التنكير فإن الإبهام الكامن فيها من أكثر أسباب الثراء والتوسع في حصر احتمالات المعنى والأغراض البلاغية منه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث

دلالات إيجاز القصر من زاوية علم البيان.

المبحث الأول: الإيجاز بالصورة البيانية.

المبحث الثاني: دلالات الإشارة.

المبحث الثالث: دلالات الإيحاء.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: الإيجاز بالصورة البيانية:

لقد اختار القرآن الكريم التعبير بالصورة البيانية عن أغراضه المختلفة ؛عن المعاني الذهنية والحالات النفسية، والنماذج الإنسانية وحال تعاملها مع الإيمان بالله، وكذا مشاهد يوم القيامة ، والأمثال والقصص، ومختلف مواقف الجدل و البرهنة على صحة العقيدة وانتصار الإيمان على الكفر، ويعود السرّ في اعتماد القرآن على الطريقة التصويرية لقدرتها على التأثير في النفس البشرية من كل الجوانب فهي "تخاطب الحس والوجدان، وتصل إلى النفس من منافذ شتى : من الحواس بالتخييل ومن الحسّ عن طريق الحواس، ومن الوجدان المنفعل بالأصداء والأضواء، ويكون الذهن منفذا واحدا من منافذها الكثيرة إلى النفس، لا منفذها المفرد الوحيد"[1]، ومصطلح التصوير لم يكن مستعملا عند القدماء بل كانوا يستعملون مكانه أنماطه التي يظهر فيها :كالتشبيه ، والاستعارة، والمجاز،و في التعبير الحديث " تستعمل كلمة الصورة –عادة –للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسي,وتطلق أحيانا مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات"[2] ,ووردت الإشارة إلى هذا المصطلح عند الباقلاني في قوله:"و تصوير ما في النفس، وتشكيل ما في القلب، حتى تعلمه وكأنك مشاهده، وإن كان يقع بالإشارة، ويحصل بالدلالة والأمارة، كما يحصل بالنطق الصريح، والقول الفصيح، فللإشارات أيضا مراتب، وللّسان منازل، وربّ وصف يصور لك الموصوف كما هو على جهته لا خلف فيه، ورب وصف يبّر عليه ويتعداه ورب وصف يقصر عنه"[3]، كما وردت الإشارة إليه في قول الجرجاني وقد عزا ذلك إلى الجاحظ قبله :"و اعلم أن قولنا (الصورة)، إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا، فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة، فكان تبيّن إنسان من إنسان و فرس من فرس بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في ذاك. وليس العبارة عن ذلك بالصورة شيئا نحن ابتدأناه فينكره منكر، بل هو مستعمل مشهور في كلام العلماء ويكفيك قول الجاحظ : (وإنما الشعر صياغة وضرب من

---

[1] – سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، ص 195،

[2] –مصطفى ناصف ,الصورة الأدبية , دار الأندلس ,ط 3, 1983م,ص 3

[3] – أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، تح :أحمد صقر، دار المعارف، مصر، (د ط)1963م، ص 244 .

التصوير)"[1]، ويعتبر سيد قطب أكبر القائلين بالتصوير الفني في القرآن الكريم وأشهر الدارسين لهذه الظاهرة من خلال كتبه المتميزة كالتصوير الفني في القرآن الكريم ومشاهد القيامة في القرآن الكريم ,وتفسيره في ظلال القرآن، إذ استطاع بحسه الفني الدقيق أن يبرز مواطن الجمال والإعجاز في القرآن الكريم الكامنة في الطريقة التصويرية.

أما عن علاقة الصورة بالإيجاز فيمكن القول إن المعاني التي نستوحيها من الصورة البيانية تغني في حقيقتها عن ذكر الكثير من الألفاظ والعبارات، إذ أساس ربط العلاقة بين طرفي الصورة مبني على الأوصاف والمعاني المشتركة بينهما، وإخراجها في شكل صورة بيانية إيجاز، "فالطريقة التصويرية توجز التعبير وتختصر المساحات الواسعة والمسافات الطويلة، إذ أن الريشة القرآنية المعجزة ترسم الصورة شاخصة حافلة بالمعاني غنية بالدلالات، تغني بألفاظها القلائل عن الكثير من العبارات والفقرات "[2]، فالعلاقة الموجودة بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية تسهم قي تكثيف المعنى، كما يلعب التخييل والتجسيم دورا كبيرا في ربط العلاقة بين طرفي الصورة لأنّ "القرآن عادة لا يبسط المعنى الممثل له، وإنما يكتفي بالتلميح له ويترك الذهن يكدّ في البحث عنه "[3].ويشمل التطبيق في هذا المبحث : التشبيه والكناية والاستعارة والمجاز.

أ- إيجاز القصر بآليات التشبيه :

وهو كما عرّفه الرماني :"العقد على أن أحد الشيئين يسدّ مسدّ الآخر في حسّ أو عقل "[4]، و عرفه أبو هلال العسكري بقوله :"التشبيه الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه ناب منابه أو لم ينب "[5]، ويمكن الجمع بين تعريفات التشبيه في كتب البلاغة بالقول: إن التشبيه هو تمثيل شيء بشيء في الصفة أو الصفات التي يشتركان فيها والتي عادة ما تكون في

---

[1] – الجرجاني ودلائل الإعجاز، ص 508.

[2] – صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيّد قطب، شركة الشهاب، الجزائر، (د ت) ص275

[3] – بغدادي بلقاسم، المعجزة القرآنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط، د ت)، ص 265

[4] – الرماني، النكت في إعجاز القرآن ص 80

[5] – أبو هلال العسكري، الصناعتين ص 261

المشبه به أقوى، وفائدته إبراز المعنى في أقرب صورة، ومن هنا كانت الصلة وثيقة بين إيجاز القصر والتشبيه، "فهو يكشف عن المعنى المقصود مع ما يكتسب من فضيلة الإيجاز و الاختصار" [1]فعملية التشبيه تأتي عوضا عن كلام كثير وبديلا عن أوصاف متعددة حسيّة كانت أو عقليّة وهذا مكمن الإيجاز .

وهذه طائفة من التشبيهات التي وردت في القرآن الكريم وفي السور المكية منه على وجه الخصوص، و سنحاول استخراج مكامن الإيجاز، وإظهار جوانب الإعجاز فيها .

ومن أمثلة التشبيه في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِۖ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾ [2]، ففي هذه الآية شبه الله سبحانه وتعالى المعرض عن آياته بالكلب الذي يلهث في حال الحمل عليه أو تركه، وهذا التشبيه من باب إخراج المعقول في صورة المحسوس حتى يكون إلى الأذهان أقرب و بالواقع ألصق، وهذا التشبيه ثري بالمعاني المختزنة بين جوانب الصورة من ذلك "أن هذا الرجل كالكلب في صفته هذه و هي أقبح حالاته وأخسّها فهو لإخلاده وميله إلى الدنيا واتباعه هواه يكون كذلك في أسوإ حال فهو في هم دائب وشغل شاغل في جمع عرض الدنيا وادخارها ,يعنى بخسيس أمورها وجليلها كشأن عباد الأهواء و طلاب الأموال ترى المرء منهم كاللاهث من الإعياء والتعب وإن كان ما يعنى به حقيرا لا يتعب ولا يعيي وتراه كلما أصاب سعة و بسطة في الدنيا زاد طمعا فيها "[3] ,ومن وجوه الشبه بينهما أيضا " أن الكلب لا يطيعك في ترك اللهث على حال و كذلك الكافر لا يجيبك إلى الإيمان في رفق ولا عنف "[4], كما يكشف التشبيه أغوار نفس الكافر الذي يعتقد في رفضه الإيمان، والعمل بمقتضيات

---

[1] – شمس الدين أبو عبد الله محمد المعروف بابن قيم الجوزية(ت751هـ)، كتاب الفوائد المشوق إلى علو القرآن وعلم البيان، صححه محمد بدر الدين النعماني، مطبعة السعادة مصر، ط1، 1327 هـ، ص 54 .

[2] سورة الأعراف، الآيتان 175 176

[3] أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ج 9 ص 109

[4] أبو هلال العسكري ، المصدر السابق ، ص 262

الشرع أنه يدفع عن نفسه التكاليف ويبعدها عن الزيغ والضلال، بل إن نفسه تتأجج نارا وتتآكل حقدا على الدين فهو يتخبط في حيرة من أمره ويعيش غليانا دائما ؛"من سوء الحال و اضطرام القلب ودوام القلق و الاضطراب وعدم الاستراحة بحال من الأحوال "[1]، وفي تشبيهه بالكلب إشارة إلى انحطاطه ودناءته ونزوله على أدنى مراتب الحيوانية بفقدانه القدرة على التمييز وإدراك الحقيقة وسعيه الحثيث وراء شهواته وأهوائه، فانظر كيف أوجز التشبيه كل هذه المعاني وغيرها بفضل ما اختزنته الصورة من إشارات وأوجه شبه , ولو لم يكن التعبير عنها بالتشبيه لاستلزم الأمر بسطا وإطنابا ثم لا يكون أبلغ ولا أوجز، كما كان لاختيار المشبه به دور في هذا الفيض من المعاني وتقريبها من الأفهام ؛ فالكلب ضروري في حياة أهل البادية وهم أعلم الناس بصفاته وسلوكاته .

ومن أيضا قوله تعالى : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨﴾[2]، وهو من باب تشبيه المعقول بالمحسوس، فقد شبه سبحانه وتعالى أعمال الذين كفروا يوم القيامة بالرماد الذي عبثت به الريح فتطاير في كل مكان، " وأعمال الكفرة ؛ المكارم التي كانت لهم من صلة الأرحام وعتق الرقاب، وفداء الأساري، وعقر الإبل للأضياف، وإغاثة الملهوفين، والإجارة وغير ذلك من صنائعهم، شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير أساس من معرفة الله تعالى والإيمان به، وكونها لوجه : برماد طيرته الريح العاصف "[3]

ومن وجوه الشبه بين المشبه والمشبه به في هذه الصورة الاشتراك في النهاية والنتيجة من عدم الانتفاع وانعدام الوزن والقيمة, فهذه الأعمال لا ينتفع بها صاحبها يوم القيامة تماما مثل الرماد وهي عديمة الوزن لا اعتبار لها ولا تثبت على الميزان يوم القيامة مثل الرماد الذي تنسفه أضعف ريح، والاستفادة من هذه الأعمال آنية أي في الدنيا فقط كالنار ينتهي مفعولها بانطفائها فلا شيء يرجى من رمادها، كما يدل التشبيه على خسارة الكافرين وحسرتهم على أعمالهم التي لم

[1]– الألوسي، تفسير روح المعاني، ج 9 ص 115

[2] – سورة إبراهيم، الآية 18

[3] – الزمخشري، الكشاف، ج 3 ص371

ينتفعوا بها و تشتد الحسرة عندما يكون الأوان قد فات و لم يعد الوقت وقت استدراك فقد آلت إلى رماد كما الأشياء والنفائس إذا صارت رمادا أصبح من المستحيل استرجاعها .

ومن التشبيهات القرآنية الزاخرة بالمعاني والإشارات، قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [1]، فقد شبه الله تعالى الدنيا و زينتها وبهجتها بالأرض التي سقاها الغيث فأنبتت من كل زهر وأعطت كل ثمر وافتتن الناس بها حتى أتاها أمر الله فأصبحت في خبر كان، ولقد اجتهد الإمام السيوطي رحمه الله في إظهار ما تميز به هذا التشبيه من إيجاز فقال :"في هذه الآية عشر جمل وقع التركيب من مجموعها بحيث لو سقط منها شيء لاختل التشبيه إذ المقصود تشبيه حال الدنيا في سرعة تقضّيها وانقراض نعيمها واغترار الناس بها بحال ماء نزل من السماء وأنبت أنواع العشب وزيّن بزخرفها وجه الأرض كالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة حتى إذا طمع أهلها فيها، وظنوا أنها مسلمة من الجوائح أتاها بأس الله فجأة فكأنها لم تكن بالأمس، وقال بعضهم وجه تشبيه الدنيا بالماء أمران ؛أحدهما أن الماء إذا أخذت منه فوق حاجتك تضررت، وإن أخذت قدر الحاجة انتفعت به فكذلك الدنيا، والثاني أن الماء إذا طبقت عليه كفك لتحفظه لم يحصل فيه شيء فكذلك الدنيا "[2]، ووجه الشبه كما ترى كله عبر وعظات منها ترك الانشغال بالدنيا وعدم الاعتداد بها لأن مصيرها إلى الزوال والعمل لدار الخلود والقرار، وضرورة اليقين بأن قدرة الله فوق كل قدرة، وتسليم الأمر كله إليه ، وفي اختيار المشبه به دلالات عديدة، فالعرب في البادية أحوج الناس إلى المطر، وأدراهم بفضلها وأثرها على الأرض والكائنات الأخرى فأرزاقهم وأقواتهم مرتبطة بتزولها ، فهم أكثر الناس إدراكا لأبعاد هذا التشبيه وما يوجزه من معان .

وتشبيهات القرآن لا تقتصر صورها وعناصرها على ما تراه العين في الطبيعة والبيئة الصحراوية فحسب بل توظف عناصر من عالم الغيب، ومن غير ما يألفه الناس و هذا زيادة في

---

[1] – سورة يونس، الآية 24

[2] – السيوطي الإتقان في علوم القرآن ج2 ص42

الدلالة، وحتى يذهب العقل بخياله في استنباط أكبر قدر من المعاني والعبر من هذه الصورة، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ طَلْعُهَا ﴿٦٤﴾ كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ [1]، فقد طلع شجرة الزقوم برؤوس الشياطين وهذا التشبيه أثار عقول العرب آنذاك ولا زال، ومبعث ذلك غرابة طرفي الصورة، "فمعلوم أن الذين خوطبوا بهذه الآية من المشركين لم يكونوا عارفين بشجرة الزقوم، ولا برؤوس الشياطين، ولا كانوا رأوهما، ولا واحدا منهما ."[2]

وقال سيّد قطب :"والناس لا يعرفون رؤوس الشياطين كيف تكون ولكنها مفزعة ولا شك، ومجرد تصورها يثير الفزع والرعب فكيف إذا كانت طلعا يأكلونه ويملأون منه البطون ، لقد جعل الله هذه الشجرة فتنة للظالمين فحين سمعوا اسمها سخروا وقالوا : كيف تنبت في أصل الجحيم ولا تحترق؟ قال قائل منهم —وهو أبو جهل بن هشام —يسخر ويتفكه :يا معشر قريش هل تدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد؟ قالوا :لا، قال : عجوة يثرب بالزبد، والله لئن استمكنا منها لترقمنها تزقمنا ,ولكن شجرة الزقوم هذه شيء آخر غير ذلك الطعام الذي كانوا يعرفونه "[3]،فعلى قدر غرابة الشيء والاعتقاد ببشاعته يزداد الخوف والفزع من عذاب الله وجحيمه وتندفع النفس نحو طاعته وتقواه والعرب تستعمل الشياطين في كل ما هو غريب ومخيف

ومن التشبيهات التي تصور مشاهد غيبية بأشياء من الواقع قوله تعالى : ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ [4].

جاء في معنى القصر أنه "القصر من هذه القصور، وقيل القصر جمع قصرة وهو الغليظ من الشجر، وقرئت كالقصر- بفتح الصاد- جمع قصرةٍ أي كأنها أعناق الإبل والجمالات بكسر الجيم وضمها يعني أن الشرر كالجمال السود يقال للإبل التي هي سود تضرب على الصفرة:إبل

---

[1] سورة الصافات، الآيتان 64، 65 .

[2] الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ج 19، ص 553.

[3] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 23، ص 2988.

[4] سورة المرسلات الآياتان، 32، 33

صفر "[1] وقال الرازي :"اعلم أن الله تعالى شبه الشرر في العظم بالقصر ، وفي اللون والكثرة والتتابع وسرعة الحركة بالجمالات الصفر، وقيل :إن ابتداء الشرر يعظم فيكون كالقصر ثم يفترق فتكون تلك القطع المتفرقة المتتابعة كالجمالات الصفر"[2] وهذا التشبيه يزرع في النفس الخوف والوجل؛ فإذا كان الشرر الذي يعتبر أصغر ما يتطاير من النار بهذا الحجم فكيف بالنار وقوتها وسعتها وشدة لهيبها .

وفي قوله تعالى : ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾[3]، فقد شبه القمر في آخر أيامه بالعرجون القديم والجامع بينهما التدرج في المراحل و انتهاء الصلاحية وعدم الاهتمام به، فالقمر تترقبه العيون عند مطلعه وتشرئب الأعناق نحوه والعرجون كذلك يتعلق به صاحبه ويتتبع مراحله من بداية طلعه ثم يصير قنوانا فبلحا إلى أن يصير رطبا جنيا ثم تمرا وهي آخر مراحله وبعد جني ثماره يرمى و ينتهي دوره ، فتأمل ثراء هذا التشبيه وما أوجز من معان، وفي هذا إشارة لنهاية كل بداية وهذه من سنن الله في خلقه.

ومن التشبيه قوله تعالى : ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾[4]، فقد شبه سعة الجنة وعرضها بعرض السماء والأرض وفي هذا دلالة على عظمة الجنة وما أعده الله فيها لعباده المتقين وفي هذا التشبيه ترغيب وحث على التسابق للظفر بهذه الجنة، وتشويق لما فيها من خيرات تسلب القلوب والأفئدة، والتشبيه بعرض السماء والأرض غاية في البيان فهما أعظم ما يراه الإنسان في هذا الوجود، وفي ذكر العرض بدل الطول لطيفة بيانية، "فالله تعالى شبه عرض الجنة بعرض السماوات السبع والأرضين السبع ولاشك أن طولها أزيد من عرضها فذكر العرض

---

[1] – أبو اسحاق إبراهيم بن السري الزجّاج (ت 311 هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تح :عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط1، 1988م ج 5ص 268

[2] الرازي، التفسير الكبير ج 30 ص 277

[3] سورة يس الآية 39

[4] سورة الحديد الآية 21

تنبيها على أن الطول أضعاف ذلك"[1]

وفي قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَٰلِ ٢٢ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾[2] فقد شبه حور العين باللؤلؤ في جماله وجذابته وتأثيره في النفوس وكذا في صفائه ونفاسته إذ لم يعلق به تراب و لم تشبه شائبة، فهؤلاء حور عين مصونات خالصات بعيدات عن كل ما يشينهن .

وفي قوله تعالى :﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ ٤ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾[3] وهذا تشبيه لمشهد من مشاهد يوم القيامة وهو غني بالمعاني والإيحاءات المنبعثة من وجوه الشبه الكثيرة، قال الزجاج :"الفراش ما تراه كصغار البقّ يتهافت في النار، وشبه الناس في وقت البعث بالجراد المنتشر والفراش المبثوث لأنهم إذا بعثوا يموج بعضهم في بعض كالجراد الذي يموج بعضه في بعض".[4]

وهذا وصف في غاية الدقة حيث دل بالفراش المبثوث على كثرتهم وحركتهم في هذا الزحام الممزوج بالفزع والقلق والاضطراب لشدة هول ذلك اليوم ويكتمل المشهد بوصف حال الجبال التي صارت (كالعهن المنفوش) و"(العهن):الصوف"[5] ، و"النفش فك الصوف حتى ينتفش بعضه عن بعض"[6] ففي هذا اليوم تنعدم العظمة والشموخ، وما كان محل إعجاب وقوة ، أصبح في أضعف صورة وأسوأ حال .

وفي قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾[7] تشبيه لما آل إليه أصحاب الفيل –أبرهة وجنده–

---

[1] الفخر الرازي ، المصدرنفسه، ج 29 ص 230

[2] سورة الواقعة الآيتان 22 23

[3] سورة القارعة، الآيتان 4، 5

[4] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ص 355

[5] المصدر نفسه والصفحة نفسها

[6] الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 32 ص 72

[7] سورة الفيل، الآية 5

وجنده- فقد"جعلهم كورق الزرع الذي جزّ وأكل، أي وقع فيه الآكال "[1] وهذا جزاء من ادعى الكبرياء واستباح الحرمات، فهم في أهون حال وأبخس صورة وهي بقايا ما تتركه البهائم من ورق الزرع بعد أن قضت منه مأربها، و التشبيه هنا يصور قدرة الله وشدة انتقامه من المكابرين والمعاندين .

ومن خلال ما سبق ندرك جليا علاقة التشبيه بالإيجاز وقدرته على جمع الكثير من المعاني وبأقرب صورة وأقدرها على الدلالة و رسم الصورة كما هي، كما نلاحظ التنويع الحاصل في أنواع المشبه به بين المحسوس والمعقول ليلائم مختلف المستويات والبيئات، وهذا يؤكد رسالة القرآن العالمية المقنعة والمعجزة لكل الناس.

ب- إيجاز القصر بالصورة الاستعارية :

عرفها أبو هلال العسكري بقوله :"الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما ان يكون شرح المعنى وفضل الابانة عنه أو تأكيده والمبالغة فيه أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ أو يحسن المعرض الذي يبرز فيه "[2]، وهذا من أحسن التعاريف وأجمعها حيث بين أصل الاستعارة والأغراض البلاغية التي من أجلها تستعمل .

ونقل السيوطي قول بعضهم:"حقيقة الاستعارة أن تستعار الكلمة من شيء معروف بها إلى شيء لم يعرف بها وحكمة ذلك إظهار الخفي و إيضاح الظاهر الذي ليس بجلي أو حصول المبالغة أو المجموع ".[3]

وللاستعارة أركان ثلاثة ؛ مستعار وهو المشبه به، ومستعار منه وهوالمشبه، ومستعار له وهو المعنى الجامع، وترتبط الاستعارة بالإيجاز كونها تستعمل "لقصد المبالغة في التخييل والتشبيه مع الإيجاز"[4]

---

[1] الزجاج، المصدر نفسه، ص 364

[2] أبو هلال العسكري ، الصناعتين، ص 295

[3] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج 2 ، ص 44

[4] الزركشي البرهان في علوم القرآن ج3، ص 433

ومن أمثلة الاستعارة في القرآن الكريم قوله تعالى: (وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا([1]، ففي هذه الاستعارة شبه الولد بالطائر وحذف المشبه به وأتى بشيء من لوازمه وهو الجناح المراد بها خفض الجانب والذل لهما، وهذه دعوة إلى التلطف مع الوالدين وتليين الجانب لهما، واستعمال الجناح غاية في البلاغة "فإن الجناح للذلّ مناسب فإن الطائر إذا وهى وتعب بسط جناحه وألقى نفسه إلى الأرض ".[2]

و للإمام ابن باديس –رحمه الله–إضافة رائعة بقوله :"شبه الولد في سعيه وحنوّه وعطفه على والديه بالطائر، في ذلك كله على فراخه، وحذف المشبه به وأشير إليه بلازمه وهو خفض الجناح لأن الطائر هو ذو الجناح، وإنما يخفض جناحه حنوا وعطفا وحياطة لفراخه فيكون في الكلام استعارة بالكناية"[3],والجناح هو قوة الطائر وهو سبيله إلى النجاة والمنع من كل ما يتهدده وهو للإنسان كل ما يرمز إلى القوة بدنية كانت أم مادية وخفض الجناح يعني التنازل عن كل ذلك والتغلب عن هذه النزعات مقابل خدمة الوالدين.

وفي قوله تعالى :(فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ([4]، فالمعنى المتبادر من الآية هو الأمر بالتبليغ بكل ما يوحى إليك، وتكمن الاستعارة فى لفظة (اصدع) والصدع "الشق في الأجسام الصلبة كالزّجاج والحديد ونحوهما "[5]، واستعير هنا لما هو معنوي : "فالمستعار منه الزجاجة ، والمستعار الصدع وهو الشق والمستعار له عقوق المكلفين، والمعنى صرح بجميع ما أوحي إليك وبين كل ما أمرت به وإن شق ذلك على بعض القلوب فانصدعت، والمشابهة بينهما فيما يؤثره التصديع في القلوب فيظهر أثر ذلك على الوجوه من النقيض و الاستنباط، ويلوح عليها من علامات الإنكار و الاستبشار، كما يظهر ذلك على ظاهر الزجاجة المصدّعة المطروقة في باطنها،

---

[1] سورة الإسراء، الآية 24

[2] الزركشي، المصدر نفسه، ص 434

[3] – ابن باديس عبد الحميد مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، دار البعث قسنطينة (د ط)، 1982م، ص 104

[4] سورة الحجر، الآية 94

[5] الراغب الأصفهاني، المفردات، ص 276

فانظر إلى جليل هذه الاستعارة، وإلى عظيم إيجازها، وما انطوى عليه من المعاني الكثيرة ."[1]

وفي هذا دلالة واضحة على ضرورة الجهر بالدعوة جهرا يبلغ حد التأثير في النفوس التي باتت جامدة كالزجاج، وكلمة اصدع أبلغ من أي كلمة في هذا الموضع لما لها من جرس قوي يهز النفوس ويشقها لأن "الصدع بالأمر لابد له من تأثير كتأثير صدع الزجاجة و التبليغ قد يصعب حتى لايكون له تأثير فيصير بمنزلة ما لم يقع "[2], فلا بد من تكرار الدعوة حتى تصدع العقول وتتغلغل في أعماقها.

وفي قوله تعالى : ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[3]، فهذه الاستعارة تبرز معنى ذهنيا في صورة محسوسة حيث استعار القذف والدمغ من الماديات لحقيقة معنوية وهي انتصار الحق على الباطل، " وحقيقته بل نورد الحق على الباطل فيذهبه ..والقذف أبلغ من الإيراد..لأن فيه بيان شدة الوقع وفي شدة الوقع بيان القهر وفي القهر هاهنا بيان إزالة الباطل على جهة الحجة لا على جهة الشك و الارتياب والدمغ أشد من الإذهاب لأن في الدمغ من شدة التأثير وقوة النكاية ما ليس في الإذهاب "[4]، وترسم هذه الاستعارة أمامك مشهدا حيا متحركا فالحق كتلة تقع على الباطل فتشجّه وتدكّه فإذا هو ميت لا حراك له .

وفي قوله تعالى:﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾[5] ,آية بيانية رائعة ففيها استعار السلخ من الماديات الملحمة عادة كنزع الجلد عن اللحم ليصف تداخل الليل و النهار وفي هذا دلالة على تلاحم الليل بالنهار، وعملية السلخ هنا عملية دقيقة، ففيها يفصل الأمران دون بقاء أثر أحدهما في الآخر، وهذا من دلائل عظمة الله وقدرته .

---

[1] ابن أبي الأصبع المصري، بديع القرآن تح د حفني محمد شرف, دار نهضة مصر ,ط 2 ,(د ت) ص 22

[2] الرماني, النكت (ضمن ثلاث رسائل), ص 87

[3] سورة الأنبياء الآية 18

[4] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 300

[5] سورة يس ,الآية 37

وفي قوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾[1]، حيث استعار العقم للريح لانعدام النفع فيها ولكراهة الناس لها ككرههم للعقيم، " ويمكن أن يقال إنما سمي عقيما لأنه لم يبق أحدا من القوم كما أن العقيم لا يخلف نسبا و سمي الريح عقيما لأنها لم تأت بمطر ينتفع به ويبقى له أثر من نبات وغيره كما أن العقيم من النساء لا تأتي بولد يرجى ."[2]

وفي قوله تعالى : ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝﴾[3]، "والشهيق طول الزفير و هو رد النفس و الزفير مده وأصله من جبل شاهق أي متناهي في الطول "[4]، فاستعار هذه الصفات من الإنسان للنار " وحقيقة الشهيق ها هنا الصوت الفظيع وهما لفظتان, والشهيق لفظة واحدة فهو أوجز على ما فيه من زيادة البيان، وتميز حقيقته تنشق من غير تباين : والاستعارة أبلغ ..لأن التميز في الشيء هو أن يكون كل نوع منه مباينا لغيره وصايرا على حدته و هو أبلغ من الإنشقاق لأن الإنشقاق قد يحصل في الشيء من غير تباين"[5] , وهذه الأوصاف تصور الغليان المخيف والغيظ الشديد الذي ملئت به جهنم," وفيه بيان عجيب وزجر شديد لا تقوم مقامه الحقيقة "[6]

وفي قوله تعالى : ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾[7]، استعار لفظة (طغى) التي تصف تجاوز الماء للحد المعتاد، وهي تدل على حصول الطوفان وحلول العقاب , " والاستعارة أبلغ لأن طغى علا قاهرا، وهو مبالغة في عظم الحال"[8]وهو نوع من العقاب وكأني بالماء يصب جام غضبه

---

[1] سورة الذاريات ,الآية 41

[2] أبو هلال العسكري المصدر نفسه ص 300، 301

[3] سورة الملك الآيتان 7، 8

[4] الراغب، المفردات، مادة"شهق "

[5] أبو هلال العسكري المصدر السابق، ص 299

[6] المصدر نفسه والصفحة نفسها .

[7] سورة الحاقة، الآية 11

[8] الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص87

غضبه وقوته على هؤلاء الكفار ويعلو عليهم مثلما تعالوا على الله , و ينجي الله عباده المؤمنين من تلك الأهوال بحملهم على ظهر السفينة.

وفي قوله تعالى : (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ [1] حيث استعار الذوق من الطعام للعذاب والألم وفي هذا زيادة في الشعور بالألم، "والاستعارة أبلغ، لأن إحساس الذائق أقوى لأنه طالب لإدراك ما يذوقه، ولأنه جعل بدل إحساس الطعام المستلذ إحساس الآلام، لأن الأسبق في الذوق ذوق الطعام"[2] وجعل الذوق للعذاب هو زيادة في العذاب والألم فهم سيعرفوه ويدركوا طعمه الخاص "فللذوق فضل على غيره من الحواس .. ألا ترى أن الإنسان إذا رأى شيئا و لم يعرفه شمه فإن عرفه وإلا ذاقه لما يعلم أن للذوق فضلا في تبيين الأشياء " [3]، ولفظة (لنذيقنهم) توحي بجرسها بشدة هذا العذاب وثقله، كما تعني الإرغام والإكراه على الفعل، إنهم اليوم غير مخيرين كما كانوا من قبل، ففعل الذوق واقع عليهم لا محالة طوعا أو كرها ومؤكد بمؤكدين " اللام" و"النون ".

وفي قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ [4]، فهذه الاستعارة تصور حالة التذبذب التي يعيشها هؤلاء وهم يسيرون على غير هدى ضائعون تائهون في شعب شتى ومن غير منهج صحيح "والمراد منه الطرق المختلفة كقولك أنا في واد وأنت في واد وذلك لأنهم قد يمدحون الشيء بعد أن ذموه وبالعكس، وقد يعظمونه بعد أن استحقروه وبالعكس وذلك يدل على أنهم لا يطلبون بشعرهم الحق ولا الصدق أما محمد صلى الله عليه وسلم فإنه من أول أمره إلى آخره بقي على طريق واحد وهو الدعوة إلى الله تعالى والترغيب في الآخرة والإعراض عن الدنيا"[5].

---

[1] سورة السجدة ، الآية 21

[2] الرماني المصدر نفسه ص 93 94

[3] أبو هلال العسكري المصدر السابق ص 303.

[4] سورة الشعراء، الآية 225.

[5] الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج 24 ص 175

وفي قوله تعالى: (وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ)[1] فالعرض هنا مستعار للدعاء والتعبير بالعرض فيه إشارة إلى كثرة الدعاء والالحاح فيه فالإنسان بطبعه جزوع كثير الدعاء في حال الشدة و العسر , وهذا يكشف الأزمة النفسية المشتعلة بداخله فهي التي تدفعه إلى طلب العون والفرج من خالقه وإقراره بضعفه وعجزه أمام القدرة الإلهية .

وهذه وقفة أخرى مع بلاغة الاستعارة في القرآن الكريم في قوله تعالى : (فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا)[2]، ففي هذه الصورة تجلّت قدرة الله تعالى ؛ حيث منع عن هؤلاء الفتية حاسة السمع حتى لا تؤثر فيهم الأصوات الخارجية من غير أن يصيبهم صمم أو يلحق آذانهم أذى "لأنه إذا ضرب عليها من غير صمم دل على عدم الإحساس من كل جارحة يصح بها الإدراك، ولأن الأذن لما كانت طريقا إلى الانتباه ثم ضربوا عليها لم يكن سبيل إليه "[3] فهم بذلك معزولون عن عالم الكفر الذي فرّوا منه فتحققت لهم بذلك الأمنية مع الحماية والتكريم.

وفي قوله تعالى : (وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٱلَّذِيٓ ۝ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ)[4] , معنى الآية ا: "أي حططنا عنك ذنبك ، (ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ (أي حمله على النقض، وهو صوت الانتقاض والانفكاك لثقله. قال أهل اللغة: أنقض الحمل ظهر الناقة إذا سمعت له صريرا من شدة الحمل وسمعت نقيض الرجل ؛أي صريره "[5] فالأنبياء كما لا يخفى مغفوروا الذنوب، ومرفوعوا المكانة . ووصف الذنب بالثقل الذي يوضع يدل له وقعا في النفوس ووزنا يوم القيامة .

ج- إيجاز القص بإشارات الكناية :"الكناية لفظ أطلق وأريد لازم معناه مع جواز

---

[1] سورة فصلت، الآية 51

[2] سورة الكهف، الآية 11

[3] الرماني، المصدر السابق ص 94

[4] سورة الشرح، الآيتان 2, 3

[5] أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي (ت بعد 880 هـــ)، اللباب في علوم الكتاب، تح محمد سعد رمضان حسن ومحمد متولي الدسوقي حرب، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1، 1998 م، ج 20، ص 399

إرادة المعنى الأصلي "[1]، وترتبط الكناية بالإيجاز كونها تأتي نيابة عن المكنى عنه ودلالة عليه ، وتسهم الكناية في تكثيف المعنى بما تختزنه من لازم المعنى، ففي قول العرب (فلان كثير الرماد) : كناية عن الكرم هو اختصار؛" فإنه ينتقل من كثرة الرماد إلى كثرة إحراق الحطب تحت القدور، ومنها إلى كثرة الطبائخ، ومنها إلى كثرة الأكلة، ومنها إلى كثرة الضيفان، ومنها إلى المقصود "[2], فهذه المعاني توجز بإشارة الكناية لها وهو ما يصطلح عليه البعد الكنائي و هو مكمن الإيجاز.

ومن أمثلة الكناية في القرآن الكريم قوله تعالى : (وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ (3، فهذه كناية عن ندم وحسرة بني إسرائيل، وخوفهم من عقاب موسى وغضبه عليهم بعد أن خالفوا ما عاهدوه عليه؛ بأن لا يغيروا ولا يبدلوا في الدين شيئا، وهنا " أصل الكناية أن المجرم إذا أدركه الجنود أسرعوا فأسقطوا بعنف في يديه القيد الحديدي حتى لا يفرّ فإذا فعلوا به ذلك ارتخت أعصابه ووهنت عزائمه وأيقن أنه مسوق للعذاب وهؤلاء الذين اتخذوا العجل الذهبي الذي عبدوه أحسّوا بمثل هذا لما رأوا من بعيد موسى عليه السلام راجعا إليهم ومعه الألواح، كأنه قد حصل سقوط قيد حديدي في أيديهم، وسيلاقون عقابهم "[4]، وهذه تدل على حالة من الذهول والفشل والخيبة تخور معها الأعصاب وتنهزم العزائم" لأن من شأن من اشتدّ ندمه وحسرته أن يعضّ يده غما، فتصير يده مسقوطا فيها ؛لأن فاه قد وقع فيها"[5] ولاينتهي السقط في اليد بل يمتد تأثيره إلى النفس وإلا فما يضرهم ذلك "كما تقول للذي يحصل على شيء – وإن كان مما لا يكون في اليد قد حصل في يده من هذا مكروه تشبه ما يحصل في القلب وفي النفس بما يرى بالعين "[6]، وفي هذا إشارة إلى تعمدهم هذا

---

[1] علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة مع دليلها، دار المعارف، (د ط) و(د ت) ص125

[2] الخطيب القزويني، التلخيص في وجوه البلاغة ، ص 342

[3] سورة الأعراف، الآية 149

[4] عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني، البلاغة العربية، أسسها، علومها، وفنونها، الدار الشامية، بيروت، ط 1، 1996م، ج 2 ص148

[5] الزمخشري، الكشاف ج 2 ص 510

[6] الزجاج ، المصدر السابق، ج2، ص 378

بأيديهم، فاليد التي كانت سببا في هذا الكفر هي من يقع فيها السقط أولا، ثم يمتد إلى النفس التي كانت وراء الوساوس.

وفي استعمال مادة (فعل) في القرآن الكريم بعد كنائي إذ تأتي اختصارا لكثير من الأحداث، كما في قوله تعالى : (قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ[1]، كناية عن تحطيمه– عليه السلام – أصنامهم وإهانتها وتعليق المعول في رقبة الصنم الأكبر وما رافق ذلك، بعد أن كانت في نظرهم إلها يعبد ولكل خير يطلب، وكأني بهم بهروا لشدة ما رأوا، أو من باب إخفاء ما حدث لآلهتهم فيستعظموا أن يقولوا في حقها أنت من حطمها وردّها حجارة تداس بالأقدام

والأمر كذلك في قو له تعالى هَلۡ :(قَالَ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ[2]، وهذا كناية عن كل ما فعلوه به من قصة إلقائه في الجب وبيعه وما لفّقوه من زور، فانظر كيف دل على كل ذلك بقوله (ما فعلتهم)، ولعل الغرض من عدم ذكر ذلك هو تفادي تهييج الأحزان من جديد وإثارة العداوة بين الإخوة فاكتفى بالإشارة إليه دون تفصيل، فتأمل فضل الكناية على الإيجاز.

ونفس الكلام يقال عن قوله تعالى: (فَعَلۡتَكَ وَفَعَلۡتَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩[3]، أي كناية عن" قتلك القبطي إذ هو نفس لا يحل قتله "[4]، فالقصة بتفاصيلها اختصرت في كلمة (فعلتك)

ومنه أيضا قوله تعالى : (وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا[5]، كناية عن عن كل ما شاهده منه من أفعال هي بأمر الله من قتل الغلام وإقامة الجدار وخرق السفينة ...

---

[1] سورة الأنبياء، الآية 62

[2] سورة يوسف، الآية 89

[3] سورة الشعراء الآية 19

[4] الضحاك، تفسير الضحاك (ت 105 ه) جمع وتحقيق محمد شكري أحمد الزاويتي، دار السلام، ط1، 1999 م ج 1، ص 633

[5] سورة الكهف، الآية 82

ومن أمثلته كذلك قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ)[1] أي تصبحوا نادمين على ظلمكم الناس بغير حق إشارة إلى ما ينجم عن ذلك من عداوة، وقطيعة وربما فتنة أو خصومة.

وفي قوله تعالى : (أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ([2]، كناية عن كل ما وقع في قصتهم من أحداث عاقب الله بها أصحاب الفيل وهي إرسال الطير ترميهم بالحجارة حتى جعلتهم كورق الزرع المأكول .

ومن الكنايات الزاخرة بالإيجاز قوله تعالى : (وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠﴾ (3، " أي كأنما فرغ من لبها لما تداخلها من الخوف، و قيل فارغا من ذكره أي أنسيناها ذكره حتى سكنت واحتملت أن تلقيه في اليم، وقيل فارغا أي خاليا إلا من ذكره لأنه قال: (إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ("[4]، فمن الاختلاف في التفسير كان الاختلاف في توجيه الكناية ؛فيحتمل أن يكون فؤادها في حالة من الراحة والسعادة لأنها نسيت ولدها بأمر الله ويحتمل أن يكون فارغا من أي طعم للحياة، وأي معنى للطمأنينة لأن الخوف والحزن شغلا فؤادها . ويرجح القول الأول فهي "كناية عن طمأنينتها على ولدها وسكينتها و استمتاعها بمشاعر السعادة لان من شان فراغ الفؤاد من الافكار والعواطف المثيرة للقلق والاضطراب والخوف أن تصاحبه السكينة والطمأنينة ومشاعر السعادة أما قول الله عز وجل بعد هذه الكناية :)إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ(، فهو رجوع بالبيان إلى حال أم موسى قبل أن تضعه في الصندوق، وتلقيه في اليم إذ صعب عليها أن تباشر بنفسها إلقاء ولدها في اليم، ورأت أن احتمال هلاكه في اليم قريب من احتمال ذبحه بأيدي جنود فرعون، فجاء الربط على قلبها مانعا

---

[1] سورة الحجرات، الآية 6

[2] سورة الفيل، الآية 1

[3] سورة القصص، الآية 10

[4] الراغب الأصفهاني والمفردات مادة "فرغ"

لها من أن تظهر أمرها، وممدا لها بالثبات لتنفيذ ما أوحى الله لها به "[1] و نرى أن هذا القول أصوب لأن الله تعالى طمأن أم موسى فوعدها بقوله: (وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ(2، فهي على يقين وبصيرة مما جعلها مطمئنة عليه.

وفي قوله تعالى: (يُنَشَّؤُا۟ وَمَن فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ([3]، وهذه كناية عن موصوف وهن البنات اللائي يتربين في حظوة ورعاية ورقة على خصال تضمن لهن حسن العشرة ودوامها؛ فيتعلمن كيف يأسرن قلوب أزواجهن من جمال مظهر وحلاوة منطق وحسن تدبير " فأشار بنشأتهن في الحلية إلى أنهن ناقصات فيحتجن إلى حلية يكملن بها وإنهن عيّيات فلا يبن عن حجتهن وقت الخصومة مع أن في قوله تعريضا بما وضعت له الحلية من يفترشهن ويطأهن وتعريضا بان هن لا ينشأن في الحرب والطعان والشجاعة فذكر الحلية التي هي علامة الضعف والعجز والوهن "[4]

وقال السيوطي-رحمه الله- " كنى عن النساء بأنهن ينشأن في الترفه والتزين الشاغل عن النظر في الأمور و دقيق المعاني ولو أتى بلفظ النساء لم يشعر بذلك والمراد نفي ذلك عن الملائكة".[5]

وفي قوله تعالى : (فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ (6،كناية عن معان خفية، وأخلاق زكية، فقد كنّ بهذا الوصف عن جمال نساء الجنة وكمال أخلاقهن، فقصر

---

[1] حبنكه الميداني، البلاغة العربية، ص 146

[2] سورة القصص، الآية 7

[3] سورة الزخرف، الآية 18

[4] ابن قيم االجوزية، بدائع التفسير، جمع يسري السيد محمد، ومراجعة صالح أحمد الشامي، دار ابن الجوزي، ط 1، 1427هـ، ج 2 ص 437

[5] السيوطي الإتقان في علوم القرآن، ج2 ص 47

[6] سورة الرحمن الآية 56

الطرف جمال ظاهري يوحي بطهارة النفس وعفتها وشرفها وعدم امتدادها لغير الأزواج .

وننتقل إلى وقفة أخرى عند قوله تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[1]، فهي كناية عن منعهم من الهداية عقوبة لهم وفي هذا كما قال الزركشي –رحمه الله – :" تسليّة للنبيّ – صلى الله عليه و سلم – والمعنى :لا تظن أنك مقصر في إنذارهم فإنا نحن المانعون لهم من الإيمان ، فقد جعلناهم حطبا للنار، ليقوى التذاذ المؤمن بالنعيم، كما لا تتبين لذة الصحيح إلا عند رؤية المريض"[2]، وفي الجزء الثاني من الآية كناية كذلك عن منعهم من الوصول إلى سبيل الهدى" قال ابن عباس : منعهم من الهدى لما سبق في علمه ."[3]

د- إيجاز القصر بدلالة المجاز : المجاز من قولهم "جاز الشيء يجوزه إذا تعداه وعدل عنه، فاللفظ إذا عدل به عما يوجبه أصل الوضع فهو مجاز على معنى أنهم جاوزوا به موضعه الأصلي، أو جاوز هو مكانه الذي وضع فيه أوّلا "[4]، واستعمال لفظ المجاز يؤدي من المعاني الكثيرة ما تعجز عنه ألفاظ الحقيقة، لذا يكثر اللجوء إليه بغرض الإيجاز" فالمعنى الذي استعملت العرب المجاز من أجله ميلهم إلى الاتساع في الكلام وكثرة معاني الألفاظ ليكثر الالتذاذ بها...ولذلك كثر في كلامهم حتى صار أكثر استعمالا من الحقائق ".[5]

ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَـٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾[6]، فحياة الأرض تكون بما ينزل عليها من مطر؛

---

[1] سورة يس الآيتان 8، 9

[2] الزركشي، البرهان، ج2، ص 302

[3] ابن قيم الجوزية، بدائع التفسير، ج 2 ص 358

[4] ابن قيم الجوزية، كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلوم البيان، ص 11

[5] المصدرنفسه، ص 10

[6] سورة فاطر، الآية 9

فيجلب معه الخصب والخضرة والنبات والأزهار والثمار وما ينتشر عليها من كائنات تتكاثر بوجود الكلأ وأسباب البقاء فتعم الحياة الأرض بعد أن كانت ميتة ؛ لا نبات ولا زرع ولا مرعى فيها، فكل هذه المعاني- وما تخفيه أكثر- اختصرت في هذا المجاز .

ومنه أيضا قوله تعالى :)فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا([1] ففي هذه الآية أثبت للجدار الإرادة "وليس للحائط إرادة ولا للموت ولكنه إذا كان في هذه الحال من ربه فهو إرادته.ومجاز(أن ينقض) يقع، يقال:انقضت الدار إذا انهدمت وسقطت ".[2]

وفي قوله تعالى : (هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ)[3]

فنزول الرزق من السماء بالصفة التي نعرفها مجاز وحقيقته أن الذي ينزل من السماء هو الماء؛ فالرزق الذي نأكله يمر بمراحل من نزول المطر، ونبات ونضج إلى أن يصير رزقا يؤكل مع اختلاف أنواعه، كل هذا اختصر بهذا المجاز، ولك أن تقدر كم كان يكفي من الألفاظ لأداء هذه المعاني مجتمعة.

وفي قوله تعالى : (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ سَنَدْعُ ﴿١٧﴾ ٱلزَّبَانِيَةَ)[4]، وهذا المجاز من باب إطلاق المحل وإرادة وإرادة الحال فيه، والمقصود فليدع من بداخل النادي من عشيرة وأنصار وأصدقاء وندماء مخلصين يقفون إلى جانبه في هذه الشدة، فانظر كيف أوجز كل ذلك باستعمال المحل وقصد من يحل فيه .

وفي قوله تعالى : (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا)[5]، وفي هذه الآية إشارة إلى

---

[1] سورة الكهف الآية 77

[2] أبوعبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت 210 هـ)، مجاز القرآن، تعليق د محمد فؤاد سزكين (د ط) مكتبة الخانجي مصر (د ت)، ج1، ص 411.

[3] سورة غافر الآية 13 .

[4] – سورة العلق، الآيتان 17، 18.

[5] –سورة الإسراء الآية 23.

إلى بر الوالدين والنهي المطلق عن أبسط ما يؤذي الوالدين من قول أو فعل، وكلمة (أفّ) ليست المقصودة لذاتها فحسب، وإنما لما توجزه من إظهار قلق نفسي وتعب بدني وضيق صدر لا يليق في حق الوالدين وهم في هذه المرحلة الحساسة من العمر، فهي أدنى ما يعبر والمراد العموم " وفائدة هذا المجاز التنبيه بالأخف على الأشد، وتدريب المخاطبين على أن يعملوا عقولهم في فهم النصوص ليقيسوا الأشباه والنظائر بعضها على بعض، وليعلموا أن النهي عن الإضرار أو الإيذاء الأخف يدل بداهة على ما هو أشد منه ."[1]

وفي قوله تعالى : ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ﴾[2]، أي: يعصر عنبا ليصبح خمرا، فقد اختصر مراحل تحضير الخمر وهذا باعتبار المقصود من عصره العنب.

وفي قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ ۝ رَقَبَةٍ﴾[3]، الذي يفكّ ويحلّ عادة هو الغلّ المحيط بالرقبة وليست الرقبة، فهذا من باب إطلاق اللفظ وإرادة ما جاوره، والمقصود بفك الرقبة هو تحرير الإنسان بكامله من الرق ومن قيود الاستعباد، فيصبح حرا في أقواله و أفعاله و فيما يفعله بنفسه وماله، وفي توظيف الرقبة إيجاز ثان لأنها تشمل الذكر والأنثى ودون تحديد أو تمييز .

وفي قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝﴾[4]، علا "أي عظم وشرف وغلب عليها وطغى"[5]، فهو يأمر جنده بذبح الأبناء واستحياء النساء والإفساد في الأرض، وإسناد الفعل له هو من باب نسبة الفعل للآمر به .

وقوله تعالى : ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ﴾[6]، أي ": تنبت

---

[1]– حبنكه الميداني، البلاغة العربية .ص 278.

[2]– سورة يوسف، الآية 36.

[3]– سورة البلد، الآيتان 12، 13.

[4] سورة القصص، الآية 5

[5] أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج2، ص 97

[6] سورة المؤمنون، الآية 20

زيتونها وفيه الزيت "[1]، فذكر الدهن والمقصود الثمار التي بداخلها الزيت، وهذا من باب إطلاق الحال والمقصود محله، والذي ينبت في الأصل هو الشجرة بأوراقها وزيتونها وليس الدهن فذكر آخر شيء في العملية وهو الزيت ليختصر بذلك بقية المراحل وفي هذا كما لا يخفى إشارة إلى بركة هذه الشجرة وما تنتجه من ثمر وزيت .

وفي قوله تعالى : (وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (2، فنوح عليه السلام جرّب هؤلاء وأيقن أن لا فائدة ترجى منهم و لا من أبنائهم فإنهم سيصبحون عند بلوغهم كفارا كعادة آبائهم، فقد أوجز بهذا كل مراحل عمرهم وأخبر بنتيجتهم قبل ميلادهم وهذا من باب تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه.

وقوله تعالى : (إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا([3]، "في بناء الفعل للمجهول تركيز للاهتمام بالحدث، بصرف النظر عن محدثه، وفي الإسناد المجازي أو المطاوعة تقرير لوقوع الأحداث في طواعية تلقائية إذ الكون كله مهيأ للقيامة على وجه التسخير."[4] كما يدل البناء للمجهول على قوة الله وعظمته وجبروته وقد سبقت الإشارة إليه في سورة هود، وفي (أخرجت) نسب الفعل للأرض، و(أثقالها) "أي ما في بطنها من كنوز وأموات "[5]واختلاف صيغة صيغة الفعل بين الآيتين يؤكد أهمية وخطورة الحدث في الفعل الأول .

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج4 ، ص223

[2] سورة نوح، الآيتان 26، 27

[3] سورة الزلزلة، الآيتان 1، 2

[4] عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني ص 81

[5] الزمخشرى، أساس البلاغة، تح عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، (د ط)، 1989 م، مادة" ثقل "

المبحث الثاني: دلالات الإشارة:

يعرّف علماء البيان الإشارة بقولهم :"أن تطلق لفظا جليّا تقصد به معنى خفيّا وذلك من ملح الكلام وجواهر النثر والنظام "[1]، وعرّفها ابن رشيق بقوله: "وهي في كل نوع من الكلام لمحة دالة، واختصار وتلويح يعرف مجملا، ومعناه بعيد من ظاهر لفظه"[2]، فالإشارة إذن هي دلالة اللفظ القليل على المعنى الخفي الكثير بطريقة مختصرة وذكية تلمح إلى المعنى دون أن تصرح به، فهي بذلك "بلاغة عجيبة تدل على بعد المرمى وفرط المقدرة، وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرز، والحاذق الماهر، ؛فمن ذلك قول زهير:

فإني لو لقيتك واتجهنا لكان لكل منكرة كفاء

فقد أشار له بقبح ما كان يصنع لو لقيه، هذا عند قدامة أفضل بيت في الإشارة "[3]

ومن أنواع الإشارات الكناية والتمثيل والتعريض والتلويح والرمز، و اللمحة، ومنها اللغز وهو أشدها خفاء وبعدا، كما عدّ ابن رشيق القيرواني من أنواع الإشارة التفخيم والإيماء قال :" فأما التفخيم فكقوله تعالى: (القارعة ما القارعة)، وقد قال كعب بن سعد الغنوي (يرثي أخاه) :

أخي ما أخي لا فاحش عند بيته ولا ورع عند اللقاء هيوب

وأما الإيماء، فكقوله تعالى : (فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ(فأمأ إليه وترك التفسير . وقال كثيّر:

تجافيت عني حين لا لي حيلة وخلّفت ما خلّفت بين الجوانح "[4]

---

[1] ابن قيم الجوزية، كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلوم البيان، ص 125

[2] ابن رشيق، العمدة، ج 1، ص 513

[3] المصدر نفسه والصفحة نفسها .

[4] -المصدر نفسه، ص 515

كما جعل ابن رشيق اللحن من قبيل الإشارة وعرّفه بقوله:" هو كلام يعرفه المخاطب بفحواه، وإن كان على غير وجهه وقال تعالى :(ولتعرفنّهم في لحن القول)[1]"[2].

والمتأمل في شواهد الإشارة يدرك أن المراد منها هو إخفاء المعنى وترك التصريح به لأغراض كثيرة يقصدها القائل ويفهمها عنه اللبيب الحذق، وهذه الظاهرة اصطلح عليها في الدرس البديعي بظاهرة الغموض وهي "ظاهرة فنّية تقتضيها سياقات خاصة وتتصل بقيّم إيمانية، أوضحها: الصبر، والتماس الحكمة، واتخاذ الحيطة و، و الإكبار أي احترام الكبير، وترك الفحش، واتقاء الظالم....والعلاقات الخاصة بين الرجل والمرأة، والعلاقات الخاصة بين الشركاء في التجارة..وكلها تتصف بالذكاء والإصابة في القول والفعل، فالإخفاء لضرورة ولحكمة "[3]

ومن أمثلة الإشارة في القرآن الكريم قوله تعالى : (فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ)[4] فهذه نهاية فرعون وجنوده لما اتبعوا موسى بعد أن أمره الله بشق طريق في البحر يبسا ولا يخاف دركا و لا يخشى فأهلكهم الله بالغشيان و الغرق، واقتضت الحكمة الربانية عدم تفصيل ما غشي فرعون و جنوده من أنواع العذاب والعقاب فقوله تعالى: (ما غشيهم) إشارة إلى أنواع وأصناف كثيرة من العذاب يحار الناس في تخيلها وإدراكها وحصرها، وهذا البعد الإيحائي يزيد من ضخامة وهول ما غشيهم ويظل خيال القاريء عبر الزمان يرسم لها صورا سرعان ما تحل محلها صورا أخرى يراها كفيلة بتصوير المشهد، فهذه العبارة مع وجازتها تعدّ من "باب الاختصار و من جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة أي :غشيهم ما لا يعلم كنهه إلاّ الله "[5]، وما يزيد من هول الموقف ما عزز الله تعالى به نبيه موسى من معجزة شق البحر و استدراج فرعون لدخوله هو وجنوده حتى تعظم العقوبة ويكون عقاب الله أشد، ولعل الإبهام الذي أحاط بنوع

---

[1] سورة محمد، الآية 30.

[2] ابن رشيق، المصدر السابق ص522.

[3] – أحمد أحمد فشل، علم البديع رؤية جديدة، دار المعارف، (د ط)، 1996 م، ص193

[4]– سورة طه، الآية، 78.

[5]– الزمخشري، الكشاف، ج 4، ص 99

العذاب هو مكمن الإشارة ومبعث التخيّل بحيث "لا يمكن أن يصل النّص إلى هذا التأثير الرائع والقدرة الإيحائية لو خصص الفاعل وحدّد وأزيل إجماله وإبهامه ...لأنه والحالة هذه سوف ينحصر في أمر معيّن و لا ينفسح للنفس مجال التوسع في أن نتخيل ما يمكن أن يوحيه النص من احتمالات ودلالات تنسجم مع سياقه "[1]

ومن المواطن الثرية بالإشارات، ما جاء في بيان ما وعد الله به عباده المتقين ؛من جنّات ونعيم مقيم، في قوله تعالى : (أَوْلِيَآؤُكُمْ نَحْنُ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ)"[2]، فهل لأحد أن يحصي ما تشتهيه الأنفس وتصبو إليه من شهوات ورغبات مادية ومعنوية خصوصا إذا كان المنعم أكرم الأكرمين ؟، وتتسع دلالة الإيحاء باتساع مدلول الآية بقوله تعالى: (وَلَكُم فِيهَا مَا تَدَّعُونَ) فهم يحظون بتلبية رغباتهم وما يتمنونه زيادة على ما يجدونه في الجنّة؛ من شهوات و خيرات حسان، وأشياء أخرى تسمو عن الماديات كالنظر لوجهه تعالى و الفوز برضوانه و قربه في دار الخلد " فألمح إلى كل ما تميل النفوس إليه من الشهوات، وتلذّ الأعين من المرئيات، لتعلم أن هذا اللفظ القليل جداّ عبّر عن معان كثيرة لا تنحصر "[3]

ومثله قوله تعالى : (وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ)[4]، فقد أشارت إلى نعم كثيرة وملاذ وفيرة وفيها إشارة إلى كمال المتعة من اقتران شهوة النفس بلذة العين مع الخلود.

وفي قوله تعالى : (لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ)[5] ففي هذه الآية الكريمة إشارة إلى براءة وطهارة السيدة عائشة – رضي الله عنها– مما نسب

---

[1] مجيد عبد المجيد ناجي، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1984 م ص130

[2] – سورة فصلت آية :31

[3]– ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير، ص 202

[4] – سورة الزخرف الأية 71

[5]- سورة النور الآية 12

إليها كذبا و زورا فيما عرف بحادثة الإفك واكتفى بوصف القصة بالإفك و لم يصرح بذكر اسم السيدة عائشة توقيرا لها على أن يقترن ذكرها بهذا الإفك فالآية "تدل على براءة الصدّيقة بأبلغ وجه وأعظمه مع تأديب وتعليم لكل من سمع خبرا أوأتته وشاية عن أحد حيث إن المقام هنا مقام تنزيه الطاهرة أم المؤمنين فكان ينبغي أن يقال : لولا إذ سمعتموه كذبتموه أو استبعدتموه أو نحو ذلك "[1]

وفي قوله تعالى : ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢﴾[2]، ففي الآية الكريمة إشارة إلى أن هذه النعم خالصة لعباد الله المؤمنين لا يشاركهم الكافرون فيها كما هو الحال في الدنيا .

وفي قوله تعالى : ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠﴾[3]، "أشار سبحانه إلى عدم اكتمال إيمانه حيث إن العتو والكبر حملاه أن جعل بني إسرائيل بمنزلة الإناث "[4]، ففرعون لكفره وعناده اعتبر الإيمان دليل خوف وضعف فوصف هؤلاء المؤمنين بالإناث حيث قال :)ءَامَنَتۡ)وفيه إشارة أخرى إلى احتقار فرعون لقومه وتقليله من شأنهم لما آمنوا.

وفي قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ﴾[5]إشارة إلى بلوغهم حد اليأس في البحث عن أخيهم بعد أن استنفدوا جهودهم في ذلك وفي قوله (نجيا) إشارة إلى تشاورهم وتناجيهم

---

[1]– محمد أبو اليسر عابدين، الإيجاز في آيات الإعجاز، تح : محمد كريم راجح، دار البشائر للطباعة والنشر، ط1، 1994 م، ص 192

[2] – سورة الأعراف الآية 32

[3] – سورة يونس الآية 92

[4] – أبو اليسر عابدين المرجع نفسه ص175

[5] – سورة يوسف الآية 80

حول الموضوع، "وأفرد نجيا لصلوحه للمفرد والجمع، إشارة إلى توحيد كلمتهم في ما يقولون "[1]، وتفضيل المفرد هو دليل الإشارة فانظر إلى دقتها وشدة خفائها .

وفي قوله تعالى: (وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ [2]) في ذكر" الواو" هنا إشارة إلى الجنة وعدد أبوابه فالواو كما هو مقرر هي واو الثمانية فانظر كيف أشار بحرف واحد إلى كلام كثير .

وفي قوله تعالى : (فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ)[3]، إشارة إلى عفتهن وحسن أدبهن وبعدهن عن الخيانة وقناعتهن بأزواجهن فلا تمتد أعينهن إلى ما حرم الله، "وقصور الطرف في الأصل موضوعه العفاف على جهة التوابع والإرداف ...وذلك أن المرأة إذا عفت قصرت طرفها على زوجها ..فكان قصور الطرف ردفا للعفاف و العفاف ردف و تابع لقصور الطرف "[4]

وفي قوله تعالى : (فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾ [5] ، "ما أوحى :أي من الأمور العجيبة التي لا لا تفي بها العبارة"[6]، وفي إبهام الموحى به إشارات كثيرة لا يمكن الجزم بها، " وقال سعيد بن جبير الذي أوحي إليه هو: (أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴿١﴾ [7]، وقيل: أوحى إليه أن الجنة حرام على الأنبياء ، حتى تدخلها، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك ." [7]

---

[1] -محمد أبو اليسر عابدين المصدر نفسسه ص 184

[2] سورة الزمر الآية 73

[3] سورة الرحمن الآية 56

[4] أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين ص 385

[5] سورة النجم الآية 10

[6] محمد الأمين الأرمي العلوي الهرري، تفسير حدائف الروح والريحان، ج 28، ص111

[7] المصدر نفسه ص 111، 112

وفي قوله تعالى : ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾[1]، إشارة إلى تكريم الإنسان وتخصيصه بالعلم دون سائر المخلوقات ويكمن الإيجاز في اتساع دلالة (ما لم يعلم) حيث تشمل كل ما منّ الله به على البشر؛ من علوم مختلفة، ومعارف شتى عبر العصور والأزمنة "فيتسع الإطلاق لكل ما كسب الإنسان ويكسب من العلم، وهو الذي استأثر بشرف العلم الكسبي واختص به دون غيره من الكائنات "[2]، فإن الإيحاء في هذه الآية لا حصر له تشمل كل ما جهله الإنسان قبل أن يعلّمه الله إياه لقوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٧٨﴾[3]، ونفي العلم مطلقا عن الإنسان يثبت كون العلم كله من الله ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٣١﴾[4]، وقوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ۝١١٣﴾[5]، فأصل العلم من الله وكل زيادة تحصل فيه فبمنّه وعطائه وعطائه وتوفيقه، وهو الذي زوّد الإنسان بالعقل والسمع والبصر وكل أدوات التعلم، "فكل علم في الذهن فبتعليمه حصل وكل لفظ في اللسان أوخط في البنان فبإقداره وخلقه وتعليمه، وهذا من آيات قدرته وبراهين حكمته لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ."[6]

ومن الشواهد القرآنية المفعمة بالإيحاءات والإشارات الخفيّة التي يذهب الذهن في تقديرها كل مذهب – وأنى له أن يحيط بها– ما جاء في ذكر نعم الله –عز وجل– على رسوله صلى عليه

---

[1] سورة العلق الآية 5

[2] عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني، ج2 ، ص24

[3] سورة النحل، الآية 78

[4] سورةالبقرة ، الآية 31 .

[5] سورة النساء، الآية 113 .

[6] ابن قيّم الجوزية ، الضوء المنير على التفسير، جمع: علي الحمد المحمد الصالحي (د ت) مكتبة دار السلام، (د ط, دت)ج 6، ص417.

وسلم وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝﴾[1]، فقد تعدّدت الأقوال في وصف وتحديد هذا العطاء فمن قائل:" أعطاه في الجنة ألف قصر في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم "، وقيل :" إن ذلك في الآخرة يعطيه حيى يرضيه في أمته، وفي ما أعده له من الكرامة ، ومن جملته نهر الكوثر الذي حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف وطينه مسك أذفر "[2] وفي قول "تعني الشفاعة، ونقل عن ابن عباس : من رضا محمد أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار."[3] والقائلون بهذه الأقوال يعتقدون أنهم بهذه التوصيفات يؤدون المراد، والأمر عكس ذلك فإن التحديد يضيّق المعنى ويقلل من العطية، كما أن التخصيص يحتاج إلى دليل بالإضافة إلى كون السياق يفيد العموم، " وهو أن يعطيه فيرضى وهذا يعمّ ما يعطيه من القرآن، والهدى، والنصر وكثرة الأتباع، ورفع ذكره وإعلاء كلمته، وما يعطيه بعد مماته وما يعطيه في موقف القيامة ، وما يعطيه في الجنة."[4] فالآية تتسع إلى كل ما منّ به الله سبحانه على حبيبه – صلى الله عليه وسلم – من عطايا عطايا حتى يصل إلى غاية الرضا، وفي استعمال(سوف) إشارة إلى استمرار العطاء في المستقبل وهذا زيادة في شرفه ومكانته –صلى عليه وسلم– و ردا على الذين قالوا إن محمدا هجره ربه ، "والبيان إنما يتسق هنا ويتكامل بلفظ (سوف) إيناسا للرسول المصطفى بأنه كان وسوف يظل موضع عناية ربه :في أمسه وغده، في أولاه وأخراه ..."[5] ولا زال ذكره خالدا في النفوس ورسالته ورسالته تستهوي القلوب، فهذه الآية على إيجازها أوحت بمعاني كثيرة لايدرك حقيقتها إلا الله وحده.

وفي قوله تعالى :﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ وَحُصِّلَ ۝ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝﴾[6]، تأتي حصّل

---

[1] سورة الضحى، الآية 5

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج14 ص383

[3] المصدرنفسه، ص384

[4] ابن قيّم الجوزية، المصدر نفسه، ج 6، ص396.

[5] عائشة عبد الرحمن، المصدر السابق ، ج 1، ص 41

[6] سورة العاديات ، الآيتان 9، 10

في اللغة من:" حصل تراب المعدن : ميز الذهب منه وخلصه"[1]إشارة إلى جمع الأعمال وتمييزها، والتحصيل لما في الصدور إيذان بكشف المستور وإظهار المطوي المضمر " والإشارة إلى الصدر لعلها إشارة إلى القلب أيضا فما ينويه الإنسان وما يضمره من خير أو شر أو إيمان أو نفاق محله الصدر ولما كان محل التحصيل الصدر كان الشيطان حريصا على الوسوسة فيه لقوله تعالى : (ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ مِنَ ۞ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۞ ([2].

وفي قوله تعالى : (۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا (3، وفي هذه الآية إشارة إلى بر الوالدين والنهي المطلق عن أبسط ما يؤذي الوالدين من قول أو فعل، وكلمة (أفٍ) ليست المقصودة لذاتها فحسب، وإنما لما توحزه من إظهار قلق نفسي، وتعب بدني، وضيق صدر لا يليق في حق الوالدين وهم في هذه المرحلة الحساسة من العمر، فهي أدنى ما يعبر به والمراد العموم "وفائدة هذا المجاز التنبيه بالأخف على الأشد، وتدريب المخاطبين على أن يعملوا عقولهم في فهم النصوص ليقيسوا الأشباه والنظائر بعضها على بعض، وليعلموا أن النهي عن الإضرار أو الإيذاء الأخف يدل بداهة على ما هو أشد منه ."[4]

ومن أنواع الإشارة التعريض ومنه قوله تعالى:إِنَّكَ (ذُقۡ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ (5؛ "أي الذي كان يقال له هذا، أو يقوله، وهو أبو جهل ؛ لأنه قال :"ما بين جبليها –يعني مكة – أعز مني ولا أكرم"[6]

وفي الإشارة إليه دون ذكر اسمه حطّ من قيمته إذ كان يعتبر نفسه من سادة القوم ومخاطبته

---

[1] الزمخشري، أساس البلاغة، مادة" حصل "

[2] سورة الناس، الآيتان 5، 6

[3] سورة الإسراء، الآية 23

[4]–حبنكه الميداني، البلاغة العربية .ص 278

[5]- سورة الدخان الآية 49

[6] ابن رشيق العمدة، ج 1، ص 517

بأنه العزيز الكريم من باب التهكم والاستهزاء فهل حاله هذه تدل على أنه كريم عزيز؟.

وفي قوله تعالى : (وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ)[1]، قيل إشارة إلى "النساء لأن المراة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الأرائك ويدل عليه قوله تعالى في الآية الموالية : (إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً (، ولا يخفى ما في هذه الإشارة من أدب رفيع يحفظ كرامة المرأة وعزّتها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] سورة الواقعة، الآية 34

المبحث الثالث : دلالات الإيحاء :

تمتاز المفردة القرآنية بقدرتها على الإيحاء بمعان كثيرة فهي تجعل القارئ لا يقف عند ظاهرها بل تفرض عليه الغوص في معانيها الباطنية و أن يجول بمخيلته في فضاءاتها الدلالية المختلفة فيكتشف ما تخفيه من أبعاد وأسرار، وهذا ما يجعلها حيّة أبدا لأن القارئ يفاجأ كل مرة بمعنى جديد، وأفق يتسع كلما كانت القراءة عميقة ومتبصّرة "والأديب البليغ هو من يستنفد ما للألفاظ من معان، أضفاها عليها الزمان فتثير في النفس أعمق الإحساسات، وتملأ الخيال بشتى الصّور ."[1]

ونتناول في هذا المبحث بعض المفردات التي جاءت على صيّغ صرفية معيّنة ونربط هذا بالدلالات والإيحاءات الكامنة وراء تفضيل هذه الصيغة عن غيرها، ونعتمد في ذلك على معاني الصيغة الواردة في فصيح كلام العرب كما نستثمر البعد الإيحائي للمفردة كالبعد النفسي والبعد الديني بأبعاده المختلفة، والأمثلة على ذلك في القرآن كثيرة منها :

قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢﴾[2]، فقد اجتمعت ألفاظ كثيرة وهي (زلزلة، شيء عظيم، تذهل، مرضعة ، تضع، سكارى) لتوحي بهول قيام الساعة وشدة الموقف الذي يفوق قدرة البشر؛ حيث تذهب منه العقول وتشرد الأذهان، وتسقط الحامل جنينها دون تمام، وتنعدم وقته المشاعر والعواطف ، فهل لك أن تتخيل أمًا تتخلى عن ولدها ناهيك عن كونها مرضعة؟، وقد أبدع الزمخشري –رحمه الله– في تبيين سّر اختيار التأنيث هنا فقال :"فإن قلت : لم قيل مرضعة دون مرضع، قلت :المرضعة هي التي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي و المرضع التي من شأنها أن ترضع، وإن لم تباشر

---

[1]– أحمد أحمد بدوي، من بلاغة الكلمة، مكتبة نهضة مصر، (د ط)، 2005 م، ص 11، 12

[2]– سورة الحج، الآيتان 1، 2

الإرضاع في حال وصفها به، فقيل :مرضعة، ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه، وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة"[1]وهذه المفردات في مجملها تصوّر حركات مادية مع ما تحدثه من تأثيرات نفسية، فالذهول مثلا :"هو الذهاب عن الأمر مع دهشة"[2]، ومنظر الناس وهم سكارى بغير سكر يكشف عن نفسيات مختلة، "ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذي أذهب عقولهم وطيّر تمييزهم وردّهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه "[3] ويستمر الإيحاء بما تثيره هذه المشاهد من تصورات وحالات من الحيرة والتفكر والخوف تدفع المؤمن بالعودة إلى تقوى الله ليأمن هذا الشيء العظيم .

وفي قوله تعالى : ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾[4]، و(كظيم) من ":كظم الغيظ حبسه، ومنه كظم البعير إذا ترك الإجترار"[5]، وجاء في لسان العرب: "كظم الرجل غيظه إذا اجترعه أي :ردّه وحبسه"[6] وهي توحي بما تختزنه أنفس هؤلاء من كره وبغض شديدين للأنثى يخفي تحته خوفا من الفقر، وما قد تلحقه من عار، كما تدل على حبهم الشديد للذكور ؛إذ يعتبر الولد المعين على تحصيل الرزق والمدافع عن العرض والحمى .والفارس في ساحات الوغى .

ويجتمع في هذه الآية الإيحاء النفسي مع الإيحاء الحسّي فسواد الوجه يكشف ويترجم الغمّ والكظم المخبوء في أعماق النفس، "فمن حالهم أن أحدهم إذا قيل له:قد ولدت لك بنت، اغتم واربدّ وجهه غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب "[7]، وصيغة المبالغة في كظيم توحي أيضا بهذه

---

[1] -الزمخشري، الكشاف، ج 4، ص173، 174

[2] -المصدر نفسه، ص 174.

[3] -المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[4] - سورة الزخرف، الآية 17

[5] -الراغب، المفردات، مادة "كظم"

[6] -ابن منظور، لسان العرب، مادة "كظم"

[7] - الزمخشري، المصدر نفسه، ج5، ص 432

الحسرة الشديدة التي تلازم أحدهم عندما يخيب أمله من فوات الولد الذكر . فهذه الآية على إيجازها شخصت حالة نفسية، وفضحت وضعية ثقافية، وعرفا اجتماعيا فاسدا أملته الظروف الاقتصادية والاجتماعية.

وفي قوله تعالى : ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [1]، فكلمة جاثية تعني :"جالسة على الركب "[2]، وهذه الهيئة توحي بما تكون عليه الأمم يوم القيامة من خوف وذلّ وانكسار، وخشوع وسكون مطبق، وجوّ تملؤه المهابة والحيرة، والتفكّر في المصير، فهذه المعاني والإيحاءات مستفادة من وضعية الجلوس التي يفرضها هول ذلك اليوم .

ونظير هذا في قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝﴾ [3]، " فالمجرمون ينقطعون في الحجة انقطاع يئسين من رحمة الله، والمبلس الساكت المنقطع في حجته، اليائس من أن يهتدي إليها، تقول: ناظرت فلانا فأبلس أي انقطع وأمسك ويئس من أن يحتج "[4] ، لا أعتقد أن لفظة أخرى يمكن أن تنوب هذه اللفظة هنا فهؤلاء المجرمون ما عساهم أن يقولوا، وقد رأوا ذنوبهم محضرة أمامهم، وجوارحهم شاهدة عليهم؟، فهم واجمون صامتون حائرون لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا الدفاع عنها، "فهذه الصورة بحالتها النفسية الواسعة، تنطق بحقيقتها لفظة (يبلس) حيث الاستسلام، وأن ليس هناك محيص من الفرار، إنها تنطق بحركة نفسية، صامتة ، مباغتة ، مبكتة ."[5]

وتتجلى قوة الإيحاء في القوة التعبيرية الكامنة في المفردة كما في قوله تعالى : ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝﴾[6]. فلفظة أحصنت ثرية بما يكفي

---

[1] –سورة الجاثية ، الآية 28 .

[2] –الزمخشري، الكشاف، ج 4، ص 435.

[3] – سورة الروم، الآية 12.

[4] – الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ، ج4، ص179.

[5] – عمر السلامي، الإعجاز الفني في القرآن، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس ، (د ط)، 1980 م، ص95

[6] – سورة الأنبياء الآية 91 .

لتحقيق المعاني المرادة، وهي من :"امرأة حصان وحاصن، ويقال حصان للعفيفة ولذات حرمة "[1]، بمعنى المرأة المتعففة الحاصنة فرجها ، وهي توحي بأن فرجها محميّ ومحروس ويمتنع الوصول إليه كالحصن المنيع، وهو في غاية الطهارة والعفة، وفي هذا قطع لكل ما أثير حولها من افتراءات واتهامات، ولو تخيّرت مكان أحصنت لفظا آخر ك (حمت أو حفظت)، فمدلولات هذه الألفاظ آنية، خلاف الحصن فإنه يختار له الموقع المنيع، ولا تغفل عن حراسته أعين الجند، مما يوحي أن مريم ابنة عمران أعدّت لهذا الأمر العظيم، فلفظة أحصنت جمعت "إحصانا كليا من الحلال والحرام "[2]، كما قالت)أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠([3]

وفي قوله تعالى : (يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ([4]، توحي الآية بعظمة الخالق الذي خضع له كل شيء، كما توحي بسعة جهنم وقوتها ولك أن تتخيل بقية الإيحاءات ؛ من أناس يتعذبون بما لا يعلم وصفه وشدته إلا الله، ونار غاضبة متأججة شرهة لم تشبع بل تطلب الزيادة، " وطلب جهنم الزيادة يجوز أن يكون استكثارا للداخلين فيها واستبعادا للزيادة عليهم لفرط كثرتهم، أو طلبا للزيادة غيضا على العصاة"[5].

وفي قوله تعالى : (لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ وَأَنتَ ١ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٢([6]، الملفت للانتباه في هذه الآية هو استعمال صيغة (حلّ) و لم يقل وأنت حال أو أنت مقيم، وهذه الصيغة قصدت في الاستعمال دون غيرها لاحتوائها دلالات عديدة اجتهد المفسرون في تحديد المراد منها ونحن نكتفي بالترر القليل فمنها :أنها تأتي بمعنى الحال والمقيم والمقصود هو تعظيم مكة " فالله تعالى

---

[1]– الراغب الأصفهاني، المفردات، مادة "حصن" .

[2] الزمخشري، الكشاف ج 4، ص 163.

[3] سورة مريم، الآية 20.

[4] سورة ق، الآية 30.

[5] الزمخشري، المصدر نفسه، ج 5، ص 602.

[6] سورة البلد، الآيتان 1، 2 .

أقسم بها لما جمعت من الشرفين شرفها بإضافتها إلى الله تعالى، وشرفها بحضور رسول الله صلى الله عليه وسلم وإقامته فيها فصارت أهلا ليقسم بها "[1]، ومن معاني الحل أنها تأتي بمعنى اسم المفعول :أي مستحل فعلى هذا يكون المعنى : وأنت مستحل قتلك لا تراعى حرمتك في هذا البلد الحرام الذي يأمن فيه الناس على دمائهم وأموالهم والذي يأمن فيه الطير والوحش "[2]

وقيل :" وأنت حل بهذا البلد مما يقترفه أهله من المآثم متحرّج بريء منها "[3] والمعاني المتكاثرة لهذه اللفظة ترجع كلها لهذه الصيغة فلو قال : حال أو مقيم لما أوحت كل هذه الإيحاءات الكثيرة؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم حال بها وحلّ و بريء مما يفعله أصحابها، وكان دمه حلال عند كفارها، بل جعلوا لمن يقتله مالا كثيرا، فتأمل كيف أوجزت هذه الصيغة كل هذه المعاني والأبعاد .

هذا وقد يساهم الجانب الإيقاعي الصوتي للّفظة في إحداث دلالات و إيحاءات هي ما يمكن أن نسميه بالإيحاء بالجرس، فكثيرة هي المفردات القرآنية التي أغنت بجرسها عن المعنى اللغوي المعهود لها، ذلك أن للجرس إيحاء يسهم في توضيح دلالاتها و إظهار أبعادها وهذا راجع " لأصوات الحروف التي تأتي على سمت الأحداث المعبر بها عنها "كقولهم خضم و قضم فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والغثاء والقضم للصلب اليابس نحو قضمت الدابة شعيرها، وفي الخبر قد يدرك الخضم بالقضم أي قد يدرك الر خاء بالشدة، واللين بالشظف وعليه قول أبي الدرداء : (يخضمون ونقضم، والموعد الله) فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتها لليابس حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث، ومن ذلك قولهم : النضح للماء ونحوه والنضخ أقوى من النضح ؛ قال الله سبحانه : (فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ (، فجعلوا الخاء –لرقتها – للماء الضعيف و الخاء –لغلظها– لما هو أقوى منه "[4]، " فالجرس هو موافقة الأصوات لما يقابلها من أحداث وحركات صيغت محاكاة لها "ونحن لا ينبغي أن ننظر إلى الجرس في ذاته لأن العبرة بأهميته

---

[1] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج 8، ص 470.

[2] – فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار، ط3، 2003م، ص245

[3] – الألوسي، روح المعاني، ج 30، ص 134

[4] - أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، (د ط، د ت)، ج 2، ص 157، 158

في الإشعار بالحدث وتصويره للنفس عن طريق حكاية صوته ولذا فكثيرا ما يرتبط الجرس بالإيحاء"[1]، "والبلاغة لا تعتد بالجرس- على قيمته – إلا عندما يؤدي دورا فعالا في تحقيق الغرض من الكلام عن طريق تهيئة النفس وإثارة الخيال نحو المراد فتتلقاه النفس مقبولا كتلقي من لها به إلف ومودة "[2],ولعل من بلاغة الجرس أنه يشترك في إدراك مراده المتعلم وغير المتعلم سواء فهم المراد من اللفظ أو لم يفهم فيتحقق بذلك الغرض ويفهمه الجميع .

والمراد من استعمال هذه الألفاظ ذات الجرس القوي ليس الجرس في حد ذاته وإنما ما يبعثه هذا الوزن والجرس من إيحاءات وما يعطيه من إشارات، ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى : (فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾([3] "أي: أهلكهم وأزعجهم وقيل الدمدمة حكاية صوت الهرة ومنه دمدم فلان في كلامه، وتقول للشيء يدفن دمدمت عليه :أي سويت عليه فيجوز أن يكون معنى فدمدم عليهم فسوى عليهم الأرض بأن أهلكهم فجعلهم تحت التراب "[4]، وعند التأمل في جرس دمدم نجده يحدث اهتزازا وضغطا في الفم يعقبهما تخيل حركة هذا الفعل وما يمكن أن تكون عليه الدمدمة في الواقع دون أن ننسى أن المدمدم هو الله، فهي توحي بشدة هول ما حدث بالقوم و بقدرة الله تعالى، كما توحي بشناعة ما كانوا عليه من طغيان وعصيان استحقوا به هذه الدمدمة التي كانت نتيجتها في قوله تعالى (فسواها) أي فسوى عليهم الأرض، فقوة الجرس في دمدم كفيلة بتخيّل شدة غضب الله تعالى، و قوته وقدرته على الانتقام بأعتى أنواع العذاب، ولو تخيرت ما شئت من المفردات فلن تحصل على هذه الإيحاءات مجتمعة ، لأن جرس دمدم يوجز ويختزن في بنائه هذه المعاني وغيرها مما لا يعلمه إلا الله .

ومنها أيضا قوله تعالى : (فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ﴿٩٥﴾([5]، "

---

[1] – محمد إبراهيم شادي، البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، الشركة الإسلامية للإنتاج والتوزيع والإعلان، الرسالة، ط1، 1988 م، ص 28

[2] – المرجع نفسه، ص 30.

[3] – سورة الشمس، الآية 14.

[4] – الرازي، التفسير الكبير، ج31 ص، 196.

[5] – سورة الشعراء، الآيتان 94، 95.

الكبكبة تكرير الكبّ، وجعل التكرير في اللفظ تكريرا في المعنى، كأنه :إذا ألقي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها كأني بكلمة (كبكبوا) تصّور بجرسها المتولد عن تكرار الحرفين (كب) حركة الدوران والتقلب في دركات جهنم ألا ترى أن الماء وهو يحدث الصوت يتدفق إلى الأرض بشدة مما يوحي إلى شدة المعاملة التي يتلقاها هؤلاء ثم إن الماء الذي يدفّق عادة هو الماء الذي لا قيمة له كأن يكون قذرا أو نجسا مما يعكس قدر وقيمة هؤلاء ألا ترى أن الماء إذا كان عذبا طاهرا صبّ بعناية في أواني تليق به .

قال سيد قطب عن كلمة كبكبوا :"وإنك لتسمع من جرس اللفظ صوت دفعهم وسقوطهم بلا انتظام، وصوت الدبدبة الناشيء من الكبكبة كما ينهار الجرف فتتبعه الحروف فهو لفظ مصور بجرسه لمعناه"[1].

كما يعتبر الدكتور سعيد رمضان البوطي من أكبر المهتمين بهذا النوع من الدراسة الصوتية فهو يعتبر هذا النوع من البناء أحد مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم :"فإذا تأملت في الكلمات التي تتألف منها الجملة القرآنية رأيتها تمتاز بجمال توقيعها في السمع، وباتساقها الغريب مع المعنى حتى لكأنك تشتم منها رائحة المعنى المطلوب، أو لكأنّ فيها إشراقا تلمح فيه صورة المعنى أمام عينيك، ومن أمثلته على ذلك قوله تعالى: (ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا رَفَعَ ﴿٢٧﴾ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا وَأَغۡطَشَ ﴿٢٨﴾ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا)[2]، قال عنها :"أفلا تبصر وأنت تقرأ كلمة(أغطش)منتبها إلى طبيعة حروفها ووقعها في أذنك، أنها تقدم لك المعنى في تلافيف حروفها قبل أن تقدمه لك في معناها المحفوظ"[3].

و من ذلك قوله تعالى في سورة طه : (قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴿٧١﴾)[4]، وفي هذه الآية يظهر غضب فرعون على بني إسرائيل كما يكشف عن فنون

[1] – سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 1956م، ص 114

[2] –سورة النازعات، الآيات من 27– 29

[3] – محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، مكتبة الفارابي، دمشق، ط5، 1977 م، ص 175، 177 (بتصرف)

[4] - سورة طه الآية 71

العذاب التي اختارها لتعذيبهم ففي استعمال صيغة (لأفعلنّ) بما فيها من تشديد وثقل في النطق ونبرة قوية ختمت بها المفردة توحي بشدة هذا الوعيد وثقل العذاب المسلط عليهم وصيغة (فعّل) تفيد التكثير تقول :قطّع اللحم إذا جعله قطعا كثيرة فهي تجسم هذا العذاب وتصور كيفيته ويزيد الوعيد خطورة باستعمال (أشد) و(أبقى) وبها يعبّر عن قوته وقدرته عليهم وهي صيغة تفضيل فهو يتوعّدهم بالهلاك بالعذاب الشديد لأنه في نظره هو ربهم الأعلى وفي هذا كله كشف لنفسية فرعون الذي كان مملوء بجنون العظمة والكبرياء والتجبر وادعاء الألوهية.

وفي قوله تعالى : ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤﴾ [1]، وفيها يتوعد الله سبحانه هذا الكافر الذي اعتدّ بماله وأعرض عن الإيمان بنار جهنم، واستعمال صيغة (لينبذنّ) بما فيها من تشديد ورنة قوية، ودخول لام التوكيد على الفعل المضارع كل هذا يجسد شدة وقوة هذا العذاب ، والتعبير ب(لينبذنّ) له دلالات كبيرة فتقول:" نبذ الشيء من يده : طرحه ورمى به "[2]، فهذا المنبوذ يرمى في جهنم أشد ما يكون الرمي والطرح، والرمي يكون عادة لما لا حاجة به أو لا قيمة له، وهذا يوحي بغضب الله تعالى على هذا الكافر التافه والمكروه الذي لا يصلح إلا حطاما لجهنم، وفي استعمال الحطمة دلالة أخرى :"فالحطم كسر الشيء مثل الهشم، والحطام ما يتكسر من اليبس"[3]، وفيه إشارة إلى ما يؤول إليه حال الكافر في النار، فاختيار هذه المفردة يوحي بشدة العذاب الذي تيبس منه الأجساد وتتكسّر.

وفي قوله تعالى : ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ۝١٧﴾ [4] اختيرت صيغة البناء للمجهول للإخبار عن حال الإنسان من كفر وإعراض وتطاول وتجاهل لما أمر به، وكفران كامل لما أنعم الله به عليه ، و لم هذا مقصودا وحده بل فيها، " دعاء عليه وهي من أشنع دعواتهم، لأن القتل غاية شدائد الدنيا وما أكفره تعجب من إفراطه في كفران نعمة الله "[5] كما توحي بغضب الله تعالى على

[1] سورة الهمزة الآية 4

[2]– الزمخشري، أساس البلاغة، مادة" نبذ "

[3]– الراغب، المفردات، مادة "حطم "

[4] سورة عبس، الآية 17

[5] الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج 31، ص 60

الكافر الذي استوجب الدعاء عليه .

وفي التعبير ب (ما أكفره) إشارة إلى تناهي الكافر في كفره من كفر وجود الله ووحدانيته إلى جحود النعم وغيرها من أنواع الكفر المختلفة .

وفي قوله تعالى : (تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝)[1]، فتبّت من التبّ و تعني : "الاستمرار في الخسران، وتبّت يدا أبي لهب أي استمرت في خسرانه"[2]، فالخسارة كما هو معلوم لن تفارقه فهذا خبر قطعي من الله وقد أكد الفعل بمثله و (تبّ)" أي وكان ذلك وحصل، لكن لماذا خاطب الله أبا لهب بالكنية، والكنية تكرمة قلت فيه ثلاثة أوجه : أن يكون مشتهرا بالكنية دون الاسم والثاني أنه كان اسمه عبد العزّى فعدل عنه إلى كنيته، والثالث :أنه لما كان من أهل النار ومآله إلى نار ذات لهب وافقت حال كنيته فكان جديرا بأن يذكر بها "[3]

ولعل الخسران الدائم في الدنيا والآخرة الذي تعبر عنه لفظة "تبّ "ليس له من مآل إلا النار ذات اللهب .وليس من لفظ يمكن أن يعوض أو ينوب هذه اللفظة فهي توحي بغضب الله تعالى على هذا الطاغية وما أعده له من نار ذات لهب، وفي نسبة التبّ لليد إشارة إلى ماكان قد فعله أبو لهب من أعمال عدائية ضد النبي صلى عليه وسلم والإسلام فاليد هي من يباشر التنفيذ .

وفي قوله تعالى : (أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝)[4]، فالدع "الدفع الشديد وأصله أن يقال للعاثر دع دع"[5]وفيها وصف للقسوة و سوء المعاملة التي تصل إلى حد الدفع الشديد وربما الضرب والشتم مما يوحي بالتعالي والكبر والدناءة، وهذا ناتج عن تكذيبه بالجزاء فلو " آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشي الله تعالى وعقابه، ولم يقدم على ذلك فحين أقدم

---

[1] سورة المسد، الآيتان 1، 2

[2] الراغب، المصدر نفسه، مادة "تب "

[3] الزمخشري، الكشاف، ج 6، ص 455، 456، بتصرف(

[4] سورة الماعون ، الآيتان 1، 2

[5] الراغب، المصدر السابق، مادة "دع "

على ذلك : علم أنه مكذّب "[1] فتأمل كيف ربط سوء المعاملة بانعدام الإيمان فالإيمان بالجزاء يدفع المرء لفعل الخير لأنه يعلم يقينا أنه محاسب على أفعاله إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، والتضعيف في (يكذبّ) يفيد استغراق وقت أطول من كذب وهذا يوحي باستمرار الرجل في تكذيبه بالدين وإكثاره في ذلك.

ومن أعظم الدلائل على عناية القرآن الكريم بالجرس لأبعاد إيحائية ابتكاره لصيّغ جديدة " جاءت مناسبة للمعنى الديني الجديد على المفاهيم العربية "[2] ؛كأسماء اليوم الآخر فمن أسمائه الحاقة، والقارعة والواقعة والصّاخّة والطامّة، فهي مشتقة من أفعال عربية معروفة إلا أن الصيغة التي جاءت عليها تؤثر في الأذن بشدة وتبعث في النفس الخوف والفزع وتدفعه إلى التفكر في هذا اليوم وأهواله واستحضار قدرة الله وعظمته ومن ثم الإنابة والرجوع إليه .

وهذه الأسماء كما ترى جمعت بين المد الطويل، والحروف القوية كحروف الاستعلاء من قاف وصاد وطاء، بالإضافة إلى التضعيف كما في الحاقّة والصّاخّة والطامة، وهذه العوامل الثلاثة تحدث في النفس هزة وفي الأذن رنة، يقول الدكتور محمد المبارك عن كلمة الحاقة " هي الكلمة الجديدة التي تعبر هنا عن يوم القيامة و الحساب، وتتكرر فيها هذه القاف المشددة التي تقرع السمع قرعا، والمسبوقة بالمد الطويل الممهد لها، والمبرز لشدتها، والمختومة بالهاء التي تنطفىء عندها شدتها "[3].

ويقول سيد قطب في تفسير قوله تعالى :(فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ([4] "والطامة لفظة مصورة بجرسها لمعناها، فهي تطمّ وّ تعمّ وتطغى على السماء المبنيّة والأرض المدحورة " [5]ويقول عن الحاقة :"الرنة المدوية في القاف، والهاء الساكنة بعدها سواء أكانت تاء مربوطة يوقف عليها

---

[1] الزمخشري، المصدر نفسه، ص 440

[2]– أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والنفسير ، دار المكتبي، ط1، 1994 م، ص 217

[3] – المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[4] سورة النازعات، الآية 34

[5] سيد قطب، مشاهد القيامة، ص 189

بالسكون، أو هاء للسكت مزيدة لتنسيق الإيقاع "، ولعل غرابة الصيغة في هذه الأسماء وما حوته من شدة وثقل في النطق ناتجين عن المدود الطويلة والتضعيف الذي لحق بعض الحروف إضافة إلى طبيعة الحروف المستعملة كالطاء والقاف والصاد والخاء وهي حروف الاستعلاء تمتاز بالقوة والتفخيم يوحي بشدة هذا اليوم وطوله وثقله وهذه الأسماء بجرسها تعطي إيحاءات وإشارات متعددة حول خصوصية يوم القيامة وشدة وغرابة أهواله .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن دراسة ظاهرة الإيجاز بالقصر في القرآن الكريم وبالأخص في السور المكية ممتعة وثرية ولا يمكن أن تستوفي حقها مهما تعاقبت الأجيال وتعددت الدراسات فسيظل القرآن زاخرا بمكنوناته مبهرا بعطاءاته فهو الكتاب الوحيد الذي لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي صلاحيته، وقد توصلت من خلال هذا البحث المتواضع إلى النتائج الآتية :

1-أن الإيجاز بنوعيه وارد في اللغة العربية، وفي القرآن الكريم، وفي الأحاديث النبوية الشريفة.

2-يظهر الإيجاز ويتحقق في كل جوانب الحياة الأدبية والاقتصادية والسلوكية وهو مقصد شرعي.

3-ورود الإيجاز في القرآن الكريم جريا على سنن العرب وتحديا لهم وهم أرباب الفصاحة والبيان .

4-يقابل الإيجاز في البلاغة النبوية ما أوتيه النبي صلى الله عليه وسلم من جوامع الكلم التي ظهرت في البيان النبوي من تشبيهات، واستعارات، وكنايات، ومجازات، وإشارات؛ مادية ومعنوية .

5- كثرة الإيجاز في السور المكية على وجه الخصوص ؛أمر اقتضته المرحلة الأولى للدعوة الإسلامية، وكذا طبيعة المجتمع المكي، فهو دليل إعجاز لا دليل عجز كما يروّج خصوم القرآن، فقد ثبت التحدي وانتفت المعارضة .

6- يظهر الإيجاز في أشكال مختلفة كظاهرة الإجمال وكذا في التنكير كما تمثل ظلال المعاني أكبر دليل على الإيجاز لما تبسطه من دلالات متوالدة .

7- تمثل الصور البيانية المختلفة كالتشبيه والكناية والاستعارة جانبا مهما من الإيجاز فهي تغني بما تفرضه من خيال وتجسيم عن كثير من الألفاظ والتعابير وهذا هو الإيجاز الذي يدركه جل الناس .

8- تعتبر الإشارة والإيماءة من أكثر شواهد الإيجاز إيجازا ولا يدركها إلا أرباب الصنعة وفطاحلة البيان.

9- يسهم جرس المفردة في اختزان كثير من الدلالات والإيحاءات وإثارة الفكر والخيال نحو استنباط المعاني الكامنة في جرس ووزن المفردة .

10- تسهم بعض الصيغ والأوزان الصرفية بتركيبتها الخاصة في إثارة كثير من الإيحاءات التي لا توحي بها الصيغ العادية .

11- وفي النهاية يمكن القول إن الإيجاز منهج يصلح لكل جوانب الحياة المادية والفكرية والأدبية.

فهذه أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي لظاهرة الإيجاز في أنماط التعبير المختلفة ولقد حاولت قدر الإمكان إخراج الظاهرة من دائرة الدراسات التي كانت تحصر الموضوع في النظرة الكلاسيكية، ولا أدعي فهما ولا إبداعا وإنما هي مساهمة متواضعة في حاجة إلى مواصلة وإتمام .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة المركزية
جامعة الأمير

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الفاتحة		
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ	7-1	70
سورة البقرة		
الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ	2-1	39
الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ	5-1	41
وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ	31	133
وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ	60	42
قَالُوٓاْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ	71	38
عَٰهَدَهُۥٓ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا	80	43
مُّؤْمِنِينَ ۝٩١ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم	91	43
وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ	92	103
بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم	93	40
وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ	143	74
إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ	169	98
ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٧٩ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ	179	24-18-16
ٱلْحَرَامُ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ	194	24
الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ	268	98
سورة الاعمران		
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ	118	32

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية
عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة النساء		
حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ	23	40
وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم	96	72
وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا	113	133
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾	176	31
سورة المائدة		
حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ	03	40
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ	06	42
إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ	33	66
وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ	38	66
عَلَيْهِمْ وَكَتَبْنَا فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ	45	25
إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ	91	99
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ	105	34
سورة الأنعام		
وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ.....	03	73
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ	35	51
وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا	99	73
بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ ۖ	101	86
وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا	120	74
وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ	142	98
فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ	149	37

وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَ	151	74
سورة الأعراف		
وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝	04	55
يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ	27	99
يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا	31	74
قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْق	32	-131-75
قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ	33	65
وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْۚ	46	89
أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ	54	75
ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةًۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ	55	76
وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ	130	-104
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ	133	104
:(وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ	149	121
:(وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ	176-175 -	111
خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ	199	99
سورة الأنفال		
وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ	39	66
سورة التوبة		
وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ	30	66
فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ	82	38
سورة يونس		

إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ	24	112
وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ	42-43	77
فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ	71	34
وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ	92	132
سورة هود		
وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ	44	77
وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ	92-93	42
سورة يوسف		
يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَٰطِـِٔينَ	29	34
وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ	36	127
وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُون	45	36
يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ	46	"36
وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ	54	35
وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ	82	40
قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ	85	-31
فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا	80	132
:(قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ(	89	122
سورة إبراهيم		
وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ	04	54
مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ	18	-112
سورة الحجر		

وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعۡلُومٌ	04	32
وَلَقَدۡ آتَيۡنَاكَ سَبۡعًا مِنَ الۡمَثَانِي وَالۡقُرۡآنَ الۡعَظِيم	87	70
(فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ	94	117
سورة النحل		
بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ	44	
(وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا	78	133
إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ	105	
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ	90	-102
ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ	125	100
سورة الإسراء		
وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا	24	135-117
وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَاۚ	59	38
وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ	101	103-40
سورة الكهف		
فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ	11	120
فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ	77	126
وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبًا	79	38
وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ	82	123
سورة مريم		
إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا	3	76
أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾	20	140

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

سورة طه		
طه ۝ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ	2-1	34
لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى	06	79
قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ	18	80
قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ	71	143
(فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ(	78	130
فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا	96	55
سورة الأنبياء		
بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا	18	118
أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا	30	73
قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ(667	62	122
لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَاۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ	90	76
وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا	91	139
سورة الحج		
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ	2- 1	137
۩ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ	77	64
سورة المؤمنون		
وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ	14-12	105
وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبۡغٖ لِّلْأٓكِلِينَ	20	127
سورة النور		

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ	20	43
سورة الفرقان		
وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾	30	33
أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ	-45 46	98
وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا	63	101
سورة الشعراء		
وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ	19	122
فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ	-94 95	142
وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ	208	32
أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾	225	120
سورة النمل		
وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ	12	104
وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ	17	81
لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا	21	43
سورة القصص		
إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا	5	127
وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا	7	124
وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ	10	123
وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ	24-23	36
وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ	45-44	42
سورة الروم		

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُ	04	40
وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾	12	139
وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡ إِنَّ فِي	22	104
ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ	54	89
سورة السجدة		
وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا	12	43
:(وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ	21	119
سورة سبأ		
أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِ	11	38
سورة فاطر		
إِنَّ الشَّيۡطَانَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدۡعُو حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُوا مِنۡ	06	99
وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا	9	125
سورة يس		
يسٓ ﴿١﴾ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ	2-1	33
إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ	9-8	125
وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ	27-22	41
(وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ	37	118
وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ	39	114
وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ	40	40
سورة الصافات		

أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ	16	67
إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي	-65-64	113
سورة ص		
فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ	32	35
الطَّرْفِ أَتْرَاب وَعِندَهُم قَـٰصِرَٰت	52	38
قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ	82	99
سورة الزمر		
لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ اللَّهُ	04	37
وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا	71	32
وَسِيقَ الَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ	73	132
سورة غافر		
هُوَ الَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا	13	126
يَوْمَ هُم بَارِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ الْمُلْكُ	16	71
وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ	60	57
هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا	67	104
سورة فصلت		
إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا	08	82
إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا	31-30	131-81
مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا	46	39
وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ	51	120
سورة الشورى		

يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١	11	95
سورة الزخرف		
وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا	17	138
أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ	18	124
وَمَا نُرِيهِم مِّنۡ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكۡبَرُ مِنۡ أُخۡتِهَا	48	38
وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ	49	38
وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ	71	131
وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨	88	33
سورة الدخان		
(ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ	34	133
(ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ	49	135
سورة الجاثية		
وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ	24	67
وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ	28	139
سورة الأحقاف		
إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ	13	17
سورة محمد		
فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ	04	35
فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً	04	48
ولتعرفنّهم في لحن القول	30	129
سورة الحجرات		

أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَـٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ	02	43
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ	06	123
سورة ق		
قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ	3 -2-1	43
يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن	30	140
سورة الذاريات		
وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ	41	118
سورة الرحمن		
(فِيهِمَا مِن كُلِّ فَـٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ	52	83
فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ	56	132-125
سورة الواقعة		
لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ	19	15
: (وَحُورٌ عِينٞ ۝ كَأَمۡثَـٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ	-23-22	115
وَفَـٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ	32	83
وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ	34	136
فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ۝ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ	83	35
سورة الحديد		
هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ	03	86
اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي	20	106
:(سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ	21	115
سورة الطلاق		

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

وَٱلَّـٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشْهُرٍ	05-04	39
سورة التحريم		
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ	06	81
سورة الملك		
إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧	8-7	119
سورة الحاقة		
إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَـٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ	11	119
سورة نوح		
وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا	13	104
وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا	26 -25	128
سورة القيامة		
(كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ۝٢٦ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ	27-26	35
وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ۝٢٨	28	36
سورة المرسلات		
إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ۝٣٢ كَأَنَّهُۥ	33-32-	114
سورة النازعات		
ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨ وَأَغْطَشَ	29-27-	143
(فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ	34	145
سورة عبس		
:(قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧	17	144
سورة الفجر		

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢	02	90
وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا	22	40
سورة البلد		
لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣	3-1	140-91
مَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ	13 -12	127
سورة الشمس		
فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا	13	34
فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا	14	141
سورة الضحى		
﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ	-2-1	37
﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ	05	134
سورة الانشراح		
وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ	3-2	121
فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦	6-5	93
سورة العلق		
عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ	05	133
فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ	18 -17	126
سورة البينة		
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ	07	82
سورة الزلزلة		
إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا	2 -1	128

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية
عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة العاديات		
:(۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠	9- 10	135
سورة القارعة		
(يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ	4-5-	115
سورة التكاثر		
أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ	01	105
سورة العصر		
وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ	1-3	84
سورة الهمزة		
كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ ۝٤	04	143
سورة الفيل		
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ ٱلْفِيلِ	01	123
وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ	03	94
فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ	05	116
سورة الماعون		
أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١	01	145
سورة الكوثر		
إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿1﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ	03-01	84
سورة المسد		
تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ	1	144
سورة الإخلاص		

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿1﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ		85-67
سورة الناس		
ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝	-6 -5	135

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى	11
كنت أصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم فكانت	11
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت	11
أنا أفصح العرب بيد أنني من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر	51
بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب وبينما أنا نائم رأيتني أتيت	52
...هذه بلاغة	11
(إذا قلت فأوجز	53
نحن معاشر الأنبياء فينا بكاء	53
كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يسرد الكلام كسردكم هذا	53
إنما الأعمال بالنيات	53
الدين النصيحة	53
المرء مع من أحب	53
بعثت في نفس الساعة	53
الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات	56
أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك	53
أرأيتم لوأن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات	55
مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد	56
ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال	56
المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة	57

ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع	57
من وقيّ شرّ مابين لحييه ومابين رجليه دخل الجنّة)	58
خير المال عين ساهرة لعين نائمة	58
إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي	59
أحد جبل يحبنا و نحبه	59
الخيل معقود في نواصيها الخير والأجر والمغنم إلي يوم القيامة	59
إنا أمة أمية لا تكتب ولا تحب والشهر هكذا وعقد الإبهام في ثلاثة والشهر	60
أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا إشارة بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئًا	60
لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج	60

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

فهرس الأبيات الشعرية الواردة في البحث

البيت	صاحبه
و بالنوارس من ورقاء قد علموا أحلاس خيل على جرد **أبابيل**	مجهول
خل جنبيـــك لـــرام*** وامض عنه بســـلام مت بدا ع الصمت خير*** لك من داء الكلام	أبو نواس
تعصي الإله وأنت تظهر حبه** هذا محال في القياس بديع لوكان حبك صادقاً لأطعته** إن المحب لمن يحب يطيع	محمود الوراق
تضع الحديث على مواضعه وكلامها من بعده نزر	ابن الأحمر
أحلام نوم أو كظل زائل** إن اللبيب بمثلها لا يخدع	الحسن رحمه
ومن لم يصانع في أمور كثيرة** يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله** على قومه يستغن عنه ويذمم	زهير بن أبي سلمى
لولا عطاءهن كريم وجز	رؤبة
على حَزَابي جُلالٍ وَجْز	رؤبة
تراه كأن الله يجدع أنفه** وعينيه إن مولاه ثاب له وفر	
أما وي، ما يغني الثراء عن الفتى** إذا حشرجت يوما وضاق بها	حاتم الطائي
حتى إذا ألقت يدا في "كافر"[668] ** وأجن عورات الثغور ظلامها	لبيد
في اخضرارٍ من اللباس على أصفر ** فر يختال في صريغة ورس	البحتري

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ** فلم يبق إلا صورة اللحم والدم وكائن ترى من صامت لك معجب ** زيادته أو نقصه في التكلم	زهير بن أبي سلمى
ومن لم يصانع في أمور كـــثيرة يضرّس بأنياب ويوطأ بمنسم	زهير
خذي العفو مني تستديمي مودتي ** و لاتنطقي في سورتي حين	أبو الأسود
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد	زهير
وإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء	زهير
ولو شئت أن أبكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع	الخريمي
ولست بمستبق أخا لا تلمّه على شعث أي الرجال المهذب	النابغة
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه : لا يذهب العرف بين الله والناس	الحطيئة
لست بالأكثر منهم حصى ** وإنما العزة للكاثر	مجهول
فإني لو لقيتك واتجهنا لكان لكل منكرة كفاء	زهير
فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي.	امرؤ القيس
أ نبئت أن رســـول الله أوعـــدني والعفو عند رسول	كعب بن
أخي ما أخي لا فاحش عند بيته و لا ورع عند اللقاء هيوب	كعب بن
تجافيت عني حين لا لي حيلة وخلّفت ما خلّفت بين الجوانح	كثيّر
أبى لي أن أطـــيل قصـــدي إلى المعنى وعلمي بالصّواب	ابن حازم
سماحة ذا و برّ ذا ووفاء ذا ونائل ذا إذا صحا و إذا سكر	امرؤ
كل عذر من كل ذنب ولكن أعوز العذر من بياض العذار	البحتري
إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل	السموأل
إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا	جرير

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

01 أحمد أحمد بدوي، من بلاغة الكلمة، مكتبة نهضة مصر 2005 م .

02 أحمد أحمد فشل، علم البديع رؤية جديدة، دار المعارف، (د ط)، 1996 م

03 الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري برواية أبي ذر الهروي عن مشايخه الثلاثة السرخسي والمستملي والكشميهني،، تقديم وتحقيق عبد القادر شيبة الحمد، ط1 ,1421هـ - 2001م.

04 أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تح :عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت, ط1, 1983 م

05 أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والنفسير ، دار المكتبي، ط1، 1994 م

06 أسامة بن منقذ، لباب الآداب..تح:أحمد محمد شاكر . دار الجيل . بيروت ط1, 1991م.

07 أسامة بن منقذ.تح:د. أحمد البرهان في وجوه البيان بدوي و د.حامد عبد المجيد.مطابع الحلبي (دط) 1960 م.

08 أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجّاج (ت 311 هـ)، معاني القرآن و إعرابه، تح:

عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب ط1, 1988 م

09 ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن ، تح د حفني محمد شرف، دار نهضة مصر, ط 2 (د ت)

10 ابن أبي الإصبع. تحرير التحبير. د.حفني محمد شرف. لجنة إحياء التراث الإسلامي. القاهرة (د ط),1983م.

11 ابن أبي الأصبع، بديع القرآن مكتبة نهضة, مصر.(د ط), 1957 م.

12 الأعشى، الديوان ,دار صادر, بيروت (د ط), 2008 م

13 مريء القيس، الديوان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف,ط3, 1984م

14 ابن باديس عبد الحميد، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، دار البعث قسنطينة,(د ط) 1982 م.

15 بغدادي بلقاسم،المعجزة القرآنية ، ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر(دط، دت)

16 أبو بكر البيهقي (ت458هـ)، سنن البيهقي الكبرى تح :محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة,(د ط), 1994م

17أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف مصر(د ت),1963م.

18 ابن بلبان، صحيح ابن حبّان، مراجعة الشيخ شعيب الأرناؤوط، بيروت,(د ط), 1993 م

19 الجاحظ. الحيوان. تح: عبد السلام هارون. مطبعة الحلبي ,ط2, 1965 م

20 جرير بن عطية، الديوان، شرح :إيليا الحاوي ,دار الكتاب اللبناني,ط1 , 1982م

21 أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن،، تح:د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ط1, 1422هـ - 2001م

22 جلال الدين السيوطي، معترك الأقران،، دارالكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، (1408 هـ-1988م

23 جلال الدين السيوطي، الدر المنشور في الفسير بالمأثور، تح : عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات الإسلامية القاهرة,ط1 ,2003م.

24 الإمام حافظ الدين أبو البركات عبد الله بن أحمد المعروف بحافظ الدين النسفي، كشف الأسرار شرح المصنف على المنار،، دار الكتب العلمية، - بيروت- لبنان,(د ط, د ت)

25 أبو الحسن الرامهرمزي (ت 576هـ)، في أمثال الحديث ، تح :أحمد عبد الفتاح تمام، مؤسسة الكتب الثقافية ,بيروت,(د ط), 1409هـ

26 أبو الحسن بن عيسى الرمّاني، النكت في إعجاز القرآن في ثلاث رسائل في إعجاز القرآن،، تح: محمد خلف الله أحمد ود.محمد زغلول سلام، دار المعارف، ط3, 1676م

27 أبو الحسن علي بن أبي بكر الهيثمي. موارد الظمآن.. تح: محمد عبد الرزاق حمزة.دار الكتب العلمية بيروت.

28 أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي (ت بعد 880 هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تح محمد سعد رمضان حسن و محمد متولي الدسوقي حرب دار الكتب

العلمية بيروت,ط1, 1998م

29 حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي ..الأدب القديم ... دار الجيل بيروت.ط1, 1986م.

30 زهير بن أبي سلمى. ديوان، شرح حمدو طماس دار المعرفة بيروت ط1، 2006 م.

31 أبو السعود بن محمد العمادي الحنفي تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،، تح:عبد القادر أحمد عطا، مطبعة السعادة مكتبة الرياض الحديثة.

32 سمير أبو حمدان. الإبلاغية في البلاغة العربية ، منشورات عويدات الدولية . بيروت.ط1991.1م.

33 سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، ، ط 7، 1982 م.

34 سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط1،1985 م.

35 سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 1956م

36 شمس الدين أبو عبد الله محمد المعروف بابن قيّم الجوزية (ت 751هـ) ، كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلوم البيان . صححه محمد بدر الدين النعماني مطبعة السعادة, مصر،ط1, 1327هـ

37 شهاب الدين محمد الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث – بيروت– لبنان.

38 شوقي ضيف. البلاغة تطور وتاريخ. دارالمعارف مصر,ط3, 1977 م.

39 صفيّ الرحمن المباركفوري، منّة المنعم شرح صحيح مسلم،دار السلام للنشر والتوزيع الرياض ,ط1, 1999 م.

40 صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيّد قطب، شركة الشهاب، الجزائر، (دط، د ت)

41 الضحاك، تفسير الضحّاك، (ت 105 هـ) جمع وتحقيق : محمد شكري أحمد الزاويتي دار السلام,ط1, 1999 م

42 ضياء الدين بن الأثير المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشرالفجالة ,القاهرة، ط2. 1983م

43 طرفة بن العبد، الديوان ، دار صادر، بيروت، (دط) (دت)

44 عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء، التفسير البياني للقرآن الكريم، ، دار المعارف ,ط7,(د ت)

45 عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الازرق، دراسة قرآنية لغوية وبيانية ,دار المعارف,ط3 ,(د ت)

46 الإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي،تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: علي محمد معوض و عادل محمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان،ط1 سنة 1418هـ -1997م.

47 أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي(ت303هـ)، السنن الكبرى، تح عبد الغفار سليمان النداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت 1991 م

48 عبد الرحمن بودرع. الإيجاز وبلاغة الإشارة البيان النبوي..مطبعة الخليج العربي , ط1, 2009م

49 عبد الرحمن حسن حبنّكه الميداني، البلاغة العربية، أسسها، علومها، وفنونها، الدار الشامية، بيروت, ط1, 1996 م

50 عبد الرزاق المناوي، فيض القدير..المكتبة التجارية الكبرى مصر.

51 عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية رسالة دكتوراه، الناشر مكتبة وهبة.ط1 ، 1413 هـ، 1992م

52 عبد الفتاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار عمار، ط1, 1421هـ – 2000م.

53 عبد الفتاح لاشين، من أسرار التعبير في القرآن: صفاء الكلمة, دار المريخ للنشر، (د ط) , 1983م.

54 عبد الفتاح لاشين. المعاني في ضوء أساليب القرآن. دار المعارف(د ط), 1978 م.

55 عبد القادر حسين، فن البلاغة..مطبعة الأمانة,(د ط), 1977 م.

56 عبد القاهر الجرجاني. أسرار البلاغة في علم البيان تصحيح ومراجعة :الشيخ محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية ، لبنان، ط 1، 1988م

57 عبد الله الجربوع، الأمثال القرآنية القياسية... الجامعة الإسلامية,ط1, 2003.م. .

58 عبد الله درّاز، النبأ العظيم ,مطبعة السعادة بمصر, . (د ط) , 1960 م

59 أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزيه، بدائع الفوائد، تح: علي بن

محمد عمران، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع.

60 أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت256 هـــ)، صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر)، تح مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير,ط 3, 1987 م

61 أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح:د.عبدالله بن عبد المحسن التركي وشار في تحقيق هذا الجزء: محمد رضوان عرقسوسي وغياث الحاج أحمد، مؤسسة الرسالة، ط1، 1427 هـــ - 2006م.

62 أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي مجاز القرآن (ت 210 هـــ)، تعليق د محمد فؤاد سزكين ,مكتبة الخاخنجي مصر (دط,د ت)

63 عز الدين علي السيّد. الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية . .دار إقرأ بيروت,ط2, 1986 م

64 ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز..دار الخير بيروت-لبنان-.ط2 1428هـــ-2007م.

65 ابن عقيل الأشموني شرح ألفية ابن مالك تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـــدار احياء التراث العربي .لبنان. ط2,(دت)

66 الإمام الحافظ علاء الدين مغلطاي ابن قليج بن عبد الله الحنفي (ت 762هـــ)، شرح سنن ابن ماجة، تح : كامل عويضة، ، مكتبة نزار مصطفى الباز, ط1 ,1999م

67 أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ، كتاب الأمالي، الناشر وزارة الثقافة الجزائرية بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007 م

68 علي الجارم و مصطفى أمين ، البلاغة الواضحة مع دليلها، دار المعارف (د ط) و(د ت)

69 أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه.، تح الدكتور محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت.ط 1سنة 1988 م.

70 علي بن اسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تح: عبد الستار أحمد فراح، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ط1, 1958 م .

71 على بن محمد الجوزي القرشي. زاد المسير في علم التفسير(د ط, دت)

72 عمر السلامي، الإعجاز الفني في القرآن، (د ط) مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، تونس ، 1980م

73 غازي عناية، هدى الفرقان في علوم القرآن.، دار الشهاب باتنة, (د.ط). (1988م)

74فاضل صالح السامرائي ، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل،دار عمار,ط3, 2003 م

75 أبو الفتح عثمان بن جنّي، الخصائص، تح محمد علي النجار المكتبة العلمية المكبتة العلمية (د ط,د ت) .

76 الإمام فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، ط1، 1401 هـ – 1981م

77أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب،، دار المعارف.(د ط، دت)

78أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت544 هـ)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تح علي محمد البجاوي دار الكتاب العربي، (د ط) , 1977م

79أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة –بيروت– لبنان.

80أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة ، تح: عبد الرحيم محمود, دار المعرفة، بيروت،(د ط), 1989م

81ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف.

82القزويني، التلخيص في وجوه البلاغة.ط1.دار الفكر العربي.

83 القزويني. الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق : محمد عبد المنعم خفاجي

84ابن قيم االجوزيّة، بدائع التفسير، جمع يسري السيد محمد، ومراجعة صالح أحمد الشامي، دار ابن الجوزي، ط1، (د ت)

85ابن قيّم الجوزية، الضوء المنير على التفسير، جمع: علي الحمد المحمد الصالحي، مكتبة دار السلام، (د ط، دت)

86ابن قيّم الجوزية، كتاب الفوائد.. تحقيق فواز أحمد زمرلي دار ابن حزم .ط1، 2002م.

87 كعب بن زهير، الديوان، قراءة وتقديم د محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ط1 1995م

88 مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت817هـ).القاموس المحيط، تح: أبو الوفا

نصر الهوريني المصري الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت، ط2، 2007 م

89 مجيد عبد المجيد ناجي. الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.ط1, 1984.م.

90 محمود الوراق، الديوان ، جمع ودراسة وتحقيق : د وليد القصاب, مؤسسة الفنون ,ط1, 1991 م .

91 محمد أبو اليسر عابدين، الإيجاز في آيات الإعجاز، تح محمد كريم راجح ، دار البشائر للطباعة والنشر، ط1، 1994 م .

92 محمد إبراهيم شادي ، البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، الرسالة، ط1، 1988م.

93 محمد الأمين الأرمي العلوي الهرري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، تح:د.هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، ط1، 1421هـ – 2001م.

94.محمد الصغير بنّاني، النظريات اللسانية و الأدبية والبلاغية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983م

95.محمد الطاهر بن عاشور، ا تفسير التحرير والتنوير، لدار التونسية للنشر والتوزيع، طبعة سنة، 1984م.

96.محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي المعروف بالجوهري، مختار الصحاح،، عنى بترتيبه محمود خاطر، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1 (1424هـ-2003م).

97محمد بن عبد الله بن بهادر،بدر الدين، أبي عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن

تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة بيروت، ط 2 (1391 هـ -1972 م).

98.محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، شرح وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط 1 (1413هـ- 1993م).

99.محمد رجب البيومي، البيان القرآني. .الدار المصرية اللبنانية، ط2، 2005 م.

100.محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، مكتبة الفارابي، دمشق، ط5، **1977** م

101محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ، تح : هاني الحاج، المكتبة التوفيقية مصر(د ط، دت)

102.أبو محمد عبد الله الدّارميّ (ت225هـ)، سنن الدّارميّ، تح :أحمد فواز زمرلي و خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1407 هـ.

103.محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، مطبعة وهبة القاهرة، ط2، 1997 م،

104.محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: د. عبد الفتاح الحلو، راجعه مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت,(د ط), 1406هـ- 1986 م.

105. محمد ناصر الدين الألباني، مختصر صحيح الإمام البخاري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، ط1، 2002م

106 .محمود بن عمر الزمخشري، الفائق في غريب الحديث..تح: علي محمد البجاوي

ومحمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر لبنان.ط3، (د ت)

107. محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، دار اليمامة ودار ابن كثير للطباعة والنشر بيروت سورية، ط7، (1420هـ - 1999م

108.مختار عطية. الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز ار المعرفة الجامعية السويس.(د.ط) (1997م)

109.مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261 هـ) صحيح مسلم، مراجعة محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت (د ط)، 1954م .

110.مصطفى شاهر خلوف، أسلوب الحذف في القرآن وأثره في المعاني والإعجاز، دار الفكر،ط1، 1430هـ-2009م.

111.مصطفى صادق الرافعي إعجاز القرآن والبلاغة النبوية..دار الكتب العلمية لبنان، ط 2، 2003م

112.منّاع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط3، 2000م،

113.مصطفى ناصف , الصورة الأدبية ,دار الأندلس ,ط3,1983م

114. النابغة الذبياني، .الديوان ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، 1985 م

115.الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت807هـ)، موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان تح :حسين سليم الداراني و عبده علي الكوشك، دار الثقافة العربية، دمشق، ط1،

1992، م

116.نور الهدى باديس. بلاغة الوفرة وبلاغة الندرة.. المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط1، 2008م

117.أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر. تح د.مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1984م

118.ابن وهب.تح: حفني شرف.دار الكتب العلمية بيروت، (د ط)، 1982 م.

119.يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب الخديوية طبع بمطبعة المقتطف بمصر(1222هـ - 1914م.

120.أبو يعقوب يوسف بن طاهر الخويي، فرائد الخرائد في الأمثال..تح:د. عبد الرزاق حسين. دار النفائس.الأردن.(د ط,دت)

121.أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السّكاكي، مفتاح العلوم، تح :عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية لبنان,ط1, 2000م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمـــة.....	أ - هـــ
الفصل الأول:الإيجاز في كلام العرب والبلاغة النبوية	
مدخل : الإيجاز ظاهرة فكرية وحضارية.....	8
المبحث الأول:تعريف الإيجاز.....	13
لـــغة.....	13
اصطلاحا.....	14
المبحث الثاني:أقسام الإيجاز في الدرس البلاغي.....	26
إيجاز القصر.....	26
الإيجاز بالحذف.....	29
المبحث الثالث: الإيجاز في كلام العرب والبلاغة النبوية.....	44
الإيجاز في كلام العرب.....	44
الإيجاز في البلاغة النبوية.....	51
الفصل الثاني:دلالات إيجاز القصر من زاوية علم المعاني	
مدخل: خصائص الخطاب القرآني	63
المبحث الأول:ظاهرة الإجمال.....	69
المبحث الثاني:دلالات التنكير.....	88
المبحث الثالث:ظلال المعاني.....	98

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية
عبد القادر للعلوم الإسلامية
جامعة الأمير

الفصل الثالث:دلالات إيجاز القصر من زاوية علم البيان

المبحث الأول: الإيجاز بالصورة البيانية..... 109
لمبحث الثاني:دلالات الإشارة 129
المبحث الثالث:دلالات الإيحاء 137
خاتمة..... 148

الفهارس

فهرس الآيات..... 151
فهرس الأحاديث 166
فهرس الأبيات الشعرية..... 168
فهرس المصادر والمراجع..... 170
فهرس الموضوعات 183

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية